د. علي قائمي

حدود الحرية في التربية

دار النبلاء

حدود الحرية في التربية

تأليف

الدكتور علي قائمي

ترجمة

سلمان الانصاري

دار النبلاء

بيروت - لبنان

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م

دار النبلاء

بيروت - لبنان حارة حريك - ص . ب ١١/٨٦٠١ - هاتف: ٠٣/٨١٤٢٩٤ خليوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحرية لفظ عملاق له استعمالات كثيرة في الحياة السياسية والاقتصادية والحقوق والمعتقد والمجتمع والثقافة والتربية وقد شغل بحثه مساحات واسعة جداً في بحوث الفلسفات والمذاهب والأديان وقامت من أجله الحروب والمعارك، أما معناها اللغوي هو انعدام مانع السير والحركة أو الأمن من التجاوز والتعدي، فلو انعدم الحائل من أمام إرادة وحركة الفرد إلى الهدف فيقال حينها أن هذا الفرد حرّ، ويدخل تحت هذا المعنى أيضاً مفهوم الخلاص والتحرر من العبودية[١].

جاء بحث الحرية في فلسفة التربية الماضية والمعاصرة وحدد التربويون حدوداً لها، وأساس هذا البحث يتناول مسألة شكلية الحرية المعطاة للأفراد وحدودها، وهل يجب أن تكون مطلقة أم مشروطة وما هي النسبة الملائمة لعمر الفرد ومرحلة حياته؟ وما هي الآراء المطروحة في هذا الخصوص وما هو رأي الإسلام فيها؟

الغاية الأساسية من الكتاب هي إيجاد حلولاً للأسئلة السابقة وتقديمها للآباء والمربين. الحقيقة لقد شاهدنا أشكالاً لها يطغي عليها الإفراط والتفريط، البعض يصرّ على الحرية المطلقة[٢] والبعض الآخر يميل إلى محدودية هذا الإطلاق ويدافع عنه وهناك مجموعة تقف إلى جانب الحرية المقيّدة والمشروطة[٣].

---

(١) قاموس المعين.

(٢) اتباع المذهب المادي.

(٣) أتباع الدين الإسلامي.

الموضوع المهم هنا هو كيف نستخلص الصحيح منها والمقبول؟ وما هي النتائج المتحتمة على هذا الاختيار؟ يضاف إلى ذلك أن قصدنا تنمية مهارة وخلاّقية الأبناء وإحساسهم بالمسؤولية واعتزازهم بأنفسهم وثقتهم بها فما هو الطريق الأصلح لذلك؟ خصوصاً وان المربين يُعرّفون الحرية بالشرط الأساسي في تحقيق سعادة الفرد ويدّعون أن بدونها يتوقف رُقيّ وكمال الفرد، وتنعدم أسس التكليف والثواب والعقاب[1].

معرفة حدود الحرية يُشخّص وظائف ومسؤوليات الآباء والمربين ويساعدهم على السير في الخط التربوي الأمثل، والمهم هو معرفة الآباء لحدود حرية الطفل في الوسط العائلي و كيف يتماشون مع تلك الحدود حسب عمر ومرحلة الطفل بالإضافة إلى ذلك فقد دخل هذا الموضوع كذلك حيز اهتمام المدرسة والعلم لإيجاد طلاب احرار.

عموماً لو عجزت الدوائر التربوية عن تحديد حدود الحرية لأجل التربية فإن ذلك سيؤدي إلى اليأس وستكون العاقبة مرّة بلا شكّ.

لم يحظى هذا الأمر من قبل بحثاً مستقلاً جامعاً إلى حدٍ ما من الكتّاب والمؤلفين، وما نراه الآن في علم النفس التربوي أو في الأديان والنظريات التربوية والفلسفية عبارة عن مواضيع متناثرة هنا وهناك، وأن المرور عليها أمر بنّاء إلا أنه مشكل وصعب لعسر الوصول إليها، وبالنظر لصعوبة ذلك لم تظهر معلومات منظمة ومصنّفة حول الحرية لكي يستطيع اقتنائها الطلاب ولم يتمكنوا من السير بطريق واضح المعالم وما سعينا إليه هنا هو محاولة لسد جزء من النقصان الكبير، وهذا السعي له ماض يستحق النظر فيه مع أنه طويل نسبياً.

---

(١) رأي الإسلام.

في سنتي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ م تطرقت لأول مرة إلى بحث بعنوان (حدود الحرية) في اجتماع للأولياء والمربين في طهران تحول بعد ذلك إلى مجموعة من الكراسات شاعت بين المهتمين والراغبين في ذلك الأمر .

- بعد ذلك بقليل استطال هذاالبحث وظهر على شكل مقالات طبع في مجلة (دين الإسلام) (في قم) قبل حوالي ١٨ أو ١٩ سنة، ولا بأس أن أذكر أنه تم تغيير بعض متون المقالات بصورة تظهر للقارىء بأنها تنقيحات إلا إنها عرضت المغزى إلى تحريف مما أدى بالناشر إلى تعطيل المقالات.

- سنة ١٩٧٨ م وما تلاها من سنين تصدّر بحث الحرية جميع البحوث المطروحة وذلك بسبب الثورة الإسلامية التي طرحت مفهوم الحرية في الخطابات والمحافل العلمية والجامعية. وطبع آنذاك كتاب مختصر جداً تحت عنوان الحرية والحر[١].

والأمر المهم والأساسي في موضوع حدود الحرية والذي كان لا يزال ملقياً على الأرض هو مسالة حرية الأطفال والصبيان والذي نعدّه من اساسيات التربية، ومن خلال جمع المقالات المتعلقة بموضوع الحرية وبعد الجرح والتعديل ظهر كتاب تحت هذا الاسم سنة ١٩٨٠ م وبسبب تغيير مهنة الناشر بالإضافة إلى الإهمال والمسامحة وعوامل أخرى بقي الكتاب بطباعته الأولى مع وجود رغبة الكثيرين في مطالعته إلا أنه لم يُطبع ثانية[٢] وبعد مرور ١٨ سنة عن ذلك شعرنا بحاجة الناس إلى معرفة حدود الحرية في التربية لذا قمنا طيلة هذه الفترة ببعض الإضافات والحذف الذي لم يخل من الفائدة، ولأجل تعميم الفائدة قرننا العمق

---

(١) ذُكرت حدود الحرية فيه، والكتاب الآن في حالة تجديد وحذف وإضافة.

(٢) لا نقصد الدخول في هذا البحث وقولنا هو (نعم الحكم الله).

بالتحقيق وتجديد النظر لإكماله وإخراجه للطباعة ثانية للتقدم بخطوة إلى الأمام في طريق التربية الإسلامية للأجيال.

أما أسلوب العمل في تدوين هذا الكتاب هو الأسلوب المكتبي وبالاستعانة بالقرآن والسنة، وبذلنا جهداً للاستفادة من آراء أصحاب الرأي والمربين الواعين وبعض العلماء وأصحاب المكاتب والفلسفات، ولم ننس أصل الاجتهاد والاستنباط في هذه البحوث وحاولنا عرض الاستنتاجات بصورة توصيفية.

لا شكّ أنه صاحب عملنا بعض المحدوديات والمثبطات كما هو الحال بالنسبة لعمل أي كاتب آخر كنقص المصدر المالي وضيق الوقت والانتباه إلى عدم اتساع الكتاب بالإضافة إلى عدم بلوغنا إلى جميع المتون الإسلامية والعلمية والأبلغ من جميع ذلك يوجز بعدم النضوج العلمي والفكري للكاتب، لا ندعي هنا أننا ذكرنا كل ما ذُكر أو راعينا جميع جوانب بحث الحرية وإنما مقدار وسعنا إلى هذا الحد وأملنا بالآخرين للمضي قدماً في هذا المجال .

أحمد الله (عزّ وجل) وأثني عليه إنه وليّ التوفيق وإن استفاد القراء المحترمون من هذا القليل في توجيه أبنائهم إلى الخير والصلاح فسأكون قد بلغت أجري.

أسأل الباري تعالى أن يتقبل هذا اليسير وأن يجعل هذا الكتاب الناتج من إخلاصي في الخدمة ذخراً لي يوم الحساب.

علي قائمي أميري

اليوم الأول لشهر رمضان المبارك

سنة ١٤٢٠ هـ.ق ـ ١٩٩٩م

الباب الأوّل

الحرية

اختص هذا الباب ببيان الكليات المتعلقة بالحرية، وفيه:

ـ الفصل الأول: تناول مفهوم ومعنى الحرية وأشار إلى التعاريف المختلفة والموجودة. وتطرق إلى ماهية وأساس وأنواع الحرية.

ـ الفصل الثاني: بحث الآراء والنظريات المطروحة حول الحرية ومناقشتها بالإضافة إلى آراء العلماء وطرحنا فيه أيضاً المفاهيم العلمية وغير العلمية الموجودة حوله.

ـ الفصل الثالث: رؤية الإسلام حولها و دعوة الأنبياء بالمعنى الكلي المتمحور حول الحرية، بالإضافة إلى تبيان نوعها وماهيتها في الإسلام.

ـ الفصل الرابع: وجاء فيه آراء الأفراد في الأبعاد والجوانب الاقتصادية والسياسية والثقافية والمعنوية مع رعاية الاختصار في كلّ ذلك .

الفصل الأوّل

مفهوم الحرية ومعناها

المقدّمة

الحرية مصطلح ضخم جداً وجذاب ويسعى الجميع إلى استحصاله والعيش بظله. ضدّه العبودية أو المحدوديّة والتي تعبر عن الضعف والذل والهوان في تحقيق الأهداف بصورة إرادية أو لا إرادية.

الحرية اسم جميل وحسن نجده يتربع على جدول أعمال جميع الثوريين ومدّعي الخدمة البشرية ومن يقول الفلسفة.

جاهد الأنبياء الإلهيون من خلال دعوتهم إلى تحرير البشر من القيود والأغلال وجَعْلهم أحراراً حقيقيين، لهذا تزيّن تاريخ حياتهم وتواريخ أتباعهم ومصدّقيهم بهذا الاسم.

لكن التفاسير الخاطئة والاستنتاجات غير المناسبة لها في جميع المجالات ومن ضمنها مجال التربية بالإضافة إلى الإبهام الموجود في جوانبها وأبعادها كان جميع ذلك سبباً في بروز نظرة جديدة للتربية خصوصاً في التربية الإسلامية للجيل وعلينا توضيح حدودها بصورة نيّرة.

تعريف الحرية

ذُكرت لها تعاريف متعددة تشير جميعها من قريب أو بعيد إلى حقيقة واحدة مع اختلاف عباراتها وجملها: قالوا:

- الحرية هي انعدام المانع أمام الإرادة والإقدام.
- أمر أو حالة تظهر نتيجة ميل او إرادة سواء كان ذلك الميل سليماً او منحرفاً.
- تعبير عن القدرة على إنجاز العمل المراد فعله.
- عبارة عن التحرر من العبودية والتبعية المؤسّرة.
- القدرة الايجابية لتعيين موقعية إرادة الإنسان.
- عبارة عن الولاية في رفع الموانع المستقرة في طريق الإنسانية[١].

وهناك العديد الذي يبلغ ٢٠٠ معنى وتفسير للحرية ولا شكّ أن حصرها مشكل ولا يتحمله هذا الكتاب ولكن جميعها تتمحور حول مسالة الإمكانية والقدرة والانتصار في رفع الموانع والتسلط على العوامل المعرقلة التي تعترض الحركة باتجاه الهدف.

ماهية الحرية

الغور في تعاريف الماهيّة يشير إلينا إلى أنها عبارة عن الحياة أو النمو

---

(١) محمد صناعي: الحرية والتربية ص ٢٠٤.

التحرك والتقدم في طريق تجلّي الشخصية التي يقع في ضمنها أيضاً إزالة المانع (سنذكر ذلك). وعلى هذا الأساس يعرّف البعض الحرية بأنها انعدام جميع الموانع الخارجية الواقفة في طريق تحصيل المطلوب وتحقق الآمال الشخصية[1] ولهـذا السبب اعتبروا الحرية فقدان وحيلولة والشخص الحر حسب هذه الرؤية هو الذي لا يتعامل مع الممنوعات.

يذكر الغرب أن الحرية هي انعدام المانع، والمـانع هـو الذي يـحول دون التحرك والنشاط البشري، وعلى هذا الأساس فإن الحرية من هذه النظرة توجد عند باقي الحيوانات والنباتات أيضاً. الماء حر أيضاً ويجري في السواقي و...... طبعاً إن عدم المانع يعني شيء آخر في الإسلام سنأتي إليه في الأجزاء اللاحقة.

وما هو بصدد الإنسان فإنه يعني أيضاً انعدام تدخل الآخرين أو منع الأفراد من الوصول إلى غاياتهم، ومن هذا المسير الأحادي للحرية نستنتج بأنها تتجه إلى رؤية غير مرغوبة ويُحذف فيها سبيل الإنسانية.

عموماً لو قلنا أن فلاناً حرّ فهذا يعني انه يملك القوى اللازمة لأداء العمل ولا يوجد ما يمنعه عن السعي والحركة، ويمكنه فعل ما يشاء ولا يوجد من يسلب قدرته ولا تُهمل رغباته وإرادته ولا يُجبر في التعلّم.

رابطة الحرية بالاختيار

إختبأ معنى الاختيار بين طيات مفهوم الحرية، عندما يُقال أن فلاناً حر فإن إحدى مفاهيمه بأنه مختار، لو اراد شيئاً يمكنه فعله ويـحق له ذلك أو أن يـتركه

---

(١) مجتبى مينوي؛ الحرية وحرية الفكر ص ٥٣.

سواء كان العمل صحيح ومبني على الموازين الشرعية والعقلية والاجتماعية أو لا يكون كذلك.

مفهومه الآخر هو أنه حر ضمن أُطر وضوابط ومقررات يمكن أن يكون اساسها العرف أو الشرع أو الاجماع أو استنباط شخص معين وفي هذا الطريق لا يوجد مانع يحول دونه. لا بأس أن نتذكر أن رابطة الحرية بالاختيار هي رابطة التوأم مع وجود الرجحان. ويعطي الاختيار في اللغة معنى الخير والشيء الحسن أيضاً. بعبارة أخرى يمكن القول أن الاختيار عبارة عن استعمال الحرية في هدف الخير والكمال أو هو نوع من البحث عن الخير وهذا يتفاوت مع معنى التحرر الذي يُستخلص من لفظ الحرية أيضاً. التحرر يمكن أن يكون باتجاه الخير أو الشر ولكنه عُرفياً يؤدي إلى معنى غير مناسب ومنشأ هذا الاستنباط هو نوع من السلوك الحيواني ولهذا فإن الإسلام لا يرغب بالأفراد المتحررين كذلك، لذا يجب عليه أن يكون ملتزماً ومنضبطاً. (سنأتي إليه لاحقاً).

أساس وأنواع الحرية

يشتمل اساس الحرية على ركنين:

- الركن الأول: إرادة نابعة من الميول الباطنية وحسب اعتقادنا أن للحرية أساس فطري.

- الركن الثاني: القدرة على تحقق أو اقناع أو إرضاء تلك الإرادة، ولهذه القدرة صور مختلفة أيضاً. يمكن أن يكون لتلك الإرادة علاوة على بعدها الفطري جنبة شرعية وأخلاقية تقع في اتجاه تأمين سعادة الفرد والآخرين وإيجاد الرفاه

والخير والسعادة للفرد والمجتمع أو الايفاء بالتعهد والمسؤولية، ويمكن أن يكون لتلك القدرة بعد مادي ومعنوي وكلامي وفكري و.... أما بصدد نوعها يجب القول أن الحرية لها شعاع ومساحة ومصاديق كثيرة أهمها الحرية الروحية التي هي منبع الكثير من الحريات الأخرى.

ـ تكون الحرية أحياناً مدنية مثل حرية العلم والحرفة والمسكن ومحل الإقامة وتملك الأموال المنقولة وغير المنقولة.

ـ أحياناً طبيعية مثل حرية الحركة والتنقل والأكل والنوم و....

ـ وتارة شرعية وهي تعني السلوك الحر وفق أسس الشرع وتحت سيطرة القانون والضابطة الإلهية.

ـ وأحياناً يكون لها صور أخرى، لكل منها اسم وعنوان وقاعدة مثل حرية البيان والزواج والعمل والسكن والحريات الفردية الأخرى التي سنتناولها في البحث الحقوقي لهذا الكتاب، وكذلك مع الحقوق العامة وحقوق المواطنين وحقوق البشر والحريات العامة(١) والحريات الفكرية والمحيطية والسياسية والدينية والاقتصادية والمعنوية والحرية في العفو والقصاص و ...

ضرورات وفوائد الحرية

لها فوائد وضرورات كثيرة سنتطرق إليها تفصيلياً في بحوثنا الآتية : من جملتها التجربة التعليمية والنمو والازدهار والقدرة على انتخاب الخير

---

(١) طباطبائي: الحريات العامة وحقوق البشر ص ٥.

والشر والمهارة التعليمية والقدرة على الدفاع وإظهار عزة النفس وحفظ الاستقلال و ....

الشرط الأساسي للثواب والعقاب في الإسلام هو الحرية وبه يتم قبول الحسنات والعقاب عن السيئات. مادام العقل يبتعد عن الحرية ولا يتحدان في الفرد ستكون جميع الأمور السابقة الذكر فاقدة لمعناها ولا توجد فيها قيمة للتكليف وأداء التعهد والمسؤولية.

الفصل الثاني

آراء حول الحرية

المقدّمة

البحث المتعلق بالحرية وأبعادها يشغل مساحة واسعة في الفلسفات والمذاهب وفيه عقائد وآراء متنوعة، ودخل هذا البحث أيضاً في علم النفس وعلم الثقافة والتربية وطرح أصحاب الرأي آراءً بصدد ماهيتها وحدودها وان الأساس في ذلك هو عندما يُطرح موضوع الحرية على بساط المناقشة يجب علينا تشخيص المقصود منها والمعنى المعنيّ لها.

وهل أن المقصود هو حرية الغرائز والميول، والانطلاق في ارتكاب الجريمة والجناية والظلم والجور وغصب حقوق الآخرين وتأييد الأعمال الناشئة عن الأهواء؟

أم أداء الأعمال والسلوكيات التي تشتمل على الأفكار الخيّرة أيضاً؟

مفاهيم الحرية

يمكن تحديدها بنوعين:

ـ مفاهيم سطحية: يُعتقد فيها جواز فعل أي شيء يرغب بفعله الفرد ولا يحق لأحد التدخل بذلك وهنا ستعم الفوضى والاضطراب وهذا سيؤدي إلى تعرض حياة المجتمع إلى الخطر.

ـ مفاهيم علمية: وفيها يكون المرء حرّ في تحقيق رغباته المناسبة والقيام بالأعمال والسلوكيات العقلائية والقانونية والشرعية بدون أي حد لذلك أو تدخل من شخص ما.

يمكن إضافة مفهوم آخر هو الأنانية إلى المفاهيم السابقة ويتصف به المستبدون والمغرورون. والذين يفسّرون الحرية بالشكل الذي يمنحهم الفرصة لتطبيق رغباتهم الطائشة في المجتمع للوصول إلى أغراضهم الخاصة.

والصورة الأخيرة للحرية هي في الواقع الاستعمال السيء لها والتي تحقق أنواع الظلم والجناية في المجتمع البشري، يسعى المستبدون وباسم الحرية أو الدفاع عنها توجيه أقسى الضربات إلى الناس وتعريضهم لأشد الضغوط من أجل تحقيق رغباتهم الشخصية ومثالها جليّاً في دنيا السياسة.

رؤية علماء الغرب

تكلم الكثير من العلماء والفلاسفة حول الحرية وطرحوا الكثير من الآراء الواقعية أو الضيّقة عبر هذه القناة، منهم:

ـ هيجل: الحرية تعني اتّباع القانون.

ـ جان استوارت: رغبة الحرية تعني تحقيق المنافع الشخصية عبر السبيل المنتخب من قبل الفرد دون حرمان الآخرين من الوصول إلى منافعهم أو

الحيلولة دون ذلك.

ـ ولتر: الحرية هي القدرة التي يستعملها الإنسان للقيام بأعماله المرادة والتي لها حكم الضرورة المطلقة[1].

ـ فرويد: ويعتقد أن إشباع جميع الميول الغريزية يؤدي إلى اللذة[2].

ـ روسو: الحرية عبارة عن طاعة القانون الموضوع من قبل الإنسان نفسه[3].

ـ البعض الآخر يعبّر عنها بطاعة القانون الطبيعي[4]، والقانون الطبيعي هو القانون الموجود في نظام الخلقة وعالم الطبيعة والذي يستفيد منه الحيوان والنبات بصورة لا يشعر معها بمحدودية ما.

ـ مونتسكيو: الحرية عبارة عن حق الفرد بعمل ما يُجيز له القانون بفعله، ولا يُجبر على فعل أمر منعه القانون أو شخّص بعدم صلاحيته للفرد[5].

ـ توجد آراء أخرى في هذا المجال وفي بعضها منافع وفوائد[6] وأحياناً يُستخلص منها معنى الحرية الفردية والحرية[7] ... وتفصيلها يحتاج إلى كتاب مستقل.

---

(١) من الليبرالية إلى الاشتراكية.
(٢) هاشم رضى. أفكار فرويد ص ١٨.
(٣) الاتفاق الاجتماعي ص ٢٥.
(٤) المذهب الطبيعي.
(٥) منتيسكيو.
(٦) أوتيليتاريم.
(٧) اگزيستانسياليم.

بناء الحرية

تقوم الحرية بجميع أشكالها على عوامل ثلاث:

١ ـ التدخل في الأعمال والإجراءات وفق الميل والرغبة والإرادة المستقلة. في هذه الصورة يستطيع الفرد انتخاب سبيله من بين السبل المتعددة من أجل الوصول إلى المقصد المنشود.

٢ ـ القدرة على أداء العمل في ظل الفكر والتعقل والقوة الروحية والجرأة ويستطيع بها تغيير لون الحياة وشكلها.

٣ ـ قوة الميل والاختيار والتي تُعد أولاً المحرك للإنسان والهدف لأجل الإقدام على أمر ما، وتعتبر ثانياً سبباً لتكليفه مقابل الحسن والرديء. عموماً هناك أصل منطقي وتفكّر صحيح في موضوع الحرية يساعد على رفع قيمتها ويؤدي إلى تجلّي الشخصية وسموّها وبالاستعانة بها يمكن للإنسان الحفاظ على نفسه ومجتمعه ويوفر الأرضية الملائمة للتعالي والتكامل.

مع أننا سنتناول هذا الأمر في بحوثنا الآتية لكن لا بأس إن نذكّر به هنا وهو أن الإنسان ما دام يمتنع عن قبول سيطرة الآخرين على أعماله وإشرافهم وتفتيشهم فإن ادعائه بالحرية باطل، يجب عليه استحصال الحرية التي كما يعبر عنها أحد العلماء بأنها أساس جميع القيم[١].

---

(١) جان پل سارتر.

الفصل الثالث

رؤية الإسلام

المقدّمة

الاسلام اسم لدين ومذهب اجتماعي وأخلاقي وسياسي واقتصادي و...الخ. مبني على السعي الحثيث لوحدة البشرية والتي تقف تعاليمه الروحية ضد الديكتاتورية من طرف وتخالف الفوضى والعشوائية من طرف آخر.

لهذا السبب يرفض الحرية المطلقة للأفراد التي تؤدي إلى التحلل وكذلك الحرية المقيدة جداً والتي تجبر الآخرين على الاستسلام أمام الضغوط غير المناسبة.

الاسلام يشتمل على الحرية ويفتقد إلى الاستبداد، ويخالف التحرر المطلق والانحلال، الإنسان حسب الرؤية الإسلامية عبد، عبد لله تعالى، وكل عبد يجب أن يرضى بضوابط مولاه، حياته تستقر في الوسط، حرةّ من جهة ومنضبطة من جهة أخرى.

الإسلام دين الأخوة والمساوة والحقوق ولا يمكنه أن يبتعد عن الحرية والاستقلال ولا يمكنه أن يهمل جوانب الحرية، التفت إلى هذا الأمر المهم: لا تكن عبداً لغيرك وقد ولدتك أمّك حرّاً[1]. فهذا أصل في الإسلام.

---

(١) الإمام علي عليه السلام، وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج ١٦ ص ١٤.

هنالك الكثير حول فلسفة البعثة وأسرارها ويمكن القول عنها الكثير جداً في شرح وتفصيل ذلك السر والرمز ولكن يمكن إيجاز جميع ذلك بعبارة واحدة وهي: تحرير البشر من عبودية غير الله تعالى وخلاصه من عوامل الضغط الواردة عليه.

يشير القرآن الكريم إلى ذلك: ﴿ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم﴾(١). تلك هي وظيفة النبي.

وقال علي عليه السلام (لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً)(٢).

والقول في ظهور الحجة صاحب الزمان (عج) هو. ﴿يعبدونني لا يشركون بي شيئاً﴾(٣).

والحرية الموجودة في هذه الفلسفة هي الحرية القائمة على التوحيد والفضائل الأخلاقية والتي تهتم بالشؤون الإنسانية، وما ظهر خلاف ما ذكر من زيادة أو نقيصة فإنه خارج عن الشكل المشروع للحرية وهذا مورد اتفاق جميع الأنبياء.

الحرية والاختيار

توجد في الإسلام رابط قوية بين الحرية والاختيار وأن الحرية نفسها دليل

---

(١) سورة الأعراف : ١٥٧.

(٢) نهج البلاغة، خ ٣١.

(٣) سورة النور : ٥٥.

مهم على اختيار البشر، الاختيار الذي يشعر به كل فرد في ذاته وتؤيده الفطرة ويشعر مقابله بالمسؤولية ولو تعدّى حدود الاختيار ولو بصورة غير مرئية فإنه سيتعرض لملامة الفطرة والوجدان.

نعم تلك حقيقة نعترف بها لأن الإنسان خُلق مختاراً: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾[1]، فهو حر في تعيين مستقبله واتخاذ قراره وانتخاب سبيله وطريقة حياته، وهذا الأمر ينعدم في الحيوانات التي تقع تحت سلطة الغريزة[2].

ولو تأمل الإنسان في حالاته وسلوكياته، (افعل هذا أم ذاك) فإنه خير دليل على أنه مخيّر، واختياره لأحد الأمرين دليل على حريته. أما العقاب والثواب في الإسلام فإنه لا يقضي على الميول، ومن الطبيعي أن الميول لا يجدر بها أن تكون مطلقة العنان لأن هذا يؤدي إلى هدر الطاقات الاجتماعية وإلى التناقضات.

أما مسألة الحصن والحصار المعيّنة في الإسلام فهي لحالات وسلوك ومواضع الإنسان لأن الإنسان ليس بمطلق، ولم يترك الاسلام من ادّعى ذلك بل طالبه بالدليل:

﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾[3]، ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين﴾[4].

---

(١) الإنسان : ٣.

(٢) محمود طالقاني، الحرية والاستبداد ص ٤٢.

(٣) البقرة : ١١١.

(٤) القصص : ٤٩.

الحاجة إلى الحرية

يعتبر الإسلام طلب الحرية حق طبيعي لكل إنسان وشرطاً لرشده وتطوره إن كان منشأها الفطرة والذات الإنسانية ومن هنا تنبع دعواه بأن: (الناس كلهم أحرار). حسب الرؤية الإسلامية فإن حياة الإنسان بدون الحرية غير ممكنة وإن كانت فهي من شأن الحيوانات.

من النكات المهمة في باب الحرية في الإسلام هي مسالة الامتحان، وأصل الامتحان الإلهي أمر ثابت وواجب على جميع الناس ولا يستثنى منه أحد[1]، ونعلم بأن من شروط الامتحان وجود الحرية، لأن انعدامها بالنسبة للممتحن خلافاً للمعقول.

كما تعلمون أن أصل الامتحان في الإسلام مصحوباً بشيء من القاطعية: ﴿ولنبلوكم بشيء من الخوف والجوع﴾[2] وفي آية أُخرى يجعله الغرض من إعطاء السمع البصر هو: ﴿من نطفة أمشاج فجعلناه سميعاً بصيراً﴾[3] أي للامتحان والبلاء.

الحرية شرط الموفقية، وشرط قبول العبادات، وشرط تقييم الأعمال والعقاب والثواب. وإن انعدمت سيصبح جميع ذلك لا معنى له، تعالى الله عن ذلك.

نوع الحرية في الإسلام

للحرية المطروحة في الإسلام مساحة شاسعة وشرائط متعددة وكما أشرنا

---

(١) العنكبوت ٤ ـ ١.

(٢) البقرة: ٥٥.

(٣) الإنسان: ٢.

في البحوث السابقة فإنها تشمل على الحرية في الجسم والنفس والفكر والعاطفة، والتحرر من الأهواء والخوف والأنانية والتملق والعبودية المادية، والتحرر من الطمع والشهوات و اللذات والنفس الأمّارة والعبودية لغير الله و....

وأما مساحة هذه الحرية فإنها مشروطة ومحدودة بما يلي:

ـ التقوى مع أننا نشم منها رائحة الحبس والسلاسل والتعذيب.

ـ الإنسانية والأخلاق والتي تتصدر جميع الضوابط الحياتية.

ـ الجانب المادي والمعنوي والمحيطي والروحي وكذلك الإقدام في الأمور الدنيوية والآخروية.

ـ التنزيه عن القيود الحيوانية وحسب قول الإمام علي ﷺ: الحرية منزهة من الغلّ والمكر[1].

ـ لها صبغة وهوى معنوي وبعيدة عن المادية الصرفة وهذا الأمر يصدق أيضاً على أسرار الإنسان الأخرى.

من هنا يتضح بأن في الإسلام حرية ولكنها ليست بمعنى الرجوع إلى الوضع الطبيعي والحيواني أو العودة إلى الحيوانية في إطار إشباع الغرائز.

ماهية الحرية الإسلامية

تختلف هذه الحرية عن النوع الغربي والديمقراطي. عُيّن في الإسلام لكل مواضيع الحريات خطوطاً وحدوداً يستطيع الانسان السعي والاقدام داخلها فقط

---

(١) غرر الحكم رقم ١٤٨٥.

ولا تعني هذه الحدود ضرب أصل الحرية وإنما أسلوباً لتنميتها وحفظها تحت ضوابط ونظام لتكون بالنتيجة سبباً لنمو الفرد وصلاحه، وقطعاً لو مضت بمسالك الاعوجاج فإنها ستكون خطرة جداً ومضرة وستؤدي إلى الانحراف والسقوط بدلاً من التكامل والتطور.

ماهية الحرية لها بعد وسيلي وليس هدفي وفي ظلها تتجلّى قدرة السعي إلى الحركة للوصول إلى المقصد، ومن الأصول المهمة هو تأييد وتصديق حالة البشر لنوع وحدّ الحرية ومثال ذلك عبودية الإنسان لله تعالى التي تفقد قدرة الحركة والسير في حالة عدم وضع المعبود للحدود. الخالق اتبعها بنظام وأودعها بضوابط فكرية واسعة. الحرية الإسلامية قبل أن يكون لها صورة أمرية وفريضية فهي مالكة للجنبة العقائدية، والعقائد أمر باطني[1] تخلق وجوداً خارجياً عند تحركها بالذات وتضع حدوداً للإرادة اللامتناهية للإنسان.

---

(١) ويعتبرها الاسلام أمر فطري.

الفصل الرابع

مظاهر وظواهر الحرية في الأفراد

المقدّمة

الحرية حاجة ذاتية امتدت جذورها إلى أعماق الإنسان واستطالت خارجة أيضاً. عندما يكون هناك ماء في (جرّة) وترشحت الرطوبة على جدرانهاالخارجية فإن الناظر سيعلم أن فيها ماء ولكن الترشح قليل جداً بالنسبة إلى محتواها، ونعني من هذا المثال أن ما في داخلنا من مادة الحريات كثير جداً نظراً لما يترشح منها إلى الخارج، وان سبب عدم ظهورها يعود إلى وجود الموانع الصغيرة والكبيرة التي تحول دون بروزها كالخوف والشعور بالخطر والتهديد والمحذورات ...الخ.

ومع جميع ذلك نشاهد بعض الأفراد وخصوصاً الثوريين قد خصّصوا الكثير جداً من أجل الحرية وتجاوزوا مراحل متقدمة في هذا المضمار[1] وكلما كانت الفطرة أكثر يقظة كلما اتسع نطاق طلب الحرية، ولو تأملت بطفل ستجده مستسلماً في الظاهر ولكن الحقيقة أنه يبحث عن الحرية بتمام وجوده وسعيه ولكن ماذا يفعل وقد قصرت عن تحقيقها قدرته.

---

(١) نداء هيهات منا الذلة ـ الإمام الحسين عليه السلام.

الطفل باحث عن الحرية بتمام وجوده ومصرّ على تحقيقها، فلو تفحّصت في حياته ستجده كيف يمنح نفسه الحرية فهو يمدّ يده إلى كل شيء وفي جميع الاتجاهات ويضع في فمه ما يشاء[1].

الطير يتنقل بالسماء حيث يشاء وفق مقتضيات غرائزه ويقف فوق كل حبّة وينقر كل شيء، لو وضعته في غرفة فيها حبّ وماء وأغلقت عليه بابها ونوافذها ستجده لا يفكر بعطشه وجوعه وإنما تشغل فكره الحرية والهروب من الغرفة. فهو يلقي بنفسه إلى كل نور ومنفذ ويضرب بنفسه بالزجاج والشبابيك ويطير بسرعة واستمرار حتى يفقد قواه، ثم يعيد الكرة بعد استردادها حتى وكأنه وافق على الموت مقابل الخلاص.

ظواهر الحرية في الإنسان

طلب الحرية عند الإنسان أقوى من الطير وهو أكثر فعالية وحساسية بطلبها إلا أن عقله يمنعه من هدر طاقته بلا مورد (كضرب الطير بنفسه هنا وهناك)، فهو يسعى بفكره وعقله وأحياناً بأسلوب المكر والخديعة ليفاجىء عوامل المنع ويفتح الأبواب لنفسه ويحررها من الحبس.

ظواهر طلب الحرية أوسع وأكبر من هذا الحد ونشير إلى بعض الموارد مع مراعاة الاختصار، قبل ذلك نؤكد أن مركز طلب الحرية هو ذات الإنسان والحرية

(١) منعه يؤدي إلى سخطه.

نفسها منتشرة في جميع وجوده وكيانه.

١ ـ في أبعاد الوجود: نرى حرية الفرد منتشرة في هذه الأبعاد مثلاً:

ـ في بعد الجسم والبيئة: ومظهرها جليّ في الحركة والتنقل والتكاثر والأعمال الغريزية والاهتمام بالطهارة الخارجية والسلامة والمرض والتكامل والنقص و...

ـ في بعد الذهن: كمظاهر الحرية في إطار التفكر، التعقل، حفظ المباحث، الدقة. التخيل والتصور، حب الاطلاع، البحث عن العلة، الاستدلال و....

ـ في بعد العاطفة: ظاهرة في الخوف والتهديد والحب والبغض والسخط والعشق والحقد والعجب والانتقام.

ـ في بعد الروح: ونلاحظها في طلب الاستقلال والحقيقة والدعاء وطلب الحاجة والدفاع وطلب الكمال والإدارة وحلّ المسائل والمصاعب والمنازعات الباطنية والظاهرية وفي رفع المجادلات أو الاستسلام لها ونجمع كل مما ذكرناه في حديث للإمام الصادق عليه السلام:

عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إنّ الحر حر على جميع أحواله، إن نابته نائبة صبر لها، وإن تداكت عليه المصائب لم تكسره، وإن اسر وقهر واستبدل باليسر عسراً كما كان يوسف الصديق الأمين عليه السلام، لم يضرر حريته أن استعبد وقهر واسر، ولم تضرره ظلمة الجب ووحشته وما ناله أن منَّ الله عليه فجعل الجبار العاتي له عبداً بعد إذ كان له مالكاً»(١).

٢ ـ في الجانب الاجتماعي: يمكن ملاحظة ظواهر الحرية في أبعاد

(١) الكافي، ج ٢ ص ٨٩.

المجتمع الظاهرية والباطنية مثال ذلك:

ـ تشكيل العائلة وانتخاب الزوجة كشريكة لحياته وأحياناً تكون نده في الجدال والخصام والتكاثر والتربية و....الخ[1].

ـ الأخلاق: تشخيص الأعمال ومراعاة الحسن والرديء وانتخاب الجميل والقبيح وفي الواجبات والمحرمات.

ـ في جانب الرقابة التي تتأطر بقالب الأمر بالمعروف والنهي عن المـنكر بجميع أبعاده وجوانبه.

ـ في مسألة ارتكاب الجريمة والاستسلام إلى الذنب، نرى افراداً أحـياناً يستسلمون الىالذنب وبكل وقاحة وإصرار.

ـ في القضاء والحكم: نشاهد البعض يحكم ببطلان أو أحقية مذهباً مـعيّناً وفقاً لفهمه واستنتاجه.

ـ في الثواب والعقاب وهنا تكون الأيادي مطلقة العنان ونرى البعض يثيب ويقتص.

ـ في انتخاب الصديق، الجميع أحرار في عقد مواثيق الصداقة مع أي كان.

٣ ـ في الجانب الثقافي[2]: وهنا أيضاً تشاهد حرية الأفراد، من جملتها:

ـ في طلب العلم والمعرفة والتخصّص.

ـ في السلوك: للفرد حق في التفكير والتفكّر فهو حر ولا مانع يحول دونه.

---

(١) تفاوت العوائل دليل على الحرية.

(٢) تنوع الثقافات دليل على الحرية.

ـ في تقبل التربية والهداية : فهو يشعر بحريته مع وجود إصرار من والديه ومربيه فهو يستقبل تربية خاصة أو يطرد تلك التربية.

ـ في فلسفة الحياة يشعر الفرد بحرية تامة فى هذا المجال ويمكنه انتخاب الجيد منها أو المنحرف.

ـ في اختيار نوع الأدبيات كالأمثال والحكم والكتابات والاستعارات.

ـ في الأدب والتقاليد كالشعائر والمناسك واحترام السنن أو عدم احترامها ونشاهد أحياناً أفراداً يؤتون بأعمال خاصة في موارد خاصة.

ـ في الفن، فهو حر فيه سواء كان إيجابياً أو سلبياً.

ـ في القيم الإيجابية كالشهادة والعفة والتقوى وكذلك نرى البعض في خضمّ القيم السلبية.

ـ استعمال الابتكارات والاختراعات بصورة إيجابية وأحياناً يستعملها بصورة سلبية، فهو يجعلها للنمو والتكامل وأحياناً لهلاك الناس وسحقهم .

٤ ـ في الجانب الاقتصادي: تُظهر الحريات أحياناً ماهيتها في إطار الاقتصاد ومن جملة ذلك:

ـ في مجال العمل: يسعى البعض بحرية الى العمل والبعض الآخر يسعى الى البطالة.

ـ في مجال الانتاج: البعض يجري وراء الحلال والبعض الآخر خلف المحرمات، والبعض يهدف إلى تقوية الانتاج البعض الآخر يعمل بصورة سطحية وغير مهمة.

ـ في مجال التملك يضعون حدّاً للتملك وأحياناً يجعلونه بلا حد ويطلقونه.

ـ في مجال الصرف فهو معتدل عادة في صرفه ولكنه حرّ في إسرافه وتبذيره وتقتيره.

ـ في الخدمات والصدقات والانفاق والمبادلات والمعاملات، نشاهد افراداً يملكون رغبة تامة في تقديم الخدمات والبعض الآخر يمتنعون عن ذلك.

وكذلك الحال بالنسبة لسائر الجوانب الاقتصادية الأخرى كالاحتكار والاكتناز والادخار و...الخ.

٥ ـ في الجانب السياسي: نشهد بعض مظاهر الحرية في هذا الجانب ويمكننا ذكر الكثير منها مثل:

ـ في اختيار الحاكم والحكومة عن طريق التصويت لمن يرغب به، وكذلك في قبول أو عدم قبول خط ما أو حزب أو فكرة سياسية، وفي الوقوف أمام أصحاب زمام الأمر غير المرغوب بهم.

ـ في إيجاد جو الحرية أو الاخفاق في مجال عمله سواءكان ذلك في البيت أو الدائرة أو محيط الحكم.

ـ في قبول أو رفض الحرب أو الصلح، وفي المشاركة أو عدم المشاركة في الحرب وحتى إن كانت إجبارية. (وحتى في الجبهة يمكنه التصويب باتجاه العدو أو في الفراغ).

ـ في قبول أو رفض الفرق والتجمعات السياسية، وفي إعلان الارتباط أو الفرار منها.

ـ في مسألة العلاقات مع الأفراد في الداخل والاتحاد معهم أو رفضهم، وكذلك في العلاقات الخارجية على اساس السلم أو التولي أو التبري.

ـ وفي النهاية في الإدارة والتنفيذ والتنظيم والقبول، والرفض أو مخالفة الديمقراطية...الخ.

٦ ـ في مجال المعنوية: يمكن مشاهدة حرية الأفراد في مجال المعنوية والعقيدة والعبادة. فهو حر في المسير نحو الذنب أو نحو الخط العبادي. يؤدي العبادات أو يصرف النظر عنها، من المتهجدين ليلاً أم التاركين لصلاة الليل. يُرائي في اعماله أو نتيجة إخلاصه، في سبيل الله تعالى أم غير ذلك و...الخ.

الباب الثاني

أهمية الحرية وضرورتها

هذا الباب في الواقع يبيّن كليات أخرى في مجال الحرية ونعرضه بأربعة فصول:

الفصل الأول: يبين الجانب الفطري للحرية، وعموميات الحرية بين الانسان والحيوان وتفاوتها بينهما، ونبحث فيه ميول الإنسان إلى الحرية والهدفية.

ـ الفصل الثاني: نتطرق فيه إلى ضرورة الحرية في الحياة الفردية وإلى علاقتها مع تكوّن الشخصية ودورها في النمو وظهور الابتكار والخلاقية وتأثيرها في الأخلاق والانتخاب و....الخ.

ـ الفصل الثالث: تحت عنوان ضرورة الحرية في الحياة الاجتماعية وفيه نتناول ضابطة الحياة وعلاقة الحرية مع الروابط الإنسانية، وأثرها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية و....

الفصل الرابع تحت عنوان مواضع الفرد قبال الحرمان من الحرية، وذكرنا فيه مسألة محدودية ومنع الحرية وكيف أنها أدت إلى السخط والعصيان والوقوف أمامها والنضال وأحياناً تؤدي إلى التعب وعدم الارتياح والرياء وعمل الخفاء والهروب من الحياة والبيت...الخ.

الفصل الأوّل

جنبته الفطرية

المقدّمة

حسب رأي المحققين وعلى ضوء المشاهدات والبحوث فإن طلب الحرية أمر فطري وذاتي في الإنسان والحيوان ويضاف إليها أحياناً بعض العوامل الاجتماعية وتحذف منها أحياناً أخرى. إن هذا الأمر واضح جداً حتى أنه يمكن القول بأن بذةر النبات تطلبها لأجل الخروج من الأغلفة والانطلاق إلى أعالى الفضاء والشروع بالنمو والتكامل، وهذا ينطبق ايضاً على الإنسان بسعيه والحيوان لأجل التطور الحر وهذا ما نشاهده في الأشهر الأولى بعد الولادة. من الطبيعي أن هذه الحرية محذوفة في الحيوانات الأليفة، أما في الإنسان فإنه ينظمها وفق قوته العقلية وإرادته والقانون. وحسب قول العلامة الطباطبائي: الأصل الطبيعي والتكويني الذي تنشأ منه الحرية هو أن الإنسان مجهز بإرادة وهذه تحفزه على العمل[1].

تُعتبر الجنبة الفطرية والذاتية في طلب الحرية لدى الإنسان من الفضائل

(١) العلامة الطباطبائي ﷺ: بحوث إسلامية ص ١٤٩.

ولكن بشرط أن يُسخّر ذلك بالاتجاه المطلوب والبنّاء والكمال، وإلا فإن هذا الأمر قد يسبب بروز المفاسد والعوارض الأخرى التي لا يمكن جبرانها ببساطة.

عمومية الحرية

كانت الرغبة في الحرية والسير إليها موجودان على طول التاريخ وفي جميع طبقات المجتمع وهذا من الأدلة الفطرية على وجودها في الإنسان. نلاحظ في جميع العالم أن الطفل وبسبب عامل حب الاطلاع يعبّر عن حريته بأشكال مختلفة، يتطفل في كل جانب لكشف أسراره، يريد لمس كل شيء ويذوقه ويطّلع على نعومته وخشونته و.... وهذا الأمر بحد ذاته طلباً للحرية وكما تعلمون أن هذا من عموميتها.

نشاهد هذه العمومية في الحيوان أيضاً وكما أشرنا سابقاً لو حبسنا حيواناً في غرفة أو قفص فإنه يخاطر بنفسه لنيل حريته وهذا الأمر يتجلى أكثر لدى الحيوانات غير الأليفة والتي تستأنس بالطبيعة.

النزاع والجدال لأجل كسب الحرية ونيلها أمر طبيعي في الحياة، خنق المجتمعات يؤدي إلى التحرك والانتفاض وقيام الناس بثورة.

ويعتقد علماء المجتمع أن أغلب الانتفاضات هي لإزالة المانع والتحرر من القيد[1] والحيوان يختلف عن الإنسان بذلك حيث أن احتياجات الحيوان من الماء والحب لا يمكنها أن تكون سبباً لترك طلب الحرية.

---

(١) اتوكلاين برتر: علم النفس الاجتماعي ج ١.

تفاوت الحرية في الإنسان والحيوان

فطرية الحرية في الإنسان والحيوان يمكن مشاهدتها عملياً من خلال بناء الحياة على أساس طلب الحرية والأمر المهم لهما عدم وجود قيد في الحياة، ولكن هناك تفاوت بينهما بالنسبة لهذه الرغبة وسنحاول شرحها بالشكل التالي:

ـ طلب الحرية في الحيوان قائم على الذات والفطرة أو الغريزة الصرفة ولكنها في الإنسان تقع تحت تأثير العقل أيضاً.

ـ محدوديتها في الحيوان واقتصارها على عدة نكات لكنها متنوعة لدى الإنسان وتشغل مساحة واسعة جداً كحرية البيان وانتخاب العمل والحرفة والزوجة واللباس والمسكن.

ـ تتشابه في جميع الحيوانات مهما اختلفت مجاميعها ولكن عامل الثقافة في الإنسان يجعلها متنوعة ومختلفة.

ـ ينعدم الاهتمام بالمصلحة لدى الحيوان بسبب أعتزازهم بالحرية في حين نرى تجاوز الإنسان لقسم من الحريات حفاظاً على المصلحة.

ـ يتميز طلب الحرية في الحيوان بالفردية فهو يفكر في نفسه فقط في حين أن الإنسان ينظر إلى مصالح المجتمع أيضاً.

ـ ينظر الإنسان الطالب للحرية إلى الشرع والعرف والعواطف والماضي في حين ينعدم هذا الأمر لدى الحيوان.

ـ الحيوان يطلب الحرية للفرار من الخطر وفي الإنسان علاوة على ذلك فإنه يأخذ بنظر الاعتبار عزة النفس والشخصية ويسعى إلى حفظ قيمة وجوده وسبيله عن طريق القبول بها.

ـ وهناك فوارق كثيرة أخرى يطول بها المقام.

ميول الإنسان إلى الحرية

يعتبر طلب الحرية من الميول الإنسانية القيّمة والتي يؤيده الدين[1] والفطرة ولو منع طالبها عن إدراكها فإنه سيتأثر بشدة ويعرّض نفسه إلى الخطر لاسترجاعها. ووجودها يؤثر على سلامة جسم وروح الإنسان ويتعرض من يصرف النظر عنها إلى أمراض واختلالات. بديهي أن الطبع السالم للإنسان يهديه إلى الاستقلال، وأما الطغيان وسوء الخلق والسلوك المنحرف وعدم رعاية آداب النزاكة وسوء المعاشرة نابع على الأغلب من الشعور بوجود المانع أمام الحرية.

لا يقتصر طالبها بالحرية فقط وإنما يبغي الحصول على تجربة قيّمة إلى جانبها ويعمل ويُظهر بنفسه تحت ظلها؟

الطفل الذي يصرخ وسط الجمع فإنه في الحقيقة يريد ن يُظهر نفسه أمامهم وكذلك عندما تصدر منه الشيطنة والتدلل أو يلقي بنفسه أحياناً إلى الخطر لأجل ذلك أو انّه يرغب في الاستفادة من حريته أو لكي يجلب انتباه الآخرين إليه.

يريد أن يستقل بطعامه ولباسه ويقف أمام الأوامر والنواهي ويرفع المحدوديات عن نفسه، فهو يتمنى أن لا يعلو عليه أحد وحتى أن قراراته تصدر من قبله فقط ، فهو يريد أن تقترن حرمته مع حريته وأن تُقبل شخصيته ويحسب لها حساب يتناسب مع مرحلته، وأن تُمنح له حرية أوسع، ويسعى تدريجياً إلى الخروج من قيد التبعية.

---

(١) الناس كلهم أحرار.

الحرية والهدفية

لا شكّ بأن العاقل ينظر إلى كل شيء على اساس أنه هادف. فهل أن طلب الحرية كذلك؟ يلزمنا التحقيق والتعمق للإجابة على ذلك.

ـ نجزم بأن الحرية بالنسبة للحيوان ما هي إلا لأجل الحرية فقط لأنّه حرّ ومحكوم بالحرية ، وقد اعتبر البعض هذا الأمر صحيح بالنسبة للإنسان أيضاً[١].

يقال أن الإنسان حرّ ومجبور على الحرية، يمكن أن يكون ذلك أكثر صحة بالنسبة للأطفال[٢] وأما بالنسبة للانسان البالغ العاقل فإن لهذا الموضوع جنبتين:

١ ـ فطرية الحرية تجبر الإنسان على الحركة باتجاهها.

٢ ـ الحرية وسيلة للوصول إلى المقاصد والأهداف. يحتاجها الإنسان للوصول إلى أهدافه وكذلك في عمله وفعاليته وحربه وصلحه وعبادته وزواجه وجميع الأعمال الأخرى. دور الحرية هنا كدور الأدات والوسيلة وفي نفس الوقت هي كل شيء بالنسبة له.

بعبارة أُخرى نقول أن الانسان موجود هادف وهدفه ناشيء من عقله، فهو يعلم ما يفعله وكيف يتخذ قراره، ولو حيل بينه وبين وصوله إلى الهدف فإنه سيضطرب ويتأوه[٣]، سيقاوم إن استطاع أو يهرب أو يحتال[٤]. القاعدة هنا هي

---

(١) أصالة الوجود.

(٢) لأن فطرته أكثر وضوحاً.

(٣) شعر سعد سلمان في السجن.

(٤) مثل الفرار من السجن.

الهدف، وأحياناً يصرف النظر عن حريته من أجل الوصول إلى هدفه ويوافق بعزله وحبسه من اجل ذلك[1]، وكما تلاحظون أن هذه الصفة مفقودة من الحيوان.

النشاط الناشيء من الحرية

عند سماع السجين بخبر اطلاق سراحه فإنه يشعر بلذة خاصة وبهجة لا نظير لها. كان الماضون يقمطون أطفالهم فعند حل القماط يفرح الطفل ويبتسم رضاءً بذلك وكذلك الأمر بالنسبة لتحرير الطير من القفص فنراه يُغرد ويسبح في الفضاء بفرح ونشاط إلى درجة يشعر ناظره بذلك.

نعود إلى الحبيس الذي فارق أحبته سنين طوال ويصل إلى مسامعه فجأه قرار الحرية، يطير فرحاً وتغمر السعادة جميع وجوده[2].

الطفل الذي يسمح له والديه بانتخاب لباسه وغذائه ولأول مرة يشعر بفرح عظيم فهو ينظر إلى الدنيا بنظرات جميلة ويستذوق لذة العيش.

---

(١) حياة الإمام الكاظم عليه السلام وسجنه.

(٢) والدنيا عنده كيوم حان انسلاخه، خ ٤٥ نهج البلاغة.

الفصل الثاني

ضرورة الحياة الفردية

المقدّمة

قلنا: أن الحرية أمر فطري ومن الحاجات الأساسية للإنسان وجـزء مـن حقوقه، كذلك فإنها شرط لرقيه وكماله ووسيلة لتحقق أمانيه وأهدافه التي يتعسر تحقيقها بدونها وفقدانها يسوّد الدنيا ويجعلها كالسجن.

الحرية أساس جميع القيم[1]، وحسب رأي الإسلام فإنها مقياس العـقاب والثواب وبزوالها لا معنى لذلك، فإن لم يكن مختاراً في بـيانه وسـلوكه وعـمله فسوف يُحذف ذلك المقياس عنه.

قلنا أن الحرية حق طبيعي للإنسان وفي ظـلها يكـون مسـؤول ويـخضع للسؤال وزوالها في الحقيقة يعني إنهاء مسؤوليته، فلو انعدمت الحرية سـيتزلزل مظهر الإنسان وتتزلزل معه التعهدات والتكاليف والمسؤوليات.

الحرية وتكوّن الشخصية

نحن بحاجة إلى افراد ذوي شخصيات ممتازة في مجال التربية، شخصيات

---

(١) جان پل سارتر.

معروفة وحسب الاصطلاح العلمي ذوي أبعاد إيجابية وقوام متين.

تربية الشخصية لا تقتصر على حرية المربي والمتربي في هذا المجال فقط. الحرية في الواقع مجموع من الصفاء والنمو والتكامل الإنساني والتعالي والرفعة[1] وعزة وشرف الإنسان وثقته بنفسه وهدوئه النفسي وإجراء إرادته و....، جميع ذلك يعتمد على التأمين الروحي والعاطفي له وشعوره بالحرية في حركته إلى الأمام.

لو سلبت حرية فرد فما هو شكل فرديته إذن؟ وما هو شعور شخصيته؟ وما هي ثقته في نفسه؟ وماذا يعني الاعتماد عليه في التقدم وتطوير الأمور.

في تكوين الشخصية الإنسانية ليس هناك ما يعادل قيمة الحرية ولا يوجد ما يعوّض عنها. جميع الأمور المرتبطة بالشخصية ابتداء من الجوانب الظاهرية والباطنية له إلى الأخلاق والسلوك والبيان وقوة التعبير جميعها يتعلق بالحرية، ومن ينطق بلسان غيره ويفكر بمخ الآخرين ورأيه ناتج من إلقاء الباقين فهو في الحقيقة عديم الشخصية.

ضرورتها في نمو الأبعاد

الحرية ضرورية لنمو الأفراد وتربية أبعاد وجودهم. في ظلها تزداد تجارب الفرد وتتهيأ الأرضية لظهور المهارات بالإضافة إلى حصول التعادل والتوازن الروحي.

(١) المجلسي، بحار الأنوار ج ٦٩ ص ٣٧٨.

الطفل الناشيء في محيط ضيق ومحصور وقاس لا يكون رشده ناقصاً فقط وإنما ستصيبه الاختلالات النفسية، في سنينه الأولى يحتاج إلى ظروف خاصة لنمو استعداداته وتساعده على تشخيص الصواب من الخطأ، نمو هذه الاستعدادات يحتاج إلى حرية في العمل والسلوك، يجب أن يكون الفرد حراً لإظهار ماهيته من خلال حركته وفعاليته، ولكسب التجربة وزيادة مهارته.

يحتاج الطفل إلى تعالي روحي وفي هذا السبيل الضروري يجب أن تحذف الموانع من أمامه وان المحيط الحر شرط أساسي في تكامل أبعاد وجوده لأن الجو القسري يعدم الأمل بالتحرك والبحث والقيام إلى التعالي والرشد، فكيف يمكنه إذن تفجير فطرته والوصول إلى مستوى القيادة الفكرية والعقلية لنفسه؟

يلزمه كذلك الإرادة الصلبة والفعالة والحيوية وهذه تحصل من خلال امتلاكه للحرية وخصوصاً في مجال تنمية الإرادة، يعتبر سلب الحرية قتلاً للإرادة الإنسانية وهذا سيجعل مسير التكامل عسيراً جداً.

ضرورتها في الابتكار والخلاقية

وجودها لازم لظهور الابتكار وتعتبر عامل مهم جداً في إبراز الذوق والخلاقية، لو أطلقنا يدي الطفل (مع وجود الاحتياطات) يعبث بالأشياء وإبعاده عن الوساوس والتعقيدات وهدايته إلى التفكير الصحيح فإن ذلك سيؤدي بلاشك إلى بروز الخلاقية والابتكار. يجب نفخ روح الاستقلال في فكره أو على الأقل لا نحطمها عنده. يجب منحه فرصةلبدء فعاليته المشروعة والمشروطة وإعمال إرادته وفق الضوابط والنظام.

يجب إلقاء أسئلة عليه وتحفيزه للبحث عن الجواب لأجل تحريك ذهنه وفكره فهذا الأمر يساعده في تفتح ذهنه وتنميته ونموّه، ويمكن أحياناً بعث التفكير في ذهن الفرد عن طريق إحياء فكرة معينة لديه وتحريكه إليها، وبعض الأوقات يمكن طرح مسألة عليه ونطلب منه الحل ويمكننا السؤال منه حول رأيه في بعض الموارد الأخرى أيضاً.

على أي حال فإن الحرية تعتبر أرضية مناسبة لإبراز الاستعدادات وتفتح العقل، وظهور الابتكار في حل المسائل والحصول على القدرة في مواجهة الصعاب، هذه المجموعة تؤدي إلى احترام الطفل وبناء ركن أساسي لشخصيته.

ضرورتها في الأخلاق

الأخلاق اساس العزة والسعادة البشرية، الطالب لحياة قيّمة وإنسانية عليه البحث عن الأخلاق والحقيقة والعدالة والعفة وأن ينمّيها في وجوده، ولأجل استحصال الصفات السابقة قد تصادفه المصاعب ولا يمكنه أن يتفوه بشيء.

الأخلاق العالية لا يمكنها أن تتشكل بعيدة عن الحرية ففاقدها لا يمكن لوجدانه النهوض والإنسانية بالنسبة إليه لا معنى لها في مجال الاحترام، فمن لايحترم حريته، لا يمكنه احترام حرية الآخرين، والذي يبقى اسير الآخرين لا يمكنه نيل الفضائل الأخلاقية والتسلق إلى المعالي.

الحرية أساس العظمة الروحية للبشر وهي تنجيه من حالة اليأس والتشاؤم وتجعل فيه القدرة الروحية والصراحة والشجاعة والسعي للقيام بالواجب وحينها يمكنه التقدم إلى طريق السعادة والحصول على فرصة الاختيار والانتخاب.

وعلى الضد من ذلك فإن عدمها يجعله أسيراً وعبداً للشهوات وهذا أردى من أن يكون عبد للعبيد: (لا يكون الحر عبداً لعبيده من أن يكون عبداً لشهوته)[1].

ضرورتها في الانتخاب

الإنسان موجود منتخب[2] وأمامه طريقي الخير والشر، وهذا حق طبيعي لتحمل المسؤولية وشرطها أساسياً للثواب والعقاب. يجب أن يكون حراً لكي ينتخب سبيله، ويتحرك، ويقرر على ضوئه. قيمة أي سعي وفعالية تعتمد على وجود الحرية في هذا السعي، فهو بدونها لا يمكنه إظهار قيمة العمل، ولا يبقى أي قدر لممارساته الاجتماعية والأخلاقية وكذلك لأعماله وسلوكه الديني.

نطمح أن يتملك الطفل الآن وفي المستقبل الحرية وحق الانتخاب لكي يطوي خطوات باتجاه السعادة، ولأجل الوصول إلى الهدف يجب أن يكون له القدرة على الانتخاب وتطبيق رغباته وإرادته المعتدلة، وسلب ذلك منه سيكون مؤثراً سلبياً على مستقبله حتى أنه سيعجز عن اختيار أي شيء جزئي له.

ضرورتها في مجالات أخرى

- يحتاجها للدفاع عن نفسه، وفق التجارب التي اكتسبها في حياته بالإضافة إلى دور العقل والفكر فإن الفرد يستعملها لكي يعد لنفسه خطة دفاعية

---

(١) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد. ج ٢٠ ص ٣٣٤.

(٢) الإنسان: ٣.

تحمي روحه وفكره ويدافع بها عن الحق، وهذه حاجة أساسية له، خصوصاً في حفظ بقائه.

ـ تلزمه لنيل أمانة السر والثقة بالنفس والصراحة في نقل القول وحفظ النفس والشرف والوقوف إلى جانب أصول الحياة.

ـ يلزمه النشاط والسرور ليتقدم إلى الأمام بمتانة وكفاية ويكون بحياته ذا معنوية عالية لضمان نموّه وعلوّه، يحتاج إلى مصدر للطمأنينة في حياته وللنجاة من التعدي والظلم والوقاحة واليأس والسير قدماً بهدوء.

ـ يحتاج اليها لطرح نفسه لاستحصال الشموخ والمزايا والقدرة ولهذه قيمة عالية يجب أن يعلم بقدرته ويسعى لكسب تجارب شخصية ويجري تجارب حول الكفاية ويعرضها للآخرين.

الفصل الثالث

ضرورة الحياة الاجتماعية

المقدّمة

للانسان وبحكم الضرورة حياة اجتماعية[١]، الحياة لم تكن قرينة العـزلة والانزواء ولا تصلح هكذا للإنسان الطالب للتمدن والرفاه.

تدعونا جميع الأديان والمذاهب والفلسفات إلى حياة اجتماعية يكسوها التعاون والوئام الفكري[٢] وهذا شرط أساسي للتكامل والرقي.

الحياة الاجتماعية بحاجة إلى المشاركة والمسايرة والاختصاص والفداء والصفح والإيثار وفي بعض الموارد إلى التعاضد والمساندة وهذا الأمـر يـلزمه الحرية، ويستحيل حصول سعادة الفرد والمجتمع بدونها.

اعتبرها البعض سراج الحياة وعامل لتنوير حياة الفرد والمجتمع[٣] وبدونها تفقد تلك الحياة صبغتها وصفاءها، وأما موضوع حدود هذه الحرية سنتطرق إليه في البحوث القادمة.

---

(١) الإنسان مدني بالطبع: إفلاطون.

(٢) القرآن والسنة.

(٣) محمد تقي مصباح: نظرة إلى الفلسفة ص ١٢.

الانضباط في الحياة

الحياة الاجتماعية قائمة على الحدود، ولكل شخص فيها حدّ يجب عليه العيش داخله والخروج منه يعني التجاوز على حريم الآخرين.

الحياة الاجتماعية قائمة على الحقوق، أي هي نوع من المعاملة الاجتماعية لهذا فإن مقابل كل موهبة يقدمها الآخرون لنا كالخبز واللباس والمسكن و ... توجب علينا تقديم عطائنا إلى الناس[1].

رعاية أصول الحرية في حفظ هذه الحقوق والحدود يُعدّ من الضرورات الملحة، وفي انعدامها تذهب هذه الحقوق والحدود ادراج الرياح.

الحياة محدودة جداً والقيام فيها باعمال بلا ضوابط ستبعدها عن القيم والاعتبار، وإن انعدمت الحرية انعدمت الرغبة برعاية الحدود والحقوق.

بدون الحرية يعجز الإنسان من تأمين الحياة المطلوبة وسيفقد القدرة على حفظ نفسه والآخرين ولا يستطيع حماية الضوابط اللازمة وهنا سيفقد الأمن معناه وستتعطل حماية العفة والشرف والحرمة.

الحرية في العلاقات

نحن بحاجة إلى حياة اجتماعية، وهنا يُطرح موضوع العلاقات، يجب علينا بناء العلاقات مع الآخرين وذلك لإشباع مستلزمات الحياة، ومساحة هذا الارتباط وسيعة وتشمل العلاقة مع أهل البيت وخارجه. الأطفال كذلك عليهم

---

(١) سورة التكوير ٢٩.

الارتباط مع زملائهم واقربائهم وأصدقائهم وسائر الناس ابتداء من البقّال وحتى الصيدلي.

جميع هذه الروابط ميسّرة في ظل الحرية وخصوصاً في مجال المعاملات وتبادل المواهب. تعددت وجهات النظر حول الروابط والارتباطات ونوعها وميزانها. منها:

يقول روسو: كل عضو في المجتمع الحر يضع نفسه تحت اختيار الإرادة العامة ومقابل ذلك يحصل على حقوق جديدة تسمى بالحقوق الاجتماعية.

ولا باس أن نشير إلى أن الإرادة الإلهية تحل محل الإرادة العامة في الدين الإسلامي وهنا يجب على كل شخص أن يضع إرادته في قالب نظام الإرادة الإلهية وأن يطلب ما يطلبه الله تعالى: ﴿**وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين**﴾[1].

تُبنى الحياة الاجتماعية السليمة على روابط سليمة والحرية أساس وقيمة هذه الروابط وشرط تحمل المسؤولية قبالها.

خلافاً لتصور البعض حول إطلاق الحرية، يجب القول بأن الحرية مقرونة مع التعقل وهذا الأخير يُعتبر صمام أمانها.

يقول العقل بأنه على جميع الأفراد العمل وفق القانون الكلي وهذا التعهد يلزمه الحرية (كانت)[2].

---

(١) الحق والواجب في القرآن.

(٢) جان اسميث: من ولف إلى كانت ص ٣٣٠.

في مجال الحياة الاجتماعية

الحرية ضرورية أيضاً في الحياة الاجتماعية والبرامج وفي الأمور الأخرى ومنها:

١ ـ في القرار السياسي: لاشك أن العضو المفيد فى المجتمع والذي يطمح إليه علماء الاجتماع يجب أن تكون له مشاركة في المجال السياسي، فلو عرّفنا السياسة هي علم بحث الروابط المتقابلة بين الناس والحكّام فيصبح من الواجب مشاركة كل إنسان في ذلك الأمر والاساس فيه قائم على الحق والحرية وليس فيه أي تضاد مع أخلاق وإنسانية الإنسان.

نحن بحاجة إلى الحرية في انتخاب الحكومة الأصلح، وفي إصلاح العلاقات السياسية، وفي التصويت للانتخاب، وطاعة القانون، وفي إدارة المجتمع وتمشية الأمور، وفي العلاقات الداخلية والخارجية، وفقدانها يسحق معنى السياسة والحكومة.

٢ ـ الحركة الاقتصادية: يحتاج الفرد إلى الحرية في العمل، والانتاج، والمعاملة، والمبادلة، واستثمار الابتكار، والخلاقية في الانتاج لاستمرار الحياة، وكسب العيش والقدرة على الشراء، والابتعاد عن الإسراف أو مراعاة مبدأ القناعة.

لأجل تحريك عجلة الاقتصاد نحن بحاجة إلى فرد تملؤه الحيوية والنشاط والتفكر والوعي، ويكون معتقد وصاحب نظر في الاقتصاد، وله خبرة في شروط العمل والاكتساب والمبادلة والمعاملة، .... ولو انعدمت الحرية في هذه المجالات فمن المستحيل أن يكون لنا افراداً يتصفون بما ذكرنا.

سلامة المجتمع من الأخطار والأضرار بحاجة إلى افراد مستطيعين يشاركون في مجال الخدمة والمساعدة كالإحسان والصدقات الجارية، قد اشار القرآن الكريم إلى ذلك في مواقع متعددة: كالإطعام[1] والإيثار[2] وتوقيف جزء من الأموال للخدمة العامة مثل بناء المدارس المساجد والملاجىء، وجميع تلك الأمور تلزمها الحرية أيضاً.

بالإضافة إلى ذلك فإن الابتعاد عن ذلة السؤال، وحفظ الكرامة[3] ورعاية حق المحرومين في الأموال[4]، والتعاون على البر والتقوى[5]، ورعاية حد الوسط في الصرف، وتجنب الإسراف والإقتار[6]....الخ، كل ذلك يحافظ على سلامة المجتمع.

٣ـ الأمور الثقافية: الفرد بحاجة إلى كسب العلم وإصلاح الفكر، وأن يصبح صاحب فلسفة ورأي بالحياة الفردية و الاجتماعية، ومطّلع على الآداب والأعراف والشعائر ومحترم لها، وعارف لموارد التقوى في مجال الفن، ورعاية القيم، واستعماله لبيان وأسلوب مناسب في الكلام، وكل ذلك بحاجة إلى الحرية أيضاً.

يتوقف حال ومستقبل ثقافة أي مجتمع على امتلاكه شخصيات حرة في التفكير، تستطيع تشخيص الرأي المناسب في الأيام الجارية والآتية، وعلى النقد

---

(١) الإنسان ٨.

(٢) الحشر ٩.

(٣) البقرة ٢٧٣.

(٤) الذاريات ١٩.

(٥) المائدة ٢.

(٦) الفرقان ٦٨.

والتقييم، وتحديد أفضل السبل لتطوير المجتمع، وأن وجود الحرية يضمن تحقق هذه الأهداف والوصول إلى الغاية المنشودة.

٤ ـ **مجال الأخلاق:** من مميزات الإنسان عن الحيوان هو امتلاكه للأخلاق ويمكن التعبير عنها من إحدى الزوايا هي مجموعة الضوابط الحاكمة على الروابط[١]، ولكن هناك اختلاف حول منشأ تلك الضوابط، فيعتقد البعض بأنها من استنباط الفرد، والآخرين يقولون من اتفاق المجتمع، ويظن الآخرون بانها من الأديان والفلسفات، وأما الإسلام فيقول بأنها من الله تعالى.

وجود الأخلاق أمر ضروري في الحياة الفردية والاجتماعية، لا يجدر بنا أن نقف ضد حسن التفاهم والصفح في الحياة الاجتماعية، وكذلك يجب احترام عقائد الآخرين والانسجام والتحابب[٢]، المجتمع الإنساني بحاجة إلى الطهارة والإخلاص والصبر والحلم، التعاون والتعاضد، ورعاية جميع ذلك بحاجة إلى الحرية.

لو تعرض الفرد إلى التهديد والضغط فإنه سيشعر بالاضطراب وعندها يعجز عن إقامة علاقة حسنة مع الآخرين تتصف بالصداقة والعطف والصميمية والصرامة وكذلك سيتلكأ في رعاية الأصول والضوابط الإنسانية والأخلاقية.

٥ ـ **الرقابة الاجتماعية:** تعتبر الرقابة الاجتماعية وهداية الآخرين وتوعيتهم على ضوء مبدا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أولويات المجتمع السليم كما أيدت ذلك جميع المذاهب والأديان[٣].

---

(١) رأي الكاتب.

(٢) فرير: الحرية والحيثية الإنسانية ص ٢٣ (النص فرنسي).

(٣) التوبة ٧١.

يؤكد الإسلام على أن الإنسان يجب عليه أن يكون واعياً للوضع الجاري وللمستقبل وأن يقف ضد التخلفات، وأن يعلن انزجاره منها، ويدعو الناس إلى السعي الجاد والمثمر، والقضاء على التمييز والفساد، وأن يدعم ويعجّل في الأمور التي تؤدي إلى التطوير، وأن يكون مسؤولاً أمام مجتمعه ومالكاً لحق التدخل في الأحداث.

للوصول إلى هذه الأهداف تصبح الحرية أمراً ملحاً خصوصاً في مجال الوعي للقيام بالإشراف والرقابة، لأن ذلك يحتاج أحياناً إلى التدخل خاصة في مجال الأمر بالمعروف النهي عن المنكر.

الفصل الرابع

الموقف أمام الحرمان

المقدّمة

الحرية نعمة عظيمة وموهبة إلهية وذكرنا بأنها فطرية وطالبها يشعر بالنشاط والسرور وفاقدها معذّب.

تشير البحوث إلى مواقف الأفراد ضد الحرمان، والتحديد، والاستبداد، وكيف أنها تؤدي إلى القضاء على تلك الموانع.

لتوضيح هذا الأمر نلاحظ أحياناً مقاومة البعض حتى أمام الأعراف الاجتماعية والمحذورات الشرعية والعادات والتقاليد والمصلحة العامة عندما تتعارض مع حريتهم ونرى البعض الآخر يلجأ في الخفاء أو يرتكب الذنب سراً[١]، لا نريد أن نقول بعدم الوقوف أمام بعض الحريات ولكن ما نعنيه أن الافراد لم يعتادوا على ذلك أو لم ينشأوا عليه.

الموقف الدفاعي

هو المقاومة أمام المحضورات واستعمال أساليب مختلفة لإزالتها وفي

(١) ارتكاب الذنب، الاستسلام إلى الفحشاء و .... من هذا القبيل.

بعض الأحيان تتبلور بالمواجهة وإعلان السخط مقابل ذلك، لهذه المواقف اشكالاً متعددة شرحها يُطيل المقام ولكننا نستعرض بعض التي تشتهر عند الأطفال، منها:

١ ـ **السخط**: يشكل الموقف الدفاعي حسب رأي علماء النفس اساس حياة الطفل وهو من حاجاته الأساسية. يلجأ الطفل إلى السخط لتسكين نفسه وانقاذها من الهيجان والاشتعال الذي ينتابه ونماذج ذلك كثير[١] منها:

ـ العصيان: يعصي الطفل أحياناً من يقف أمام حريته، ويسخر أحياناً من أوامره ويخالف برامجه، ويتربص أحياناً الفرصة لإبداء رد فعل شديد، وإن استمر هذا الحال سيؤدي إلى أن يكون عادة له.

ـ الهجوم والإيذاء: يُظهر أحياناً حالات انتقامية كالهجوم تعبيراً عن رفضه للمنع الصادر، وهنا تكون النتيجة أشد خطراً وغير قابلة للجبران أحياناً.

ـ الاعتراض والصراخ: عندما يعجز عن الانتقام والعصيان يلجأ إلى أسلوب الصراخ للتعبير عن اعتراضه وعدم رضايته، وهو يبغي من ذلك خلاصه من القيود وإعادة حريته إليه.

ـ الالفاظ البذيئة: وهو موقف آخر أمام المحظورات، ويمثل قول الفحش والسب وغيرها وكلما كان رد الفعل باتجاه ذلك الموقف شديد سيكون فعل الطفل أكثر سخطاً وعصبية.

٢ ـ **استرداد الحق**: وهو موقف دفاعي آخر أمام الممنوعات وضد الأفراد الذين سلبوا حريته وهذا له صور مختلفة:

---

(١) مراجعة الطبيب النفسي.

ـ التخطيط: لإفشال تلك الأوامر وإزالة السد المعترض، يلجأ أحياناً إلى الحيلة والاستغفال.

ـ المقابلة بالمثل: قد يلجأ إلى الضغط على المقابل مثلاً غلق باب الغرفة من الخارج أو إخفاء حذائه لصرف نظره عن أمره الصادر.

ـ النضال: نوع من المواجهة واسترداد الحق، يصطدم الطفل بمن يمنعه حريته، ويسعى لإزالة المانع بطريقة أخرى، إن الخصام والعراك بصورة عامة تقع تحت هذا العنوان (الحروب التحررية)[1].

٣ ـ الاستسلام: بعض الأفراد ييأس من الوصول إلى الهدف فيعلن استسلامه أمام قوة الأمر وهذا النوع يكون مصحوباً بما يلي:

ـ الكآبة: كالابتعاد عن المجتمع وإيذاء نفسه وتظهر عليه علامات الاضطراب والتشوش ويفقد جرأة الدخول إلى المجتمع وهذا شيء خطر جداً ويؤثر على مستقبل الطفل وقد يتطور الأمر أحياناً إلى الانتحار.

ـ تعطيل قواه: يقتل الاستسلام أحياناً جميع رغبات الطفل ويعتقد بأنه سيصل إلى حريته عن طريق تعطيل القوى في حين أنه سيضيف قيداً آخر إلى حريته المسلوبة سلفاً ويتصور أن ما يريد فعله مضراً أيضاً، وهذا أمر خطر جداً وغالباً ما ينزوي نتيجة ذلك ويستلقي على ظهره ويتظاهر بالنوم.

ـ التوجّع والأنين: قد يصاب بعضهم بحالة (النقنقة) والتحجج والتأوه وهذا في الواقع يؤدي إلى تحطيم شخصيته، وسيعتاد على ذلك أمام الجميع، وقد يرافقه إلى مراحل عمره المتقدمة.

---

(١) أعد الإسلام برنامجاً لمحاربة من يقف أمام التبليغ والدعوة الإسلامية.

ـ التشاؤم يصاب أحياناً بالتشاؤم، وهي حالة يطغى عليها النفور والخصومة، ويسيء الظن بالجميع، وحتى أنه يتشائم من حياته ودنياه، وهذا مقدمة لإخراج نفسه من الدينا.

٤ ـ **مواقف أُخرى**: هناك مواقف أخرى نوجزها بما يلي:

ـ الرياء: للنجاة من القيود يلجأ إلى التصنع من أجل الوصول إلى الهدف. ويصاحب ذلك الخديعة والغش.

ـ الهروب: الهروب من المدرسة أو البيت بغية الحصول على مكان آمن يفعل فيه ما يحلو له.

ـ الهروب من الحياة: وهو ما يصيب الأفراد الحساسين والذين يتوقعون الشيء الكثير دائماً والذين يتعرضون إلى التحديد والتوجيه إلى طريق مسدود.

ـ الهم والغم: وأعراضه قلة الكلام والاختلاء بالنفس.

ـ الاستهزاء: من الأفراد الذين يعتقد بأنهم خصماؤه ويعتقد بأن هذا هو السبيل الوحيد لنجاته من الوضع الحالي.

ـ الاتكالية: وفي هذه الحالة يسعى إلى الاستئذان لكل عمل وإقدام من والديه وهذا يسبب له متاعب وللآخرين كذلك.

ـ البعد عن العائلة: إن كانت الممانعة من الوالدين فإنه يستعيض عنهم بالأصدقاء ولهذا نراه أغلب الوقت خارج البيت وهذا شيء مضر.

ـ الإخفاء: قد يلجأ إلى التستر والإخفاء، ويعمل ما يريده سراً.

ـ مواقف أخرى مثل الأخلاق السيئة والفوضوية والوقاحة والثرثرة والتملق والخشونة والشعور بالضعف والحساسية وقضم الأظافر والشعور

بالقلق في الحياة واستصغار نفسه والشعور بأنه مطرود ولكل منها نتائج خاصة.

وبسبب ذلك قد يؤدي إلى فقدان ثقته بنفسه ويصبح في حالة دوامة مستمرة من التفكير، وأحياناً يطول به المقام في المراحيض ويصاب بالقرحة أحياناً في معدته، ويلجأ إلى تقليد الآخرين بشدة، ويتوقف عنده الابتكار و... وعلاوة على ذلك فإنه يتأثر للأشياء التافهة وهذه الحالة تزداد عند الشباب.

الباب الثالث

استثمار الحرية في التربية

نعرض في هذا الباب خمسة فصول تتناول موضوع ضرورة الحرية في التربية:

ـ الفصل الأول: يتناول ضرورتها في تلبية الحاجات الأساسية للإنسان كالقيام بالاعمال الشخصية وتحسين العيش وإبراز الابتكار وتنمية الخلاقية والدفاع عن النفس وحق الانتخاب و...

ـ الفصل الثاني ويتناول النظم والضوابط ونذكر فيه بعد المقدّمة مفهوم الانضباط وضرورته وأهميته وعلاقة الانضباط بالحرية ونوع وأسلوب عمل الضابطة.

ـ الفصل الثالث: يبحث ضرورة الحرية في مجال المسؤولية وشرح ذلك على اساس أن الإنسان موجود مسؤول ومتعهد ويجب عليه التدرب على ذلك.

ـ الفصل الرابع: يوضح ضرورة الحرية في تعالي وكمال الإنسان ومحوريتها في مجال الانتخاب والنمو والتحرر والاستقلال والبناء والتجديد و...الخ.

ـ الفصل الخامس: ويُبحث فيه ضرورتها في التنمية الاجتماعية ويتناول ضرورات الحياة الجمعية مثل الأخلاق والمدنية والسياسة والعمل و...الخ، وعلاقة ذلك بالحرية.

الفصل الأوّل

سدّ الاحتياجات الأساسية

المقدّمة

الحرية أمر مهم وأساسي بالنسبة للأفراد المتميزين والذين نعدّ وجـودهم ضروري من جهات معينة. سلب الحرية من الأفراد يؤدي إلى شعورهم بالإخفاق ويصبح البيت أو المدرسة وحتى المحيط الاجتماعي في نظرهم سجن يجب بذل الجهد للتخلص منه.

أما الطفل فحاله عند فقدها كحال البلبل الفاقد لقدرة التغريد، وثقة النفس عنده ميتة، وتتعطل لديه القدرة على التصميم، وهذا سيكون له آثـاراً سـلبية لا يمكن جبرانها.

ما نبغيه من تربية الافراد هو انتاج جيل يكون مـفيداً لمـجتمعه، ويـمكنه اتخاذ القرارات اللازمة لنموه، ويتصف بصحة الجسم والروح، وسلوكه إنســاني، وفكره سالم، وذهنه متفتح، وفي سعي دائم لأجل الوصول إلى الأهداف الإنسانية.

ما نريده هو إنسان عالم، صاحب إرادة، وفعّال ويدرك مسؤولية العـيش، ويعمل لأجل تحسينه، وقادر على نشر الفرح والسرور والنشاط اللازم، وقـادر

كذلك على الدفاع عن نفسه وجسمه وحرمته وقيمه في معترك الحياة.

للوصول إلى هذه الأغراض يلزم منح الحرية للأفراد، ونعلم بأن سلبها يعرقل وصولهم إلى الهدف، وقد يصل بهم الأمر لأن يصلوا إلى مستوى لا تنطبق عليه مواصفاة الإنسان.

الحاجة إلى الحرية

كما تم تصوير حاجة الأفراد إلى الحرية، هناك الكثير من التوصيات في هذا المجال نذكر قسم منها مع مراعاة الاختصار:

١ ـ **في مجال القيام بالأعمال الخاصة:** يتحمل الإنسان لمسؤولية معينة سواء كان في المجتمع أو حين طفولته وهو في كنف عائلته، وهذه المسؤوليات تتعلق بأعماله الشخصية التي يمكن ذكر قسم منها:

ـ في سد احتياجاته الأساسية التي يتعامل معها إلى نهاية عمره.

ـ في تهيئة الغذاء ورفع الجوع، ويتحمل الوالدين مسؤولية ذلك في سنينه الأولى ومن ثم يحتاج إلى قوة ومعين وناصر على ذلك الأمر.

ـ لرفع العطش: يستغني عن طلبه من والديه، ويعتمد على نفسه في ذلك من أيامه الأولى التي يستطيع فيها الوصول إلى الماء.

ـ جلب وجمع أدواته اللازمة لنومه واستراحته.

ـ لبس الملابس وخلعها، يجب أن يستقل في ذلك تدريجياً.

ـ الغسل والنظافة.

ـ وفي الموارد الأخرى اللازمة في حياته نرى بأنه بحاجة إلى الحرية فى جميع الحاجات السابقة الذكر.

٢ ـ في تحسين عيشه: طفل وصبي ويافع وفتى ومن ثم فرد في مجتمع، في جميع تلك المراحل يحتاج الفرد إلى وضع جيد في حياته، وفي تحسين عيشه يحتاج إلى الحرية للوصول إلى الأهداف التالية:

ـ توفر الأمن في محيطه وتوفير الأرضية المناسبة للشعور بالأمن وعدم الخطر.

ـ تنظيم وتقسيم أوقات الليل والنهار لأجل العمل والسعي والتحصيل والمطالعة واللعب والمعاشرة والنوم والاستراحة والعبادة.

ـ ملىء وقت الفراغ بصورة مفيدة ومؤثرة في إغناء الحياة والحيلولة دون ظهور الأمراض النفسية والانحرافات.

ـ النظم في الأمور ورعاية الانضباط وحفظ الذات في الموارد التي تقتضي المصلحة لذلك في ظروف مختلفة.

ـ حل المصاعب والمشاكل الاحتياط التام لذلك لأن المشكلة ترد إلى الواقع بدون إنذار.

٣ ـ إظهار الابتكار وتنمية الخلاقية: يحتاج الفرد إلى الحرية لكي يتمكن من تنمية استعدادته وقدراته الذاتية وإبرازها إلى الواقع، ويُظهر ابتكاره ومن خلال ذلك يطرح شخصيته للآخرين.

الكثير يملك الخلاقية ولكن لا يوجد الظرف المناسب لاظهارها، مثلاً إذا اردت لمس بعض الأشياء فإنك ستواجه بالمنع والرفض وخير مثال لذلك، الطفل

عندما يمنح الإجازة من والديه نراه يبتكر أشياء بسيطة كجمع الطوابع ووضع الطوابيق فوق بعضها للعب. يجب إعطائه الحرية ليتمكن في ظلها طي مراحل الكمال على أساس تخطيطه واستثمار استعداداته التي أودعها الباري تعالى في ذاته وبمساعدة نصح وهداية والديه يمكنه التقدم بخطوات سريعة إلى الأمام.

٤ ـ في الدفاع عن النفس : يحتاج الإنسان إلى الدفاع في حياته، الدفاع عن الجسم لحفظه من الأخطار والأضرار والدفاع عن الفكر في الموارد التي يكون فيها إحقاقاً للحق، والدفاع عن العقيدة التي امتزجت مع دمائه وكذلك الدفاع عن إيمانه.

الحرية شرط اساسي لامتلاك القدرة الدفاعية، إعطاء الحرية للفرد للدفاع عن نفسه يعدّ نوع من الاحترام لشخصيته وهو مهم جداً لشعوره بقيمته وقدره.

ومن أقسى الأمور على الإنسان أن يكون مكبّل اليدين واللسان في حياته ولا يستطيع الدفاع عن حقه.

٥ ـ في حق الانتخاب: الإنسان موجود منتخب كما عرّفناه سابقاً وهذا الاختيار ناشيء من الحرية الفطرية، وهو موهبة عظيمة من الباري تعالى، ومؤثر قوي في تحديد المصير والإحساس بالمسؤولية. يستطيع إلى جانب هذه الصفة صنع مستقبله (حسناً أو سيئاً) ويكون مسؤولاً عنه ومحاسباً عليه.

الثروات الفطرية لا يمكن حفظها خلف الستائر وإهمالها لان منع الفعالية الفطرية تؤدي إلى ضرر الفرد والمجتمع، وفي بعض الموارد تكون خطرة جداً، وأن الكثير من المعارك والحروب الداخلية والخارجية سببها أن الفرد يشعر بأنه في حالة مواجهة مع فطرته. يجب إعطاؤه الحرية بما يتلائم مع حجمه ورشده ودرجة إدراكه وفهمه ومقدار قدرته على الاستعمال الصحيح لكي يستطيع اختيار

الأحسن، وعن هذا الطريق سيتمكن من الشعور بالاستقلال والشخصية.

لاشك أن الاختيار الأولي يكون بين شيئين وبعدها يتطور إلى عدة أشياء[1].

٦ـ **في تأمين الانشراح والنشاط**: إعطاء الحرية إلى الطفل وإطلاق يده في الانتخاب يكون سبباً في فرحه ونشاطه ورضاه الباطني وهدوءه وجميع ذلك يؤدي إلى الفعالية باتجاه التكامل.

فقدان الانشراح والنشاط يؤدي إلى ضياع الشجاعة والجرأة، والتي هي ضرورية جداً في الحياة، ولا يمكن التغلب حينها على الأنانية وحب الذات، وتضمحل قدرتهم في غلبة هواهم، ويصبح الإنسان أسيراً وتابعاً يعجز عن صنع مستقبله الحسن.

في ظل تأمين النشاط والانشراح يمكن للفرد أن يُقرر على ضوء العقل والإرادة، ويقف صامداً أمام المصاعب، ويكون قادراً على حلها، ويترفع عن الحقارات والدناءات ويسير بطريق الصواب.

٧ـ **في مجالات أُخرى**: وبالنهاية لو شاهدنا الحرية تقف على جانب التفاؤل والتفكر وتستخدم بصورتها الصحيحة فإنها ستكون أرضية مناسبة للنمو المادي والعقلي للفرد، وأساساً لصنع الحياة وسبباً في توفيق الإنسان أثناء الامتحان الإلهي.

لو وُجدت الحرية مع العقل فإن الأخير سينمو بصورة يجعل صاحبه قادراً على عدم الدخول في أي سبيل سوى طريق الحق.

---

(١) في الطفولة نقول له: اختر لك قميصاً بين هذين، وفي الصبا نقول له: اختر لك واحداً بين هذه القمصان الثلاثة.

الفصل الثاني

النظم والضوابط والانضباط

المقدّمة

يؤكد علماء النفس على الاهتمام بثلاثة أسس واصول في تربية الطفل[1]، أصل المحبة مصحوب بالحماية وأصل الحرية واصل الانضباط، ومزيج هذه الأصول مع رعاية النسب الملائمة لمصلحة ورشد الطفل يُعتبر من واجبات الوالدين والمربين وان إهمالها له آثار سلبية، ومن الأمور المعقدة بالنسبة للمربين السيطرة على انضباط الطفل خصوصاً إذا كانت هناك مشاغل أخرى لدى الآباء والمربين ويتعسر عليهم التواجد دائماً إلى جنبه لإعطائه النصائح اللازمة التحذيرات المهمة في الوقت المناسب.

والغفلة عن ذلك أحياناً يؤدي إلى الإهمال الذي سينعكس على الوضع الحالي والمستقبلي له.

مفهوم الانضباط

الانضباط يعني ضبط النفس أمام عوامل الزلل، ويقع هذا المصطلح مقابل

---

(١) للكاتب: علم النفس وتربية الطفل، من ص ٨٣ الى...

الحرية المطلقة وغير المقيدة. أساس الانضباط هو السيطرة والمراقبة لحالات وحركات ومواقف الفرد ولهذا منافع ملحوظة للطفل وأمان من المخاطر يحصل هذا الأمر عن طريق الآخرين أحياناً وأحياناً عن طريق الشخص نفسه، وهذا لا يعني تحطيم الرغبة الطبيعية للفرد وإنما وضعها داخل ضابطة وتحديداً لسلوكه. يمكن تشبيه الحرية بالشعلة فإن وضعت بالمكان المناسب فإنها ستؤدي إلى تدفئة المحيط وإن تُركت لحالها ستسبب المخاطر. أما المراقبة الذاتية والانضباط الذاتي فإنه ينشأ من الوعي ومن أهميته القصوى، وهذا يحتاج إلى رفع مستوى معرفة الفرد وتحفيزه لكي يصبح رقيباً على سلامة جسمه وروحه وللوصول إلى هذا الهدف يلزمه ذلك الحرية.

ضرورة وأهمية ذلك

يعتبر الضبط، النظم أحد أهداف تربية الطفل. إن كان هدف الإنسان إخراج عضو مفيد للمجتمع، وإن كان الغرض هو توسيع التعاون الاجتماعي وإطلاق الحريات المشروعة والتنمية والتقدم الثقافي فإن جميع ذلك يستلزم الانضباط ووجود الضابطة.

تفرض الحياة الاجتماعية وجود الانضباط في حياة الفرد لكي يتمكن الجميع من الوصول إلى حقوقهم والإيفاء بتعهداتهم وخلاف ذلك لا يمكن حسن الظن بالمجتمع وأو صلاحه.

وجود الانضباط يؤدي إلى منع الفوضى والأنانية والعُجب وعدم الأمن.

يرغب الطفل أحياناً ببعض الأمور المضرة له فيضع الوالدان والمربون

الضابطة لذلك، وفي بعض الأحيان يستلزم الوقوف أمامه خوفاً من وقوعه في الانحراف خصوصاً في مجال سلامة الروح والأمن الفكري.

نعم يعيش الطفل والشاب حالة من الصراع لأجل تطابقه مع النظم الموجودة خارجه، توجد في داخله رغبة صريحة للحرية المطلقة وهذا ليس بصلاحه ويجب تحديدها بإطار ضبطي مع أنهم سيمانعون على ذلك.

الانضباط والحرية

التمعن في مصطلح الانضباط يُبدي أنه في تضاد مع الحرية لكن الحقيقة غير هذا.

الحرية شرط لتحقق الانضباط، في ظل الانضباط يمكن للفرد أن يحصل على حقه وأن يعلن عن أهدافه السرية وأن يستجمع حريته ويوجهها إلى جهتها المناسبة.

يظهر معنى الحرية إلى جانب الانضباط وتبرز شخصية الفرد إلى العيان.

أغلب الأطفال والشباب الذين يخلقون المتاعب لآبائهم ومربيهم ومحيطهم الاجتماعي هم من الذين لم يستجمعوا حرياتهم ويضعوها في قرارها المناسب. من المهم أن يكون الإنسان منضبطاً في جميع أعماله، في تنظيم أوقات فراغه، والقيام في وظائفه ومسؤلياته، وأن يهتم بالقانون وقواعد الحياة، وأن يجعل لنفسه حيثية واحتراماً من خلال دركه وفهمه. لو تعلّم الحرية مع الانضباط بصورة مناسبة وسار تحت إشراف العقل سيكون ذلك مأمن للأفراد وتصبح حياتهم ذات معنى، وسلوكهم وحركاتهم خالية من المنغّصات، وبهذا نستنتج أن

الانضباط ليس محطّماً للحرية، ولكنه يقننها ويضعها في إطار الضابطة، وهو عامل مهم للحياة العقلية، وسبباً لاستقرار الفرد في مسيره الطبيعي باتجاه الهدف.

نوع الانضباط

كما أشرنا إلى أن الضبط يمكن أن يكون ذاتي ويمكن أن يحصل من الغير، لكن الانضباط المهم والقيّم للجانب التربوي هو النابع من الذات والمحمّل على النفس ليصبح جزء من وجوده، أما الانضباط المفروض هو تقليدي وأعمى وقصير الأمد وإن استمر يصبح قسرياً ومرفوضاً لكن الرقيب الذاتي مدعوم من الباطن وهو طويل الأمد وبدون أي قسر أو فرض ولا يصاحبه شعور بالعذاب والانقياد بل العكس العمل به باعث على النشاط، إذن نوع الضبط علاوة على كونه ذاتياً يجب أن يتناسب مع عمر وسعة صدر الفرد وأن يتصف بالشمولية وأن يُخضع جميع الأعمال والسلوكيات إلى سيطرته، وبالتالي فإن هذا النوع يجب أن يأخذ بيد الفرد إلى الأهداف العالية وأن يكون أرضية مناسبة للخير والسعادة.

أسلوب تطبيق الانضباط

يجب تطبيقه بالشكل الذي يشعر بحاجته الطفل دائماً وأن لا يتحسس منه سلباً ويولّد لديه عقدة، يجب أن يكون بصورة لا يعتقد الطفل بأنه نوع من الظلم وعدم عدالة الأبوين.

مستوى الضغط على الطفل في ظل الانضباط يجب أن يكون عقلائياً وطبيعياً وغير قسري أو يكون التسليم المطلق هي الغاية، يجب أخذ رغبات

الطفل المشروعة بنظر الاعتبار، وأن لا يتولّد لديه شعور بأن ما يطلب منه ناتج من ضعفه أو صغر سنّه أو قلّة حيلته وعدم نضوجه، يجب أن نجعله يقتنع بمواقف والديه وما يطلباه منه بحيث يصبح مماشياً ومؤيداً لهما حول الضوابط المطلوبة، وحتى يجب عليه أحياناً أن يمارس تمرين الانضباط وأن يخطط لنفسه ولحياته ويضع برنامجاً لهما حتى أن شكله ومظهره يجب أن يكون بالوضع الذي يشعر معه بالسرور والنشاط.

البداية والعاقبة

يجب أن تبدأ عملية الضبط من الأشهر الأولى لعمر الطفل ليعتاد عليها، ويوضع له نظام في غذائه ومنامه واستحمامه وتنظيفه، يجب أن يوضّح له من السنين الأولى بأن هناك حدوداً يجب مراعاتها، لا يمكنه الذهاب إلى كل مكان أو لمس كل شيء أو القيام بأي حركة يريدها.

الموانع والمحدوديات تتناسب مع عمر الطفل ومقدار استيعابه والأجدر بذل الجهد لجعل تلك الضوابط متأصلة في ذاته لتصبح جزء من وجوده ويجب أن يرافق ذلك تعليم وهداية وحسب قول أحد العلماء:

ليس الانضباط أن تمنع الطفل من الصعود إلى الشجرة ولكن الانضباط هو تعليمه طريقة الصعود.

ويستمر الضبط إلى نهاية العمر معه إلا أن فترة تكوّنه هي دور الطفولة ويجب أن يستقر قوامها في فترة الشباب وأن تصبح من الثوابت في رجولته وهكذا فإن التذكير المستقبلي سيجعله يتكامل ويتقدم.

بعض النقاط المهمة في تطبيق الحرية والانضباط

يجب أن لا ننسى ما يلي:

-الانضباط ليس هدفاً وإنما وسيلة إلى التربية الصحيحة.

- يجب تفهيمها إلى الأفراد قبل تطبيق أصولها وضوابطها وهنا يؤخذ بنظر الاعتبار فهم ودرك الأفراد.

-إذن درك وفهم الأمور الضبطية يجب أن يُنفّذ بصورة حتمية من خلال تطبيق الضغوط لأن وجود الحدود إلى هذه الغاية يعتبر من الأساسيات والمهمات.

- يقوم أصل تطبيق الانضباط على المداراة وليس على التهديد والتخويف والعقاب والاستبداد.

- مع وجود المراقبة المستمرة في تطبيق الأمور، إلا أنه يجب غض النظر عن البعض منها.

- لا يفوتنا أن الأصل في الانضباط هو استعمال الأسلوب الصحيح للقوى الفطرية والظروف والإمكانات.

- يجب تفهيم الطفل خلال تطبيق أسلوب الضبط بأنه وللوصول إلى الحرية يجب بذل السعي الأكثر وبناء النفس وإظهار القدرات الذاتية إلى الخارج.

الفصل الثالث

الحرية والشعور بالمسؤولية

المقدّمة

تلعب الحرية المنضبطة دوراً أساسياً في مجال التربية وبدون ذلك لا يمكن تحقيق الأفضل منها. يحتاج المجتمع إلى أفراد يحسنون الفهم والتصميم ويطبقون ما يستخلصونه من الأمور.

ومن الأهداف المطروحة في التربية الإسلامية هي تربية أفراد يشعرون بالمسؤولية ويتحملون عبء الواجب بصورة جيدة ويحسنون أداءه. تعيين التكليف والمسؤولية بدون رعاية الحرية أمر قبيح. الأطفال في المحيطات الجيدة والصالحة يكتسبون العمل الحسن، وفي الجو العاطفي والمقرون بالعدل والحرية يصبح الطفل حراً وقادراً على تحمل المسؤولية.

توفير هذه الأجواء ليس من واجب الوالدين فقط وإنما هي مسؤولية جميع من يعيش في المجتمع الإسلامي ويستطيع تقديم الخدمة للآخرين.

التعهد ومسؤولية الإنسان

الإنسان حسب ما أشار اليه القرآن الكريم موجود مكلّف[1]

---

(١) الأحزاب ٧٢.

ومتعهد[١] ومسؤول[٢] ويجب ان يكون متقبلاً لهذه الأمور وأن يُسخّر نفسه لذلك. مساحة هذه المسؤولية واسعة وتحيط بجميع أمور الفرد وأبعاد وجوده ومن هنا يجب عليه أن يعدّ الجواب المناسب في الحضرة الإلهية.

إن قبول المسؤولية والتعهد، والأهم منه رعاية وإجراء ذلك يحتاج إلى الشعور بالحرية والاطمئنان وإلى استعمال القابلية الموجودة فيه. إن تجربة الشعور بالمسؤولية تحتاج إلى أن يكون الفرد حراً لكي يستطيع امتحانها وتطبيقها. لاشك أن درجة السؤال يجب أن تتناسب مع مستوى الحرية المعطاة للأفراد في مسؤولياتهم وقدرتهم على الاختيار.

نعم المسؤولية قائمة على الحرية، والحرية من هذا الجانب هي انعدام المانع عن طريق حركة المسؤول. ويجب أن يكون الطفل واعياً في أداء وظائفه ومسؤولياته وهنا سيتجلى طريقه بوضوح وفي نفس الوقت يجب ان يكون مقتدراً لكي يسير قدماً بجرأة وحرارة وبدون أي معرقل.

تمرين المسؤولية

من أجل تهيئة الأرضية اللازمة للحرية والمسؤولية يجب تشجيعه على التمرن، ومثال ذلك: مشاركته في بعض أعمال البيت وإعطائه جزء من المسؤوليات الدائمية، يجب تشجيعه على أداء وظائفه بصورة حسنة وحتى إن تعرض إلى الإحباط لا نقوم بلومه وإشعاره بعدم لياقته لذلك.

---

(١) يس ٦٠.

(٢) الإسراء ٣٤.

أداؤه للمسؤولية يجب أن يكون بصورة واعية وحرّة وبعيداً عن التسرع أو نجعله يلجأ إلى تقليد الأطفال الآخرين، يجب منحه الفرص اللازمة لإظهار ابتكاراته في مسؤوليته، واستخدامه لعقله وإيمانه في ذلك وفي النهاية لا نتركه بلا حساب يتقدم به.

يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار فهمه وشعوره واستطاعته وحجمه في تحمل المسؤولية وحين المباشرة بذلك يجب عليه إزالة الموانع من طريقه وأن نسأله الرأي في كيفية العمل وأن نفسح له المجال بإعطاء رأيه في النزهات والاستضافة والبيع والشراء لممارسة تمرين المشاركة بالرأي. لو كان العمل الموكول له صعباً وثقيلاً عليه يمكنه رفض ذلك بصراحة.

الوقت والعمر المناسب لهذا التمرين

ما هو العمر المناسب لبدء تمرين المسؤولية؟ الجواب هو:

ابتداء من قدرة الطفل على الإدراك وعلى أداء وظيفته وسعيه.

يمكن أن تطلب من الطفل وهو بعمر ٢ ـ ٣ سنة أن يفرش سفرة الطعام وأن يضع الملاعق والشوكات والمنشفة في أماكنها المناسبة وعلى السفرة إلى أن يصل الأمر إلى القيام ببعض الأعمال الجزئية للعائلة ومساعدة الأب والأم، مثلاً إعطاء الحب إلى الطيور، وإبعاد الحيوانات المؤذية عن البيت و...الخ.

يرغب الأطفال بالقيام بأعمال الكبار وهذه الرغبة بنّاءة وذات قيمة، لو استطعنا توجيه هذه الرغبة سيصبح الطفل أكثر استعداداً لأداء المسؤوليات، وهذا يساعد على تخفيف صعوبة توجيهه في مراحله المقبلة والحساسة، أما لو أخطأ

بمورد ما يجب علينا تخفيف الموقف وتشجيعه على انتخاب الطريق الأصلح بصورة مناسبة وملائمة، وتقديم التذكير له، وفي بعض الأحيان قد يستوجب الأمر إلى اللوم ولكن بشرط عدم توجيه صدمة لحيثية وشخصية الطفل وأن لا نستعمل أسلوب الجبر والاستبداد.

وذكر هذه النكتة ضروري أيضاً وهي أن على الطفل أن يستقبل المسؤولية الملقاة عليه ومنذ الصغر ويعتبرها واجباً كما أن الآباء عليهم واجبات في حياتهم ولديهم مسؤوليات.

وليس من المنطق أن يتوقع الإنسان كلمات الثناء والمديح على كل عمل يقوم به أو تعطى له جائزة على ذلك.

وفي نفس الوقت لأجل ترغيب الطفل للقيام بمسؤوياته وخدمته لا بأس في تحسينه وتشجيعه وهنا يجب التكثير من مناسبات وموجبات الترغيب وإضافة بعض الشيء على مساحة حريته لتهيئته بقبول مسؤولية أكبر.

في حل المسائل

تظهر أحياناً أثناء تمرين المسؤولية بعض الصعاب التي تحتاج إلى خبره لحلّها، ونحن لا نبغي أن يبقى الطفل طفلاً إلى الأبد وأنه لابد منه أن يكون متسلطاً على مستقبله عاجلاً أم آجلاً وأن يتغلب على مشاكله، لهذا يعتبر التمرين من إحدى طرق الحل والكشف التي تستحق العناية. يأخذ الوالدان والمربون بيد الطفل منذ بداية حياته ويضعون يده بأيديهم ويجعلون من أنفسهم سراج هداية وإنارة لطريقه وبدون أي كلل أو تعب ويسعون إلى طلب حل يتناسب مع استيعابه

لكل مشكلة تعترضه بدون أن يسببوا له تعباً ذهنياً أو شعوراً سلبياً ويساعدوه في اختيار الطريق الصحيح أو يجعلوه قريباً من الحل عن طريق اغرشاده وهدايته، للتوفيق في هذا المجال يحتاج إلى تخطيط وبرمجة حتى أنه في بعض الظروف يخلق الآباء أو المربون مشاكل مصطنعة ويطلبون منه الحل ويستمر هذا البرنامج إلى أمد بعيد وحسب أدوار عمره المختلفة حتى يصلون به إلى المرحلة المناسبة لحل المشاكل.

من الضرري أحياناً تشخيص عدة مسؤوليات تتناسب مع عمره واستيعابه ونموه ونترك له المجال لاختيار أحدهما أو اثنين منهما وهذا الأمر مهم في بناء الأرضية اللازمة، وكذلك في تضمين توفيقه بنسبة أعلى، لأنه من الطبيعي أن الإنسان يكون موفقاً في الأعمال التي يختارها وفقاً لرغبته.

وعلى أي حال فإنه سيصبح فرداً حراً ومستقلاً ويصل إلى مرحلة النمو والاعتماد على الذات بصورة أسرع ويصبح مستقلاً في قراره وعمله، وان استقلاله سيكون في نهاية سنة (٢١)الحادية والعشرين من عمره كحد أعلى[١].

السيطرة والتعليم

هناك بعض النكات المهمة حسب اعتقادي حول موضوع تحويل مسؤوليةٍ لفرد ما ومراقبتها و السيطرة عليها ونعرض قسم منها باختصار.

ـ اعطاء الحرية بصورة تتناسب مع المسؤولية وهذا أصل مهم وعقلائي.

ـ تدريب الطفل على كيفية إجراء المسؤولية لأنه يتمتع في هذا الخصوص

---

(١) نهاية ثلاثة مراحل.

بذهنية خالية.

ـ الاهتمام بذوق ورغبة الفرد في انتخاب المسؤولية والأخذ بنظر الاعتبار قابليته على الاستيعاب.

ـ مرافقته في أداء المسؤولية لأن الوحدة تسبب له الخمول والكآبة وأحياناً تكون خطراً.

ـ السيطرة عليه بصورة مباشرة أو غير مباشرة بدون إشعاره بالإهانة.

ـ استثمار الفرص في إعطاء الحرية ومنعها والتدريب على ذلك أيضاً.

ـ الالتفات إلى مسؤولية المدرّب في مجال بناء الأفراد وبعيداً عن المخاطر.

ـ تمرين المسؤولية يشمل الصغير والكبير وأثناء العمل وعلى الدوام.

ـ يصاحب بعض المسؤوليات بعض الصعاب لهذا يحتاج إلى تمرين أكثر في هذه الحالات.

ـ الامتناع عن الضرب والشتم حين الاشتباه وهو أمر يُبتلى به الجميع لأننا معرضون للخطأ كذلك.

ـ التشجيع والتقدير على الأعمال والنشاطات أثناء أداء الواجب.

الفصل الرابع

الحرية لأجل التعالي والكمال

المقدّمة

الحرية عامل أساسي للتربية وهي من عوامل نمو وتعالي الإنسان وفقدانها يجعل السير إلى الكمال عسيراً ويؤدي إلى إختفاء عزته واحترامه، يستوجب على الوالدين والمربى أن يربّوا الطفل على الحسن وعلى الرجولة وبعبارة أخرى توفير موجبات رشده وجعله في خط الكمال.

من الطبيعي أن أي إنسان رشيد ومدرك وفاهم يوجب عليه أن يُهيء أرضية ارتقائه وتعاليه على أساس مشروع ومبني على التقوى وأن يُسدد ويؤدي حسابه مقابل العطايا الإلهية الشاملة للعمر والنفس والكرامة والعزة والسلامة على أحسن وجه.

إن كانت الحرية عقلائية وموجهة من المذهب فإنها ستكون بلا شك قيد للطيش والإفراط وستحول دون الانحطاط، لا بل العكس فإنها ستحرر روحه ونفسه وتضعه في طريق التكامل.

البعد المحوري للحرية

الحرية حالة تتواجد في جميع مسائل وأبعاد الحياة، فهي تساعد على بروز

الأفعال والأقوال وعلى ضوئها يتحقق العقاب والثواب وهنا نشير إلى بعض موارد البعد المحوري لها.:

١ ـ محور النمو: الحرية محور النمو في البعد المادي والمعنوي، وهي مهمة جداً في تأمين موجبات حفظ وسلامة الفرد وأن النور والحركة والنشاط إن لم تك حرة في طريقه فسوف يتعرض إلى عرقلة فى النمو البدني، وأما في البعد المعنوي فإن الإنسان بحاجة إلى الحرية أيضاً للتكامل والنمو في مجالات التصميم والإرادة والإيمان بالقيم وفي مسير الرقي فى الحياة اليومية واستثمار العمر والاحتياط من السقوط والانحطاط وفي تنفيذ أمرٍ أو منع آخر.

٢ ـ محور الانتخاب: الإنسان بحاجة إلى الاختيار والانتخاب[١] وهذا ضروري جداً لتكامله ورشده، وتعتبر هذه القدرة من الفوارق الموجودة بين الإنسان والحيوان.

وعلى الإنسان اختيار الشيء النافع والأفضل له بين شيئين أو عدة أشياء. الطرق التى توجد أمام الانسان عديدة جداً ويعدّها البعض بعدد الأنفس[٢] وعلى الإنسان اختيار الطريق الأقصر والأصلح والأفضل وللوصول إلى مثل هذا المقصد يجب أن يتمتع الإنسان بالحرية لأن فقدانها يغلق طريقه ويسد مسير تعاليه وتقدمه.

٣ ـ محور التحرر: الحرية هي محور التحرر، ولقد كانت بعثة الأنبياء لغرض كسر القيود والأغلال التي كانت تطوّق أيادي وأرجل البشر[٣]، وما أكثر تلك

---

(١) الإنسان ٣.

(٢) الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق.

(٣) ويضع عنهم إصرهم.

القيود التي كانت تنبعث من باطن الإنسان وتطوّق الأيادي، وكم من فخ انبثق من داخل الإنسان وقيّده في الخارج وعطّل حركته. ولقد كان علي عليه السلام يخاف على الناس[1] من أهوائهم التي تقف حائلاً أمام تكاملهم، وتلك الرغبات الي يقع الفرد في فخها ويصبح أسيرها.

لا يمكن للفرد التحرر من جميع القيود والأغلال إلا يوجد الحرية وحرية الفكر والنظام الإنساني، لكي يتمكن من التغلب عليها ويقتلعها من جذورها، ومن الخطأ كل الخطأ طلب التحرر من شخص وهو مقيد الأيدي والأرجل.

٤ ـ **محور الاستقلال:** ومن المهم أيضاً في حياة البشر وجود العوامل الأساسية كالاستقلال في الرأي والفكر والمشي في تطوره.

الأطفال ومنذ نعومة أضافرهم يجب تدريبهم على موضوع الاستقلالية حسب إدراكهم واستيعابهم وإحساسهم، مثل ارتداء اللباس والحذاء، وأما مسؤوليته فإنه يجب أن يكون مستقلاً في قبولها وأدائها والاعتماد على نفسه بذلك.

تشير التحليلات العلمية إلى ان الذين يتمتعون بمستوى أعلى من الحرية والاستقلالية يتمكنون من حل مشاكلهم بصورة أفضل ويتقدمون على الآخرين في نموّهم واتساعهم، وإعطاء الحرية هنا يعتبر من أساسيات الاستقلال، لهذا من الضروري جداً أن يُهيء الآباء والمربون الظروف المناسبة لذلك، لأن الحرية بالنسبة للفرد كالينبوع المستقل الذي يمكن أن يعطي بفورانه الطاقة اللازمة للتقدم[2].

---

(١) إن أخوف ما أخاف عليكم... نهج البلاغة خطبة ٢٨.

(٢) جان استورت ميل (الحرية) ترجمة شيخ الإسلام ص ١٧٣.

٥ ـ محور الدفع والدفاع: الحرية محور دفع الخطر عن النفس والمجتمع ومحور الدفاع عن حيثيته.

الشخص الذي لا يملك حق دفع الضرر عن نفسه والدفاع عن حياته وعقيدته هو بالحقيقة فرد أسير، سيء الحظ، وفي حالة موت وفناء وإن تمكن يوماً من الوصول إلى القدرة فإنه سيفرّغ جميع عُقده وآلامه على الآخرين.

الشعور بوجود الذات وامتلاكها من قبل نفس الفرد أمر مهم جداً والذي لا يشعر بذلك فإن وجوده معرض للافتراس من قبل الغرائز والميول، وأن قدرته في هذه الحالة على أداء وظائفه أمر مشكوك به.

يجب أن يكون الطفل حراً في منع تجاوز الآخرين عليه، وفي الدفاع عن اعتقاداته وكذلك في دفع الخطر عن وجوده، في نفس الوقت الذي يعتبر فيه الدفاع واجب شخصي ويجب على الآخرين كذلك أن يقدموا العون له.

«المؤمنون كيد واحدة ...»[1]، وعدم الدفاع عن النفس يُعتبر في الحقيقة رضى بالظلم وهو من كبائر الذنوب[2].

٦ ـ محور البناء والتجديد: الحرية محور بناء أو تجديد الذات والمجتمع.

يجب على الإنسان السعي في مجال التعالي والنمو إلى بناء وإصلاح أبعاد وجوده ووضعها في الخط الإلهي، وأن يخلع الاضطراب والقلق من ذاته والابتعاد عن الاستبداد في الرأي والغرور والأنانية، وجميع ذلك بحاجة إلى الحرية، لأن فقدها يمنع النبوغ وتجلّي العلم والأدب ويؤدي إلى التجاوز على حدود الآخرين والخمول وعدم إصلاح الذات والمجتمع واختفاء المشاركة الاجتماعية البناءة

---

(١) خطبة الرسول ﷺ في مسجد خيف (تحف العقول الجزء الأول).

(٢) من رضي بالظلم فهو في النار (معنى الحديث ـ المترجم).

وبالتالي انحراف العلاقات الإنسانية عن شكلها الطبيعي وكل ذلك سيحول دون العلو والكمال.

٧ ـ الحياة المتحررة: من الأمور المتعلقة بالرشد والتعالي والسير في خط التكامل هي أن الفرد بطبعه متحرراً وعالي التفكير ويبتعد دائماً عن الحدود والمحدوديات ولا يرضى بهمينة الآخرين وعليه كذلك عدم الهيمنة على الآخرين.

وقد أشار الإمام الصادق عليه السلام في أحد أحاديثه الشريفة حول هذا الموضوع.

الإنسان في مجال الوجود يجب عليه أن يكون واسع الصدر وجريء وشجاع وشهم ويعفو ويصفح ويصدق في قوله ويستقيم ولا يتعصب تعصباً أعمى ولا يرضى لنفسه غير الحق ويكون حر التفكير ومتين وأن يمتلك الشعور بالمسؤولية في الوجدان وأن يكون بطلاً فدائياً وكل ذلك ينتج من حرية الفكر.

٨ ـ وأخيراً: (من ترك الشهوات كان حُراً)[١] كالجاه والمال والموقعية، وكان كل سعيه للتكامل وتركيز القوى الفكرية لهذا الأمر (وأكرم نفسك عن كل دنية)[٢] لأن الوجود غير قابل للتخمين التعويض.

الانسان هو حر في صنع إنسانيته وتحرير نفسه من حالة الاتكال والتبعية، زمام أمره في يده، يسعى إلى معرفة قدراته وتقييم لياقاته وتجاربه وأن لا يكون ممن يبغي الوصول إلى الهدف الدنيوي بأي وسيلة كانت وأن: (لا تجاهد الطلب جهاد الغالب ...)[٣].

(١) غرر الحكم رقم ٤٣٥٤، الإمام علي عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة خطبة ٣١.

(٣) تحف العقول: ابن شعبة الحراني؛ فصل الإمام الحسن المجتبى عليه السلام.

يستثمر الفرد المتربي الفوائد الجمة من الحرية من جملتها في مجال الاستقلالية وترك التبعية والتصميم وتقوية الرؤى وإيصال نفسه إلى مرحلة الاقتدار المشروع والتواجد في مجاري العلم والتقوى والسير في مشي الأبرار: ﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي علّيين﴾[1].

ويهدف إلى كسب الوعي لكي يصبح صاحب رأي وفكر واستقلال ويقدر على درك معنى الحياة ويكون قابلاً للاعتماد ويتمكن من الوصول إلى مرحلة الشعور المتعالي و التحرر من جميع التبعيات وامتلاك الفعالية المعقولة في استثماره للحرية.

وهنا يجدر ذكر هذه النكتة وهي ان الحياة نوع من الأخذ والعطاء ويجب مراعاة جميع أبعاد هذا الجانب وكذلك الاهتمام بشؤون طرفي المعاملة، وفي النفس الوقت الذي يكون فيه الفرد حراً يجب أن لا يسبب خطراً على أمن واختيار الآخرين.

---

(١) المطففين : ١٨ .

الفصل الخامس

الحرية والنموّ الاجتماعي

المقدّمة

الإنسان بجميع أشكاله لابد له من امتلاك حياة اجتماعية والعيش وسط مجتمع والانسجام مع ضوابطه، المجتمع البشري (المذهبي وغيره) لابد له أن يقصد أهدافاً معينة وله خط سير معيّن وهذا ما وافق عليه الجميع، ولكن الشيء المهم هو هداية الأفراد وبنائهم في طريق الخير والصلاح (للفرد والمجتمع)، ومن الشروط المهمة لذلك هو تعريف حدود الحرية للفرد وتوعيته إلى أسلوب استعمالها بين الجمع، ويجب عليه اتباع تلك الحرية متى ما كانت خطّاً للمجتمع، وأحياناً يكون استعمالها بخلاف ذلك الخط أي في النضال ضد الجمع وهذا يعتمد على ظرف ذلك.

الشرط المهم للتطوير الاجتماعي هو الانسجام، ولكن هذا لا يعني الاستسلام، وقد يكون توافقياً أحياناً كالمداراة مرة ومرة المخالفة، وهذا الأمر صريح في الإسلام ﴿والمؤمنون ... بعضهم أولياء بعض﴾[1]، ويجب على كل

---

(١) التوبة: ٧١.

إنسان القيام بتعهده في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أي الرقابة الاجتماعية ﴿تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر﴾[1].

التربية الاجتماعية للفرد

من وظائف الآباء والمربين القيام بالتربية الاجتماعية، وغرضها تربية أعضاء يعيشون الحياة الاجتماعية مع الآخرين وينسجمون معهم، ولكن في نفس الوقت يجب أن يكونوا متمسكين بالضوابط الأخلاقية ولديهم صراحة وجرأة وشهامة في الحديث، والأخذ بنظر الاعتبار العهود الاجتماعية والإنسانية ومتابعة ذلك بدقة وبصيرة. ﴿إن العهد كان مسؤولا﴾[2].

ومن الوظائف الأخرى مصاحبة الطفل الأخذ بيده من خلال إظهار النماذج العملية للسلوك الصحيح وتعريفه عن طريق الالقاء والتذكير بالوظائف الاجتماعية، وطرق مسامعه بشروط الحياة الاجتماعية، وتعليمه أسلوب رسم طريق ذلك. يجب على اولئك تفهيم الأطفال الوقت المناسب للتسليم والاتّباع، والوقت الذي تجب فيه المقاومة، والوقوف، لأن هذه الأمور من أسس التطور الاجتماعي وأثناء ذلك تُقيّم حرية الطفل ويُشخص المكان الذي يجب عليه الذهاب اليه والمحل المناسب للضحك والتحدث وإظهار الحزن أو السرور؟

النمو الاجتماعي الناشيء من الحرية ضروري جداً للتربية الإنسانية وبدونه سيكون عالمنا ناقص ومضطرب.

---

(١) آل عمران: ١١٠.

(٢) الإسراء: ٣٤.

ومن شرط الرشد أيضاً الحيلولة دون الفوضى والشغب والظلم، ولاشك أن الاعتراف بحق الآخرين للحرية ينبع من استقلال الرأي وشخصية الفرد ومن الأمور الأخرى حرية الفكر، لأن تحقق ذلك يؤثر على رشد المجتمع .

الأخلاق والحرية

الإنسان من وجهة نظر الدين إما أن يكون في خط الفضائل والأخلاق وأما أن يكون في الرذيلة والانحطاط. والفضائل الأخلاقية عبارة عن الرجولة والعفة والتقوى والشرف والكرم والسخاء والعفو عند المقدرة ... وهي من عوامل الرشد الاجتماعي والأخلاقي والديني. وتُعد هذه من عوامل الفضائل متى ما تحققت في ظرف يكون الإنسان فيه حر ولم يتعرض إلى الضغط والجبر، والأمر كذلك بالنسبة للعوامل التالية: كالقدرة والمقاومة أمام الأخطاء وصراع النفس وتقويم الروح والنفس ووضع الأساس الصحيح للعيش والهدفية والسعي باتجاه المقاصد الإنسانية العامة.

تتمع الحرية بدور مهم جداً في مجال الرشد الأخلاقي والرفعة الإنسانية وفي ظلها يتحقق مفهوم الثواب للفضائل والعقاب للرذائل وتُعطي المبرر المنطقي والمعقول لهذه المفاهيم، لأنه من الممكن أن يجبروا الإنسان على السير في خط الطهارة والعفة أو يغضوا بصره لحفظ الناموس والعفة او يقيّدوا يديه لمنع وقوع التجاوز ولكن ما هي قيمة كل ذلك بالنسبة إلى العفة نفسها وإلى مبدأ عدم التجاوز؟

الأساس في الثواب والعقاب هو أن الإنسان نفسه وحسب إرادته ورغبته يقوم بتهيئة موجبات ذلك سواء كان حسنا أو قبيحاً، فإن كان هناك أمر فيه مخالفة

ويجب اجتنابه، فالأساس يتحقق اذا فعل ذلك بإرادته وليس تحت ضغط وكذا الحال بالنسبة للسير في طريق الصواب تحت جبر يخالف ميله.

الحرية والمدنية

هناك علاقة بين الحرية والمدنية، ولكن قبل هذا يجب المرور على موضوع الثقافة، لأن الحضارة في الواقع تشتمل على ثقافة أكثر تعقيداً[1]، ومن الخطأ أن يؤمن الفرد بأحد الثقافات الأجنبية أو المحلية بدون أي تحليل أو تقييم لها.

أسلوب تعامل الإسلام مع الثقافات يتضمن لمعرفة تلك الثقافة أولاً ومن ثم تعديلها ويُجرى حذف أو إضافة شيء عليها، ومن بعد يُعطي رايه بالرفض أو القبول[2] وهذا الموضوع يحتاج إلى الحرية في جميع مراحله وخصوصاً الحرية الفكرية واننا لا نستطيع بدونها معرفة وتقييم الثقافة، وهي ضرورية جداً أيضاً في إيجاد قدرة الانتخاب والاختيار عند الفرد والتي هي اساس قبول أو رفض أي الثقافات.

الحرية لها دور أساسي في التحرر من قيود الشهوات والقيم الكاذبة والتعصب الأعمى، وفي جعل الفرد مطيعاً للقانون وتحريره من عبودية الآخرين، سوى عبودية الله تعالى.

انعدامها يقف ضد التحضر ولا يتحقق بذلك الإصلاح الثقافي، والإيمان بالثقافات الفاقدة للحرية لا يعدو عن كونه سراباً، وتمثل في الحقيقة تلك الجاهلية والوحشية التي كانت تشغل الإنسان وتجعله يدعي جهلاً بأنه مثقف وواع.

---

(١) آريان پور: ارضية علم الاجتماع، فصل الثقافة.

(٢) الكاتب في الإسلام والتجديد.

الحرية والعمل

الحرية ضرورية للسعي والعمل، وإن التطور الاجتماعي لا يتحقق إلا بالعمل، وأن محيط البطالة سبباً للمفاسد وتعطيل الطاقات ونتيجة هذا هو الانحطاط والسقوط، وهذا السقوط سيمتد إلى البعدين الفردي والاجتماعي.

الفرد ولأجل حفظ وصيانة نفسه ووجوده من الخطر عليه السعي والتلاشي، والعمل والفعالية. ومن الأمور المهمة هي حرية الفرد في اختيار عمله الذي يرغب فيه واستثمار استعداده ورغبته في هذا المجال.

الحقيقة أن قوى العمل ملكاً له ويستطيع التصرف بها واستثمارها وفق ضوابط معتقده ويجب عليه أن يكون بالمستوى المطلوب من الوعي الاجتماعي لكي يستطيع ملىء الفراغ الموجود في اقتصاد المجتمع، لذا عليه اختيار حرفة يستطيع بواسطتها سد حاجة من حاجات المجتمع وجميع ذلك يحتاج إلى الحرية.

الحرية والسياسة

هناك علاقة بين بعض جوانب التطور الاجتماعي كالحرية السياسية وحرية التصميم وبين الأمور المتعلقة بالعلاقة مع الناس والمسؤولين.

يجب أن تكون أرضية التربية بالشكل الذي تُصيّر الفرد بالقريب العاجل لأن يكون عضواً سياسياً في المجتمع ليتمكن من ايفاء دوره في المشاركة، وعليه التصويت وإعطاء الرأي لأفاضل الناس لأجل الحكم، وانتخاب الأجهزة الصالحة لإدارة الدولة، والسعي الصائب في مجال تصويب القرار اللازم وتنفيذه، وأن يكون تابعاً جيداً في المجال السياسي أو متبوع حسن وهنا يتجلى دور الآباء

والمربين في مجال امتلاكه حرية مشروطة، وفي مجال التصدي للظلم والتبعيض والخناق، وأن يعمل ما بوسعه للارتباط بمجموعة حزب الله، وبذل جهده لذلك ولإيجاد أرضية مناسبة للوعي السياسي للأمة وكذلك يبذل الجهود في مراقبة ذلك.

ومن الأمور المهمة في الإسلام هي أن يرتكز صلح وحرب الإنسان على الفكر والوعي، وأن يعي سر حياته ومماته[1]، وأن يهب حياته في طريق له ثمن اللقاء مع الرب الجليل أي يختار الموت شهادةً لأنها نوع آخر من الحياة الجديدة[2].

الحرية والاهتمام بالقيم

هناك أمر مهم في مجال الرقي الإنساني والإسلامي، وهو أن يُسخّر الإنسان حريته في خط تطوره وسعادته ويصبها في مجتمعه، وأن يتصف بالعفو عند المقدرة وعدم تتبع عيوب الآخرين والتستر على ذنوبهم وأخطائهم، واستثمار الحرية بصورة حسنة تكون لصالح المظلومين وضد الظلمة[3]،. ولأجل التعاون على البر والتقوى والمصلحة[4] والتوصية بالخير والصبر[5] وأن يحب لغيره ما يحب لنفسه.

---

(١) الأنفال ٤٢.

(٢) آل عمران ١٦٩.

(٣) نهج البلاغة ٤٧.

(٤) المائدة ٢.

(٥) العصر ٣.

الباب الرابع

آراء حول الحرية

هناك ثلاثة آراء أساسية في العالم حول الحرية هي:

ـ الفصل الأول رأي يقول بالحرية المطلقة والعمل بما يتمناه المرء ويميل إليه وشعارهم دعهم يفعلوا ما يشاؤون.

ـ الفصل الثاني: رأي يقول بالتحديد المطلق والاعتقاد بأن أي نافذة إلى الحرية تؤدي إلى المخاطر.

ـ الفصل الثالث: رأي يقول ما بين هذا وذاك ويعتقد بالحرية المشروطة، لا افراط فيها ولا تفريط بل يقول بالاعتدال. سنبيّن هذه الفصول مع مراعاة الاختصار ونشير فيها إلى الجوانب السلبية والإيجابية وأدلتها.

الفصل الأوّل

الحرية المطلقة

المقدّمة

كما اشرنا الى وجود آراء مختلفة حول حرية الفرد فالبعض يقول بإطلاقها والآخرون يقولون بالتحديد المطلق والقسم الثالث يقول بالحرية المشروطة، ولكل من هذه الآراء مؤيد يعمل بها.

وقد خصصنا هذا الفصل لتبيان وجهة نظر المجموعة الأولى وبحثها ونقدها مع رعاية الاختصار:

رأي أصحاب الحرية المطلقة

يقولون بأن الإنسان وبحكم طبيعته حر يستطيع فعل ما يشتهي ويشاء. يجب منح الطفل الإذن بفعل ما تمليه عليه أمانيّه ورغباته وبأي شكل يريده لتحقيق ذلك.

يُوصون الآباء والمربين بالموافقة على جميع رغبات الأطفال وسلوكياتهم وأحلامهم وبدون النظر إلى ماهية أعمالهم.

لقد اعتبرها البعض مساوية إلى الفوضى وأن اختلاط الأفراد مع بعضهم هو في الواقع نوع من الحيوانية[١]، ويطمحون إلى الحرية التي لا محدودية فيها على الإطلاق.

شعارهم للأطفال: دعهم يفعلوا ما يشاؤون[٢]، وقد وصل الأمر بهم الى نفي الخوف من الله تعالى وأمره ونهيه، يقول الطفل حر بفعل ما يشاء ويلمس ما يشاء ولا ولاية لأحد على أحد.

ينفون وجود الأخلاق والقوانين البشرية ويقولون أنها مانعة للحرية[٣]، ويقولون بأنه كلّما زال الخوف زادت الحرية وكلما حدده الآخرون أو حدد الطفل نفسه سيكون أكثر بلاء.

أدلة طلاّب الحرية

أدلتهم حسب ما يدعون به:

- عالم الطبيعة مليء بالظواهر النباتية والحيوانية الحرة، إذن لم لا يكون الإنسان كذلك ؟

- الحرية حق طبيعي للإنسان، وأن الإنسان خُلق حرا، وأن الطبيعة يجب أن تكون دليل التربية[٤] ومثالها.

---

(١) المذهب المادي.

(٢) Laissez Faire

(٣) برتراند رسل: الأخلاق الشخصية: فصل القانون والحرية.

(٤) المذهب الطبيعي.

ـ لو سُلبت حرية الفرد سيُصاب بالعقد النفسية وهذا يُـؤدي إلى الصـدمة الروحية وسيكون له أثر سلبي على حياته[1].

ـ القضاء على الحرية يؤدي إلى الخمول والكآبة والتبعية الشـديدة للأب والأم ولهذا اثر سيء على مستقبله.

ـ الحرية ناشئة من الإرادة، وكل إرادة تشير إلى حـاجة، ولهـذا لا يـحق حرمان الأفراد من إرادتهم.

ويعتقدون بان الميول والرغبات الباطنية للطفل هي خير دليل على سلامته الجسمية والروحية وإلى سعادته المستقبلية، ويجب قبول ذلك فيهم، وأن وجود الحرية المطلقة سيكون سبباً إلى النشاط والسرور الروحي وهو ما يجب الاهتمام به في التربية.

مناقشة الحرية المطلقة

يمكن أن تكون لها فوائد ومزايا ولكن الحق أنها تُسبب أضراراً وصدمات شديدة جداً وغير قابلة للجبران عند الطفل. نطرح الموضوع هنا من جانبين فردي اجتماعي مع رعاية الاختصار.

ألف: الأضرار الفردية

هناك الكثير من الأضرار التي تلحق بالأبناء منها:

---

(١) رأي أغلب علماء النفس من جملتهم كارن وهورناي.

١ ـ الأخطار النفسية : الحرية المطلقة تسبب الصدمات للأطفال، بما أنهم لا يشخصون طريق خيرهم وصلاحهم والشبائك التي تعترضهم، فقد يقعون في فخ خطر جداً، وأن حب اطلاعهم قد يؤدي بهم إلى ذلك أيضاً مثال ذلك : اللعب في الأدوات الكهربائية أو الحادة أو مع الحيوانات المؤذية، أو قد يحول دون ذلك المراقبة المستمرة التي تكلف الأب والأم جميع أوقاتهم وحياتهم.

٢ ـ التوقع الزائد: إطلاق المجال لطيش الطفل يجعله يتوقع أكثر من المعقول ويؤثر ذلك على هدفه، لأنه سيكون في حالة مستمرة من التفكير في التوسع والتسلط وإرضاء رغباته، وتنشأ من هذا الإطلاق توقعات كبيرة وثقيلة ورغبات جانبية كثيرة، وان تلبيتها يجعل منه طفلاً مدللاً حساساً، وعدم تلبيتها يسبب بروز الفوضى والصراع، وقد يصل الأمر معه في المستقبل إلى مرحلة لا يجدي فيها اللوم والأمر والنهي ولا يمكن لأحد منعه عن شيء.

٣ ـ تؤدي إلى الفساد: الحريات اللامحدودة تقود حركته إلى الفساد وإلى الحظ السيء، الآن وفي المستقبل، وهو يسعى إلى التحلل من خلال تلك الحرية ويذهب بإرادته حيثما تشاء، وأحياناً تؤدي إلى العلاقات المفتوحة التي تفتقر إلى الأصالة وإلى الشرف والعفة. لا شك ان إشباع الغرائز يؤدي إلى الشهوات والغضب واللوم الذي تكون عاقبته السمعة السيئة والفشل.

٤ ـ العوارض الأخرى: من العوارض الفردية الأخرى لها:

ـ الفوضوية في العيش وعدم الانضباط والتأثير السلبي على الآخرين.

ـ يصبح عنصر خامل وعديم الإرادة، ويستسلم لكل اشكال الظروف.

ـ إرضاء جميع الرغبات بصورة مطلقة يسبب بروز آلاماً لا يمكن تسكينها[1].

ـ توسيع وتقوية غريزة التخريب والتهجم وهذا ما يؤدي إلى الإيذاء والتجاوز[2].

ـ إبعاد الإنسان عن الخط الإلهي والدين والقيم وهذا ما يؤدي إلى الانحطاط.

ـ موت القيم وبروز الأيديولوجيات الشيطانية والتي تدعوا إلى عبودية ورقية الإنسان.

ـ الرقيّة هي واقع الحرية المطلقة والتي تؤدي إلى قتل إنسانية الإنسان.

ـ وفي النهاية فإن افراد من هذا القبيل وحسب قول (ويل ديورانت): سيشربون كأس الفشل حتى جرعته الأخيرة[3].

باء: الأضرار الجمعية:

وفيها أضرار عامة كذلك تؤدي إلى السقوط والانهيار منها:

ـ تحديد حرية الآخرين وسلب راحتهم تحت عنوان حرية الأفراد.

ـ الخصام والجدال الاجتماعي لأن كل فرد يريد حفظ مكانته وحقه في الحياة.

ـ تعريض أمن الآخرين إلى الخطر وخصوصاً أمن المجتمع بسبب الفوضى

---

(١) رضى هاشم: أفكار فرويد ص ١٠٨.

(٢) كاريزو.

(٣) ويل ديورانت: لذات الفلسفة.

الناتجة عن الحرية المطلقة.

- اضطراب الوضع العائلي وتحريم العيش بالنسبة للوالدين والباقين.

- اتساع الأفكار الحيوانية في المجتمع وخصوصاً من قبل المذاهب التي تضع الحرية في اختيار الأهواء[1].

- اتساع استغلال الأفراد من قبل بعضهم، أي أن القوي يأكل الضعيف وهكذا[2].

- انتشار الميول الشهوانية والرغبات الطائشة التي تؤدي إلى ضياع الشخصية.

- وبالتالي انتشار الفشل والضياع والمفاسد والأزمات الروحية وعدم الانسجام.

نتيجة البحث

الحرية المطلقة ليست علمية ولا أخلاقية ولا مذهبية وأننا في الحقيقة لم نقدم خدمة إلى الأفراد في إعطائنا لهم هذه الحرية فحسب وإنما جعلناهم عبيداً للأهواء وإلى الأبد، وبذلك سلبنا منهم سلامتهم الفكرية والنفسية، وجودها مضر بالمصلحة لاختلاف الأهواء والميول وهو ما يؤدي إلى الازدواجية والتعددية ونتيجة ذلك سيقع التضاد والتناقض.

---

(١) محمد تقي فلسفي: الرجال والشباب ج١ ص ٢٤٠.

(٢) قانون الغابة.

الحرية تقضي على الحياة، وتوقف حركة الناس وتعطل الفاعلية الروحية وتشكك بالشؤون الإنسانية، وإن حدث ذلك في الوسط العائلي فإن هذا الوسط سيكون غير مناسب للعيش أبداً وينحدر تدريجياً إلى سقوط عنان اختيار الوالدين في أيدي الأبناء وعندها سيحل نظام الغاب وهذا خلاف الغرض، وسيكون سبباً لإيجاد المحدودية.

إذا أُطلقت حرية الطفل فإن ضررها سيصل إليه وإلى الآخرين، ويوّسع ذلك الاطلاق مساحة التناقضات ويؤدي بالفرد إلى العبودية اللامرئية، وحسب قول الكسيس كارل:

«الإنسان المطلق الحرية لا يشبّه بالصقر المحلق في الفضاء اللامتناهي وإنما أقرب ما يكون إلى الكلب الذي يفر من مأواه ليصبح أسير الصدفة يسيّره ضجيج العجلات إلى هذا الطرف أو ذاك[1].

وعموماً نستنتج بأن الحرية المعتدلة لا تعني التحلل أو السقوط باي حال من الأحوال[2].

(١) غفوري گل زاده: طريق وعرف الحياة: ص ١٣.

(٢) أريك فروم.

الفصل الثاني

التحديد المطلق

المقدّمة

في النقطة المقابلة لأصحاب الحرية المطلقة تستقر مجموعة تدعوا إلى التحديد و التضييق المطلق، وتخالف هذه المجموعة كل أنواع حريات الأطفال ولا يسمحون بأي عمل ما لم يوافق عليه الكبار، لديهم برنامج قاس وشديد جداً إلى الحد الذي تكون فيه جميع حركات الطفل تحت مراقبتهم، فإن أراد الطفل شرب الماء أو اللعب في لعبة خاصة أو الذهاب من غرفة إلى أخرى يجب عليه أخذ الإذن من الأم أو المربي.

يبغي هؤلاء عن طريق إيجاد الموانع في طريق الطفل إلى تحديد رغباته وميوله، وفي الحقيقة إلى وضع رغباته فى اطار الابن الصغير وجعله أداة لتنفيذ رأى وإرادة الآخرين، وإن أراد الطفل اتخاذ موقف معين مقابل إرادة الكبير فإنه سيتعرض إلى الضغط الشديد لإنهاء مقاومة الطفل، وقانون عملهم تطغى عليه حالة تسليم وسكون الطفل أمام المربي والانقياد إلى نظامهم وقانونهم.

أدلتهم

هناك بعض الأدلة يذكرونها في تبرير هذا التضييق القاسي المسلط على

الأطفال وتعتبر هذه الأدلة لأغلب أصحاب هذه القول مبادىء أساسية في تعليم الآداب إلى الطفل.

وتوضيح ذلك هو أن بعض الآباء والأمهات وخصوصاً أولئك الذين كانت لهم فترة طفولة أو شباب قاسية، والبعض الآخر من الذين يصرخون بالثقافة والالتزام بالضوابط، وآخرون ممن لا يزيد عدد أطفالهم عن الواحد ويريدون إيصاله إلى مرحلة الإثمار، يشترك جميع أولئك في فكرة واحده وهي السيطرة الكاملة على الطفل وسحق إرادته ومنعه من المشي في غير طريقهم، ودليلهم أن الطفل ناقص العقل ولا يعلم صلاحه وطريق حياته، وأن تركوه لنفسه سيُعرضونه والآخرين إلى الضرر وبذلك سيسببون الاضطرابات إلى المجتمع. يقولون أن الطفل ولعدم تكامل فكره سيجعل من الحرية أداة لإضراره، ويُصرون على تنفيذ إرادتهم على طول الخط لاعتقادهم بأن الطفل لا يمكنه أخذ جوانب أي عمل يريد القيام به بنظر الاعتبار ولا يمكنه صرف المظالم عن نفسه وعن الآخرين.

قسم آخر من الآباء والمربين يحببون الأجواء الهادئة الخالية من الضوضاء لهذا يمنعون طفلهم من ممارسة حريته.

مناقشة الرأي

يمكن أن يكون لهذا الأسلوب فوائد كثيرة تضاف إلى تثبيت قيمومة وحكومة الوالدين على الطفل، ولكن يجب الالتفات كذلك إلى النكتة التالية: وهي أن التحديد المطلق مخالف للفطرة وللطبيعة الطفولية، وإنها ستكون حائلاً دون نموّه بتمام معاني هذه الكلمة.

من الممكن أن يكون للانقياد الأعمى فوائد تمنع الطفل عن كثير من الأخطار المحتملة ولكن ذلك سيؤدي إلى خلق جو غير مساعد للتربية والعيش، وفي نفس الوقت تجعل شخصيته راكدة بلا تطور ومستقرة في قالب واحد، وسيكون في المستقبل موجوداً تابعاً وعديم الوعي والتجربة والتفكير وخال من أي تطور فكري، و من جانب آخر فإن شعوره بالحرمان من الحرية سيُعذّبه ويقلقه، وأن السيطرة العامة للأبوين ستحرمه من اتخاذ القرار المناسب لحياته وبناء مستقبله، ومن الطبيعي أنه سيكون مريض الشخصية.

اضرار التحديد المطلق

نعرضها مع الاختصار:

ألف: الأضرار الفردية: هناك الكثير من الأضرار التى ستواجه الأجيال نتيجة هذا أسلوب وستصبح سبباً لسقوطهم، وهنا نشير إلى بعض هذه الموارد:

١ ـ توقف النمو: تؤدي هذه التربية إلى خلق نسل ضعيف، وعليل المزاج وأحياناً مصاب بالأمراض الجنسية ومحروم من السلامة الكاملة، وهذا ينطبق على النمو الروحي كذلك.

التدخل والمنع المفرط سيجعل منه فرداً جباناً، عاجزاً عن تخطيط وبرمجة حياته، وغير قادر على الابتكار في أعماله، واتكالي غير قادر على الاعتماد على نفسه في المستقبل.

٢ ـ القضاء على الاستعدادات: الحياة في ظل هذا الأسلوب ستكون رتيبة وتقليدية، سيقضي هذا التحديد المطلق على الخلاّقيات، وسيمنع من ظهور

استعدادت الأفراد، ويُقيد ذهنه وفكره وبالتالي سيحول دون ظهور مهارة الفرد، ويمنع سعيه في الأمور، وسيؤدي الى عدم تفتح قابليته، وتقدمه ورُقيّه الفكري وكذلك سحق المهارة العقلية. وسيكون مُجبراً على العيش في أجواء مغلقة، وفي ظل قدرات الآخرين، وبدون أي محاولة لإثبات وجوده، ويقضي أوقاته بالخمول والضيق.

٣ ـ القضاء على القدرة الدفاعية: لا يملك الأطفال المحدّدين أي محاولة للدفاع عن فكرهم وجسمهم، والسبب يعود إلى سلب ذلك من قبل الآباء والمربى، والقيام به نيابة عنهم ولهذا سيواجهون المصاعب في الاوقات الحرجة وأمام الخصوم. ويعجز هذا الطفل حتى عن إبراز رأيه لأن إجازة ذلك قد سلبت منه سابقاً حتى أصبح الآن وحيداً، وبلا حيلة وخائفاً وجباناً وعاجزاً أمام التناقضات والمصاعب، مصاب بالشلل الفكري ويشبه إلى حد ما الجندي غير المسلح وسيكون مجبراً في النهاية على استعمال التملق والاستسلام، ويكون عديم الشخصية[١] وبلا إرادة وضعيف النفس وحتى أن جرأة اعتراضه ستنعدم، ويلتزم الصمت دائماً.

٤ ـ السقوط الأخلاقي: التحديد المطلق يقتل الغرور ومناعة الطبع، ويجعل محلها الخضوع والتواضع الشديد، وسيكون هذا التحديد عامل مساعد على الذلة والتملق والتقرب والكذب والغش والخديعة و الانقياد والاستسلام المحض، وفي بعض الموارد يصل الأمر إلى الوقاحة والكلمات البذيئة والتذمر والعصيان، إنه فاقد لمناعة الطبع والشجاعة الروحية، وأحياناً يُبتلى بفقدان اصل الإنسانية[٢]،

---

(١) الروحي: مشكلات الشباب الروحية ص ٦٣.

(٢) العلامة الطباطبائي: بحوث إسلامية ص ١٤٩

ويعيش حياة تابعة واستسلامية مليئة بشعور الضياع، ويصاب باطماع غير قابلة للإشباع، وستكون نهايته محاولة تحطيم القيود والخروج على جميع الحدود.

أغلب السلوكيات المنحرفة والأمزجة المتلونة والظلم ناتج من انفجار العقد الناشئة من المحذودات والممنوعات.

٥ ـ **الانحطاط النفسي**: يؤدي هذا الأسلوب إلى الضغينة والحقد والشخصية التابعة والأمراض الروحية.

إن أغلب صور اليأس والكآبة والاعتزال وعدم الاستقرار والخوف والشعور بالجبر والفرار من الذات نابع من المحيط المضطرب وكذلك الحال بالنسبة للسخط الدائم للأفراد[1].

التحديد المطلق يسبب أحياناً الخمول، والكسل، والعزلة، والتهور، والتجاوز، والتعرض، والتخريب، وعدم الرغبة في الحياة، وفقدان السيطرة على النفس، والتذمر، والتحجج، والتمرد، والعصيان، والاصابة بالعقد، وضياع قدرة النمو، ولوم الذات وتعذيبها، ويؤدي إلى الفوضى السلوكية.

٦ ـ **الخجل**: الوقوف أمام الحرية يؤي في بعض الموارد إلى الشعور بالاستصغار والخجل ، والانزواء ، وعدم الاختلاط ، وعدم الانضباط ، والتشاؤم، والشعور بالخوف، والمهانة، وعدم الرضا عن النفس، وحتى يصل الأمر إلى حدوث لكنه في التلفظ، بالإضافة إلى اختلالات عاطفية أخرى ستكون حتماً في غير مصلحة الطفل، وضد مستقبله، وتعرّض وضعه النفسي إلى الخطر.

---

(١) كارن هورناي: التناقضات الباطنية ص ٢٩.

ب ـ الأضرار الاجتماعية

ويمكن ذكر الكثير هنا أيضاً من جملة ذلك:

ـ فقدان الروحية الاجتماعية والطبع المرح والتفاعل مع المجتمع والذي يُعتبر من ضروريات الحياة الجمعية.

ـ التخلف السياسي بسبب انقطاع المشاركة والتجربة والتطور.

ـ الامتناع عن قبول المسؤولية وأحياناً يفرّ منها بسبب إحساسه بالضعف وعدم الأهلية لها.

ـ عدم القدرة على السؤال حتى بعد زوال المانع لأنه تعوّد على تلك الحالة وأصبح كالنابض المضغوط.

ـ السلوك اللاإجتماعي كالتعرض والتجاوز في بعض الموارد الخارجة عن القيود.

ـ اضطراب العلاقات وعدم القدرة على الانسجام الفكري مع الجمع والمجتمع بالإضافة إلى امتلاكه لبعض السلوكيات المنحرفة.

ـ اختلالات سلوكية في المجتمع كالضغينة والعداء والظلم والوعد الكاذب و إضرار حقوق وتكاليف المجتمع.

ـ مستقبل هؤلاء الأفراد الواقفين على رأسي قطب العلاقات المتحللة أو عبودية الاهواء سيكون لهم دور ضعيف ويتصفون بالحساسية والجبن أو على العكس من ذلك سيكونون مستبدون في آرائهم ويوجهون الضربات لمجتمعهم في القريب العاجل.

النتيجة

خنق حرية الأطفال يضرّ بمصالحهم الحالية والمستقبلية، ويشكّك بالعلاقة والشخصية الإنسانية، ويضعّف الاعتبار والقيمة الآدمية، ويـجعل مـنه مـوجوداً طفيلياً ومؤذياً أو مستبداً أناني حيّال وغشاش. وفي المستقبل سيكون فرداً فاقداً للشخصية الإنسانية، ومصاب بالسقوط الأخلاقي، متحطم أو محطّم يسلك جميع السبل المشروعة وغير المشروعة، وفي النهاية يجب على المجتمع البشـري أن يقف ناظراً إلى فرد جبان قذر أو متكبر متهتك متعرض متجاسر مستبد في رايه.

الفصل الثالث

الحرية المشروطة

المقدّمة

لاحظنا في الفصول السابقة عدم إمكانية قبول إطلاق الحرية أو خنقها لأن ذلك يتعارض مع المصلحة، ومع أنه لكل منهما فوائد، ولكن الأضرار بليغة وصعبة وآثارها وخيمة، وقد أشرنا إلى قسم منها. ومن الموارد الأخرى الناشئة من الشرائط السابقة، المفاسد الاجتماعية الكثيرة والركود الفكري وفقدان الثقة بالنفس و...، من الخطأ أن يفكر الآباء هكذا بصدد حرية الأفراد، ويتخذون قراراتهم بدون أي دراسة موضوعية، ويعرّضون وضع الفرد النفسي والجمسي إلى الخطر، وأن الكثير من الحاجات والمنافع تُضيع بسبب إهمال الآباء والمربين للمسائل المتعلقة بحرية أبنائهم.

الأساليب السابقة (الإفراط والتفريط) تؤدي إلى ظهور صعوبات كثيرة ومشاكل جمة في الوقت الحاضر خصوصاً وفي مستقبل الأطفال.

لاشك بأنه من الواجب علينا صرف النظر عن كلتا النظريتين والاستمرار بالبحث عن الرأي الأمثل.

محور بحث هذه النظرية هو أن الحرية لا يجدر بها أن تكون مطلقة ويترك الطفل لحاله ولا يجب تضييق الخناق عليه. وحسب رأينا بأنه لو كانت الحرية بين هذين لاستطاع الطفل الانتفاع من حريته في مجال كماله ورشده.

واصل هذا المبدا هو فسح المجال للطفل بالشكل الذي يتناسب مع قدراته وإمكاناته، بحيث لا يتعرض إلى الضياع فيه، وإنما يجب تحقق إمكانية مواصلة طريق سعادته عبر حريته، هذا من جانب ومن جانب آخر يجب عليه مراعاة حدوده وحقوقه وحدود وحقوق الآخرين وهذا يستلزم التحديد، إذن الحرية لازمة ولكن بدون إفراط وتفريط.

في كلتا الحالتين يحتاج عقل الطفل إلى الهداية، لأنه لا يمكن وضعه في طريق أعدّ سابقاً وهو بحالة غير واعية لأن ذلك سيؤدي إلى فاجعة لنفسه وللآخرين، أو يؤدي إلى قتل الحق أو نشر الفساد وهذه أسباب واضحة للسقوط والانحطاط.

حل التناقض

يعتقد البعض أن الحرية والتقييد نوع من أنواع التناقض، فكيف يمكن أن يكون الطفل حراً ومقيّد في آن واحد؟ للإجابة على ذلك يجب القول ان هذا ليس تناقضاً ولأن إعطاء الحرية لا يمنع تحديده في بعض الموارد الضرورية الأخرى، وأن هذا لا يعني أنه كالجندي يخضع لأوامرنا ونهينا.

حسب رأينا هناك تفاوت بين الانضباط الإجباري والانضباط القائم على

الهداية. نحن نرجح الثاني في أمر التربية، والمقصود هو أن الطفل يعلم متى ينفذ إرادته ومتى يكبح جماح رغباته، ومع أن هذين الأمرين متفاوتين في النتيجة لكنهما يشتركان في التنفيذ. وجود أحدهما بدون الآخرى لا معنى له، الحرية المطلقة تحلل شخصية الفرد والانضباط القسري يكون عامل للكآبة والعذاب، الأول يميل إليه الأفراد ظاهر من ذوي الثقافة السطحية والثاني الأفراد من ذوي الصبر والتحمل القليل وأحياناً المعقدين.

نحن نعتقد بالحرية التي في ظلها يتحرر الفكر والعقل من القيود والمخمصات ويتحقق السعي في جهة استقرار الحق. نستنتج أن الطفل لا يحق له ممارسة القوة أو التخريب لتحقيق ماربة أو العمل بما يشاء.

أدلة أصحاب هذا الرأي

يذكرون عدة أدلة أهمها:

- ان إعطاء الحرية المطلقة بصورة لا تتلائم مع لياقة وحجم الطفل يعني في الحقيقة تسليم الطفل إلى المخاطر.
- الحرية المطلقة تسبب الفوضى والاضطراب.
- الحرية المطلقة تعني تأييد حيوانية الأفراد والقبول بتحللهم.
- الحرية الناتجة عن ذلك مشكوك بها لأنه (من ترك الشهوات كان حراً)[1].
- التضييق المطلق يعني هو الآخر تأييداً للحيوانية، لأن ما يفهمه الحيوان هو

(١) ابن شعبة الحراني: تحف العقول. الفصل المرتبط بالإمام علي عليه السلام.

السوط فقط.

ـ المنع المطلق يسبب الحرمان من مواهب الحياة.

ـ وتمنع كذلك ازدهار العقل والاستعداد.

أما في الحرية المشروطة يراعى فيها الاعتدال، ووضع الأفكار في إطارها المناسب، وتزداد إمكانية استثمار مواهب الحياة، وتحذف الأمور غير المحببة، ويؤدي هذا إلى العيش الأجمل، والآخرين تكون لهم مكانة أفضل.

نستنتج أن الحرية في النظام المشروط والمشروع لا تعني قطع طريقها وإنما ستكوّن أرضية مناسبة للعيش المعقول، وسعادة الفرد الحالية والمستقبلية تتحقق في ظلها وأن الاستعدادات تتفتح والأفكار تتمركز أيضاً في كنفها.

الحرية المشروطة التطور

العلاقة بين الحرية المشروطة والتطور يمكن أن يكون بحد ذاته شرطاً لسلامة وسعادة الطفل. ويعني هذا أن في ظل الحرية المشروطة تتمركز القوى في جهة وخط معين بدلاً من أن تتشتت سُدا. حسب بحوث علماء الاجتماع نلاحظ أن الذين كانوا أحراراً في فكرهم أيام طفولتهم ومعتلدين في ذلك سيكونون أعداءً للظلم في المستقبل، ومخالفين للقبائح، ويتوفقون إلى الإصلاحات الاجتماعية العظيمة وستقوى عندهم جوانب الإشراق والخلاقية ويشعرون بطعم دنياهم وحياتهم.

الحرية المشروطة سبب في منع الاضطراب والإخلال، وعامل لظهور الحب والعلاقة وقدرة التصميم المعقول، والثقة بالنفس، ونمو الشخصية، والابتعاد

عن التبعية، وتسبب زوال الكثير من المفاسد، وتحدث التغييرات العديدة التي تؤدي إلى التطور والازدهار.

ومن فوائدها أيضاً اعطاء فرصة للفرد للتفكير بنفسه، وإصدار حكم منطقي لها، وتشخيص ميزان قدرته وقابليته، ويشعر بالسعادة من استثمارها، وتمنحه شعور الافتخار بصورة تتفوق على من يسلك طريق الإطلاق والتضييق في الحرية، ويكون تعلّمه واكتسابه للمعارف أسهل وانسجامه مع الآخرين أكثر بساطة.

قد يشعر الفرد بالإحراج أحياناً من بعض المحدوديات ولكنه سيتعلم كيفية نسيان ذلك بسرعة أيضاً وكيف يتكيف مع ذلك، وهذا الأمر أفضل من التعقّد الناشيء من التضييق أو التسلط الناتج من الحرية المطلقة أو التهور في التوقع والدلال.

كلام حول التعقيد

يعترض المؤيدون للحرية المطلقة على كل أنواع التحديدات للطفل ويدّعون بأن ذلك يسبب عقدة له. إلا أن البحوث تشير إلى عدم علمية هذا الادعاء لأن الطفل ذو عواطف وأحاسيس وانفعالات سريعة الزوال أولاً.

ثانياً: لأن الطفل مصداق ونموذج لعنوان الرضا الإلهي السريع وفي نفس الوقت الذي يكون فيه شديد السخط نراه يبتسم وينسى الأمر بسرعة جداً إذا ما ضحكنا بوجهه.

وثالثاً: يمتاز الطفل بسرعة النسيان لكثير من المسائل وان كانت ضارة

له في وقت ما.

ورابعاً: يستطيع الوالدان والمربون أصحاب الخبرة من تبديل رغباته وإرضائه خلال فترة قصيرة، مثلاً: أخذ شيء خطر من يده وتوجيهه بنفس الوقت إلى عمل مفيد آخر.

جميع الأطفال يطلبون الحرية والاستقلال وهذا أمر فطري يمكن تربية أو تحديد ذلك بصورة ملائمة بدون أن نجعلها تترك عقدة على نفسه، ويصبح هذا الأمر سهلاً متى ما فهّمناه ذلك بلغة يدركها.

النتيجة الكلية

- حرية الطفل شيء حسن بشرط أن يكون مستعداً للتجاوز عن جزء منها مراعاة لمصلحة الآخرين، وأن يطلبها لهم بقدر ما يطلبها لنفسه.

- يجب أن تكون حركة الطفل كالانطلاقة تبدأ من الحرية المطلقة وتتجه نحو قبول الضوابط والمقررات والحدود.

- لا تعني ضبط الحرية غض النظر عن الحاجات الإنسانية الأساسية له، وهي حرمان أعمى مفروض عليه يؤدي إلى ترك العقد النفسية عليه.

تنظيم الحرية يجب أن يكون بالشكل الذي يتيح له فرصة استثمارها بصورة أفضل وأوسع، وإزالة الموانع التي تقف حائلاً دون دور العقل.

- نسعى في هذا المسير تعليمه الضوابط وتهيئة موجبات تدريبه وزيادة تجاربه.

ـ يجب تطبيقها بصورة تدريجية لا يصاحبه معها شعور بالملل والتثاقل.

ـ يجب أخذ بنظر الاعتبار ميزان رشده وإدراكه في قبول الشروط وتحمل الضوابط وكل من هذه الظوابط يجب أن تتناسب مع مرحلة نموّه الجسمي والفكري له.

ـ يمكن أن يكون للاستفادة من بعض العوامل كالاختيار والميل والرغبات الفطرية والطبيعية عاملاً مهماً في هذا الأمر.

ـ يجب علينا التعرف على المواقع التي يجب أن نكون أحراراً فيها والمواقع التي نكون فيها مقيّدون ومحدودون.

الباب الخامس

حدود الحرية

نعرض هذا الباب بالكيفية التالية:

ـ الفصل الأول تحت عنوان (شرط عدم إضرار النفس) وتم فيه بحث شروط رغبات الطفل وعدم كفاية تجاربه وضرورة مراقبته في ذلك.

ـ الفصل الثاني تحت عنوان (شرط عدم إلحاق الضرر بالآخرين) وتم فيه بحث ذلك وضرورة التوجه إلى حاجة الناس من الحرية، ومبدأ الأخذ والعطاء وذكرنا أن الأسباب السابقة تفرض مبدأ تحديد الحرية وتعتبره من الواجبات.

ـ الفصل الثالث شروط الاهتمام بالضوابط، وضرورة تلك الضوابط في جوانب الحياة الفردية والاجتماعية، بالإضافة إلى أهداف تلك الضوابط، وذكرنا كذلك تنفيذ الضوابط والأساليب التي تمنع ذلك.

ـ الفصل الرابع وفيه ذكرنا مصدر الضابطة والتي تتكون في المجتمعات المختلفة من العناصر التالية:

الطبيعة الإنسانية، والاستنباط الشخصي، وآراء الفلاسفة، والأعراف الاجتماعية، والضوابط الدينية (حسب رأي الإسلام) والتي يكون ملاكها الشرع.

ـ الفصل الخامس بحثنا فيه شروط إعطاء الحرية وبعد ذكر أصل الإباحة في الحرية تناولنا شروط الجنس، والرشد والقانونى والمصلحة والحاجة وشروط المعرفة بالإضافة إلى بعض الأصول الإسلامية الأخرى.

الفصل الأوّل

عدم إضرار النفس

المقدّمة

الميل إلى الحرية هو ميل طبيعي وعامل لهداية الفرد إلى الهدف (سواء كان الهدف إلى التطور والرقي أو الانحطاط)، إن جعلنا الهدف باتجاه التطوير يجب أن نقيّده بقواعد عقلية لأن الإطلاق آفة عظيمة وبلاء خطر.

الطفل يجب أن يكون حراً، يركض ويقفز ويلعب، وأن يفعل كل ما يسرّه، ولكن حريته لا يجب أن تؤدي فيه إلى السقوط، ولا تسبب له المخاطر في سلامته ونموّه المادي والمعنوي وهذا القول يؤيده جميع العقلاء.

يعتقد الكثير من الآباء والمربين أن ترك الطفل حراً يسبب له المخاطر وأما أن يعرض نفسه والآخرين إلى الخطر، أو يتهور بشكل مفرط، لكن الحال ليس كذلك دائماً، نعم من الممكن أن يقع الطفل ويتعضر إلى الآلام وحتى قد يُجرح في مكان ما لكن يجب الالتفات إلى أن ذلك جزء من حياة الطفل ولا يجب القلق بصدده كثيراً.

لزوم التحديد

مع أننا نقول بحرية الطفل وخصوصاً في أول سبعة من عمره، لكننا نؤكد

كذلك على تحديده، لأن الحريات المطلقة تؤدي به أحياناً إلى السقوط والأضرار والإيذاء، وكل ذلك ينتج بعض الأمور منها:

١ ـ رغباته وميوله: الطفل والصبي والفتى لهم رغبات خاصة وإن عدم الالتفات إليها وتركها قد يكون سبباً في بروز العديد من الأضرار منها:

ـ ان البحث عن اللذة وهي أمر ذاتي وباطني، تُهيء الأرضية لتعرضه لبعض الأضرار.

ـ صفة الإعجاب وحب النفس والأنانية تنمو في إطار التحرر والإطلاق وهذه تؤدي بالنتيجة إلى العديد من الانحرافات.

ـ عوامل معرفة الذات والعجب وإظهار النفس من العوامل التي تسبب له الآلام في بعض الموارد.

ـ عامل حب الاطلاع الموجود فيه وخصوصاً في السنين الأولى يدفعه إلى التخريب والتدخل في بعض الأشياء التي لها عواقب وخيمة.

ـ بالنظر حاجته الطبيعية للتحرك والسعي فمن الممكن أن يؤدي عدم السيطرة عليها إلى الصدمات وهذا قد يجعله لاحقاً عبداً لشهواته: (عبد الشهوة أذل من عبد الرق)[1].

تعتبر الأمور السابقة سبب مهم لمراقبته في طريق النمو لكي لا يتعرض إلى الزلل والصدمة ولكي لا يسبب له اعجابه وغروره وأنانيته المشاكل، فهو بالإضافة إلى ذلك يتصف بحب الذات، وتقوى عنده في بعض مراحل عمره ميول جنسية جارفة. ورغبة في الأكل، لهذا فإن تركه أو التضييق الشديد عليه يسبب له المخاطر.

---

(١) غرر الحكم رقم ٩٨٣٦: علي عليه السلام.

٢ ـ ظروف جهله: الطفل جاهل بكل ما يتعلق بهذا العالم[١]. إلاّ علومه الفطرية التي تطغي عليها الصبغة الإلهية[٢] والوعي الغريزي والطبيعي. فهو لا يعلم بأن الذئب حيوان مفترس والأفعى حيوان لاسع ولا يعرف شيئاً عن بعض الحاجات الموجودة كالسكين والزجاج المتكسر، ويجهل بأن الماء مع جماله ولطافته قد يؤدي أحياناً إلى الخنق والتغلغل إلى أسفل الجدران ويخربها.

أما آداب وقواعد الحياة فهو يجهل بعضها وكذلك حدود الحقوق يغفل عنها، ولا يعلم بأن الآخرين يتعذبون بسبب ما يحصل منه نتيجة الغرور، وأن لهم حريات كحريته، إن جميع تلك المجاهيل تؤثر عليه وتؤدي به إلى مشاكل يصعب جبرانها لكنه لا يعلم بمخاطر ذلك. فهو لا يعلم بمخاطر اللعب بماء الحوض، وكذلك يغفل عن خطر ثقوب مواقع الكهرباء فنراه يحاول إدخال اصبعه فيها، روح البلاهة والجهل التي تطغى عليه موجبة لبروز شيطنته ووقاحته وهذا مضر له.

وعلى هذا الأساس يجب الالتفات إلى الجوانب المتعلقة بسلامته المادية المعنوية والحيلولة دون تعرضه للصدمة في مواقع الخطر أو على الأقل تغيير مسيره عن ذلك ويجب منعه من إضرار نفسه لأنه أمانة الله تعالى في يد الأبوين.

ومنعه من تخريب الأثاث والأدوات لأنها كلّفت مبالغ وأثمان وفي نفس الوقت منع الضرر عن يده أثناء محاولاته للتكسير والتخريب.

٣ ـ قلة تجربته: بالنظر لصغر السن فإن الطفل لا يمكنه أن يكون صاحب تجربة كافية وهذه مسالة نسبية، صحيح أن الفتى قد بلغ عمره وصار جسمه كبير ولكن هذا لا يعني ان ذلك يكفي لامتلاك حياة سعيدة بعيدة عن الأخطاء، هذا من

---

(١) النحل ٧٨.

(٢) الروم: ٣٠.

جانب ومن جانب آخر فإن الجهل وعدم الوعي، كل ذلك يؤدي إلى حدوث أضرار له وللآخرين ولو أضيف إلى ما سبق الحرية المطلقة التي لا تخضع إلى ضابطة فإن الأمر سيصبح أكثر خطراً وأشد، وأنه سيُساق إلى طريق عاقبته مظلمة ومرّة.

يحاول أحياناً تطبيق ما يدور في خياله وأحلامه من أقوال ورؤى ومقروءات ومسموعات وينقلها إلى أرض الواقع وهذا ما يؤدي به إلى إضرار نفسه والآخرين لعدم النضج وقلة المهارة. ولهذا فإنه من الضروري جداً ولأجل سعادته أن يكون في إطار ضابطة وسيطرة.

فوائد الرقابة

كما أشرنا سابقاً إلى فوائد رقابة الأفراد، وهنا نذكر هذه الضرورات مع إضافة بعض النقاط المتعلقة بالحياة الفردية ونخرجها بالصورة التالية:

- طلب الحرية من قبل الطفل لإرضاء طيشه في موارد كثيرة لا يقع في مصلحته.
- جهله الذي يؤدي إلى زوال حيثية ومكانة الفرد والعائلة.
- وجود عوامل خارجية مؤثرة كالاقتداء بأفراد منحرفين.
- الرغبة في إظهار النفس الذي قد يصل به إلى اللاأبالية والإهمال.
- عدم معرفة مقدمات وضوابط التطور الموجودة في الأفكار المقدسة.
- وجود دافع إفراطي إلى الركض والطفر واللعب والأكل والاستراحة والنوم.
- إخراج ألفاظ بذيئة مخالفة لأدب الفرد والمجتمع .

ـ الاتصاف بحالة الهجوم والنزاع المؤثرة عليه وعلى الآخرين.

ـ الاستسلام إلى الذنب والرياء والخداع والإهمال للمقررات الاجتماعية والاعتياد على شرب المخدرات والتخريب.

ـ سلوك مرفوض وإباحي يجعل منهم أفراداً لا يمكن تحملهم وخصوصاً في سنين بلوغ الغرائز.

ـ إرادة الفرد في الذهاب لأي مكان والاطلاع على أية نقطة والتكلم والارتباط مع أي فرد.

نوع وحدود السيطرة

وهناك سؤال يطرح عن حدود هذه الرقابة والسيطرة، وهذا ما ستجيب عنه بصورة مفصلة في الجزء المتعلق بالمراحل، ولكن ما يجب أن نعلمه في هذا الفصل هو أن الحرية المفضلة الينا هي التي تصان فيها سلامة جسم وروح الطفل والآخرين وكذلك شرف وصلاح الفرد والعائلة ويحدث من خلالها الانسجام الفكري بينه وبين المحيط وتتضح الأهداف التربوية في ظلها.

يُعيّن القانون حدود السيطرة، وهنا يتجلى دور تجربة واطلاعات الوالدين والمربين.

فمثلاً في الإسلام، تكون الحريات بين حدّين هما الواجب والحرام الشرعي، وهما حدود خير ومصلحة الطفل. يجب تطبيق السيطرة بصورة بعيدة عن الشعور بالجبر والفرض بالنسبة للطفل، وأن لا يشعر كذلك بأنها ثقيلة عليه، وأن تكون بالشكل الذي لا تخلّف بعدها عصيان الطفل، أو انحرافه، وأحياناً لا

تضطره إلى ترك العائلة والحياة.

الأساس فيها يقوم على النصح وحب الخير والهداية والتوعية، وتشجيعه على قبول نظم وقواعد وشروط الحياة وكذلك الاعتياد على الضوابط الأخلاقية بصورة تدريجية لا تؤدي الى فقدانه طمأنينته وأمنه.

نتيجة البحث

الحرية يجب أن تكون، ولكن ليست بالصورة التي تؤدي الى ضرره، وضياع التعادل والتوازن اللازم لحياته بل يجب أن تكون سبباً للتحقق النسبي لآماله ورشده وتطور شخصيته. الحرية المطلقة يمكن أن تجعل الإنسان خاوي العقيدة ومتحلل، وتعرّض مصالحه إلى الخطر. وأما التحديد المطلق فهو الآخر يصل بالإنسان إلى مستنقع الحيوانية وأحياناً يجبره على المقاومة الخطرة والانتقام. وفي النتيجة تُعطل استعداداته وتُعرّض بنيته الأخلاقية والعاطفية إلى الضرر والصدمة.

يجب أن يكون حراً، ولكن ليس بالمعنى الذي يصدر منه عمل مخالف للشرع أو خارج عن الضابطة وأن لايقع أسير أهواء الآخرين ونفسه، أو يستسلم إلى الغباء والخمول....

الفصل الثاني

عدم إضرار الآخرين

المقدّمة

أصل موضوع الحرية مقبول لدينا، ولكن البحث هنا يتناول حدود الحرية بالنسبة للأفراد لأن الإنسان اجتماعي بطبعه ويعيش مع الناس وأن تطبيق النظم الاجتماعية تستوجب تحديد الإنسان لنفسه والعيش داخل الضابطة والقاعدة.

لقد ورد في البيانات العالمية أن الحرية محدودة بمراعاة حقوق وحريات الآخرين و المقتضيات الصحيحة للأخلاق والرفاه العام[1]. وأما الأسلوب الداعي إلى حرية الفرد المطلقة لتأمين منافعه الشخصية فهو ليس مناسباً وكما يقول المثل: (حرية الطيور تعني موت السمك).

وكما يقول القرآن الكريم في سورة القصص آية ١٣: ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾.

ضرورة التحديد

هناك العديد من الموارد الضرورية في التحديد، وتقع في مجال حفظ حرية

---

(١) البيان العالمي لحقوق الانسان، المادة ٢٩.

الآخرين، للحيلولة دون الإضرار نعرض قسماً منها:

١ ـ **حاجة الناس إلى الحرية:** إن قلنا أن طلب الحرية شيء فطري فهذا يعني أن ذلك يشمل الجميع وبصورة متساوية، الناس طلاب الحرية ولكن إن لم يكن ذلك تابع للضابطة فإنه سيكون سبباً للفوضى والنزاع.

إطلاق حرية فرد ما بدون الالتفات إلى الآخرين، والاهتمام المطلق به فقط لإرضاء أهوائه سيكون مؤثراً سلبياً على الآخرين، لأن مبدأ الحرية هو امتلاك قدرة أداء العمل دون ضرر الآخرين[١].

وعلى هذا الأساس فإن الطفل ليس من حقه مصادرة راحة الآخرين بضوضائه، وفي مجال المعاشرة لا يحق له إساءة القول، وعليه ضبط نفسه في إظهار مشاعره، وأن يسلك سبيل إنساني في التعامل الكثير ممن يرفع شعار الحرية ولكنه في الحقيقة أسير لأهوائه النفسية ولا يتعدى دوره عن التجاوز على الآخرين والتعدي عليهم. معنى الحرية هو التحرر من القيود.

٢ ـ **الرغبة في إيذاء الآخرين:** البعض لديهم رغبة في إيذاء الآخرين[٢] وهذا من الممكن أن يكون ناتجاً من التعرض لصدمات الآخرين أو بسبب مرض خاص يسبب له شعوراً معيناً لإفراغ عقدته أو للانتقام.

الفرد الواقع في حياته تحت عذاب الآخرين الشديد سيكون بصدد توجيه ضربة إليهم. العقد الناشئة من العمل، والدراسة، وثقل البرامج تبعث على انعكاس جميع تلك المعانات على الآخرين، ومن العوامل الأخرى لذلك وجود التبعيض

---

(١) منشورات حقوق الانسان.

(٢) رأي روان كاوان.

والشعور بالظلم وحب الجاه وطلب اللذة المادية، والشعور بالحرمان، وفي بعض الأحيان يحدث ذلك بسبب الإطلاق والإهمال في أداء الأعمال.

ينشأ الطفل بصورة يشعر معها أنه مسموح له بالتطاول على أي فرد أو إيذائه، ومن النماذج الأخرى لهذا النوع من طلب الحرية هو: الضرب والشتم والتقليد والتجاوز والتعدي على حقوق الآخرين وسرقة أشياء الآخرين، ودفعهم والهجوم عليهم، وإيجاد الضوضاء والفوضى بصورة إرادية أو غير إرادية.

يمكن له أن يكون حراً، بشرط أن لا يؤدي إلى بروز الفساد والحرمان للآخرين، وأن لا يلجأ إلى التجاسر والتجاوز، وأن يسير في طريق التكامل والتكميل فقط. لا يحق له إشاعة أعمال الفساد والفوضى، والتشكيك بحقوق الآخرين، والنزاع معهم، والتسلط والفرض على الآخرين ومطالبتهم للاستسلام أمام أعماله دون اعتراض.

ضرورة الأخذ والعطاء

الحياة الاجتماعية قائمة على الحقوق[1] وفيها يتساوى الأخذ والعطاء، لأفراد المجتمع حق الحياة ولا يمكنهم ان يطيقوا التدلل وطلب الكثير، وتشير التجارب إلى أن نشوء البعض تحت الشروط السابقة، ومن ثم يدخلون إلى المجتمع فإنهم في الحقيقة سيعملون على تصفية حسابهم واسترداد خساراتهم.

المجتمع البشري مجتمع أخذ وعطاء، ويمكنه ان يتحمل الفرض والتجاوز الى حد معين ومن ثم يقابلونه بالمثل، وهذا ما يسبب ظهور النزاعات

---

(١) أساسه التكليف والمسؤولية.

والاضطرابات، وفي هذا الظرف لا يمكن لأي فرد استثمار حريته وجينها ستعم الفوضى والقلق في المجتمع.

والأسوء من ذلك أن الطفل الذي اعتاد على الفوضى والوقاحة والتجاسر فإنه في حالة دائمة من الخصام مع الآخرين ولو استطاع الوصول إليهم سنراه يشن حملاته عليهم(١).

عندما قلنا بوجوب تحديد حريتهم كنا نبغي عدم ظهور موانع ومعرقلات أمام الآخرين، وأن تذهب راحتهم ضحية لرغبة وتوقع فرد خاص، حفظ حقوق الناس وإحقاق ذلك من واجبات المسلمين(٢) وعندما تتسبب الصدمات للآخرين يتأثر الحق العام ويجب حينئذ إقامة التحديد المطلق وسلب هذه الحرية بالكامل منهم.

النتيجة الكلية

هناك خطأ من الناحية التربوية هو أن بعض الآباء والمربين يمنحون الطفل حرية واسعة ويطلقون يده لفعل ما يريد حتى التطاول على الآخرين، هذا ما يسبب تضييع الحقوق بالنسبة للآخرين.

التساهل في تحديد الأفراد يسبب لطمة كبيرة لشخصية الطفل وباقي الأفراد والقريبين عليه. الحرية المطلقة تمهد الأرضية للتسافل والسقوط وتؤدي بالمجتمع إلى الفناء والعدم.

---

(١) البعض يعتقد بأن ذلك له وجود ذاتي عند الأفراد.

(٢) نهج البلاغة حديث ٥٣.

الطفل حر لكن ليس بالشكل الذي يكون له الحق بعمل المخالفات والعصيان والطغيان لأن ذلك يزيد من عوامل التناقض والفساد في المجتمع ويسبب إلى إضرار الآخرين كذلك. إنه حر ولكن ليس بارتكاب الشر والسماجة لإرضاء رغباته.

ليس من حق الطفل الإصرار على تنفيذ ارائه أو لا يراعي أصول ومباني ومقرارت المجتمع أو يستعمل القوة والتعنت أو يسبب الفتنة أو إجحاف حق الآخرين و نشر الشر وإضرار الآخرين.

من رأينا يجب منع الكثير من الأمور، منها الاستهانة بمقررات المجتمع، مثل عدم مراعاة الاماكن المخصصة للعبورة، وايذاء الآخرين والسرقة والخيانة ولكل ما هو مخالف للشرع والعرف الشرعي.

نكات مهمة

ـ هدفنا من ضبط الأفراد ليس منافياً للحرية وإنما لتنظيم امورهم.

ـ ما دامات حرية الفرد لا تتعارض مع حرية المجتمع فإننا لا نمانع في ذلك أيضاً.

ـ يحق للطفل الدفاع عن منافعه المشروعة وواجب الآخرين الوقوف إلى جانبه في هذا المجال.

ـ يجب أن لا يرضى الآباء على صدور كلمات بذيئة من الأطفال بحق الأقرباء، أو يسخرون من أسلوب الآخرين، أو إثارة الضوضاء لسلب راحة الباقين.

-لا يمكن أن يكون التحديد أو سلب حرية الطفل قائم على رغبات وأهواء المربين، وإنما يجب أن يكون وفق الانضباط ورعاية القوانين والمقررات.

-عندما تتعرض حرية الطفل أو المجتمع إلى السلب من قبل افراد أو مجتمع يجب علينا الوقوف أمام ذلك الفرد أو المجتمع ومقاومته لإيصال الطفل إلى حقه.

-التدريب على الحرية المنضبطة يجب أن يبدأ من مراحَل الطفولة لكي لا نعاني من المشاكل في السنين القادمة.

-لو اعتاد طفلنا على الحرية المطلقة لا تحاولوا قتله بل إصلاحه مع مراعاة التدرج.

-يجب أن نسعى إلى تبيان طعم الحريات المحدودة إلى الطفل، ونوضّح له بأن خيره وإصلاحه في ذلك.

الفصل الثالث

رعاية الضابطة

المقدّمة

هناك رأي يحكم بالنفي على الحريات المطلقة أو التحديد المطلق في التربية ويوصي بالحريات المشروطة أي أنه يقول في الحقيقة بوجود الضابطة، ومن أي مكان تظهر هذه الضابطة يجب أن تكون واضحة للمربي وصريحة أيضاً لكي يعلم كيف ومتى يجب تطبيقها. ومن الضروري أيضاً وعي الضابطة وفهمها من قبل الطفل أو أي فرد يريد العيش في المجتمع لكي يوجه مسيرته على اساسها، وفي حالة التخلف يعتبر نفسه مقصراً ومسؤولاً عن ذلك، من الطبيعي أن يُراعىٰ موضوع التدرج في التوعية في جميع الموارد والأبعاد بصورة تتناسب مع نمو واستيعاب الطفل، وكذلك توضيح حدود توقعاتنا منه في كل مرحة من مراحل عمره.

ضرورة تعيين الضابطة

من الضروري تعيين الضابطة والقانون لحالات وحركات الطفل وسلوكه،

وطريقة استعمال الحريات وحدودها، ولهذه الضرورة جوانب فردية واجتماعية:

١ - في الجانب الفردي: الانضباط ضروري لأن الجو النفسي للطفل ميّال إلى الحرية المطلقة، لهذه الرغبة جوانب فطرية وذاتية. طلب الحرية أمر نابع من الذات ويسعى الطفل لتحقيق جميع رغباته. وان تحقق ذلك ليس بصلاحه دائماً وتقتضي سلامة عيشه وروحه أن يتخذ ضابطة له لأن هذه القواعد والمقررات لها حكم الملاذ الآمن والعامل لحفظ آمنه واطمئنانه الذي يساعد في خلاص الطفل من المخاطر ويحافظ عليه من الصدمات، لهذا يجب أن تكون جميع حالات وحركات الطفل قائمة على قاعدة وضابطة ولكن لا يحق له الخروج على تلك الضابطة أو يُسيء استغلالها أو يتخلف عنها.

الحرية غير المجازة للطفل هي الحرية التي لم تعيّن ضمن حدود القاعدة والضابطة ونحن لا نؤيدها لأجل تنمية الطفل ومصلحته وهذا ما وافق عليه أكثر الأفراد وفي مجتمعات مختلفة.

٢ - في الجانب الاجتماعي: وجود وتعيين الضوابط من الناحية الاجتماعية له ضرورة لحياة المجتمع، وان الذي يُساعد على وصول المجتمع إلى حياة سليمة هم الناس أنفسهم من خلال احترامهم للضابطة والقاعدة. حرية كل فرد يجب أن تكون داخل إطار واضح للقاعدة والنظام لأن خلاف ذلك سيؤدي الى الفوضى والاضطراب والنزاع والظلم.

لو عمل كل حسب ذوقه فإن الحياة الهادئة ستكون مهددة ويبقى المستضعفون تحت سلطة المستكبرين وتنعدم المشاركة البناءة والهادفة لسموّ المجتمع وتزول جميع الفضائل.

وجود الضابطة للأفراد أو المجتمع يمكن أن يكون عامل صلح وصلاح

وخلاّقية وسبب لإيجاد التنوع والرفاه والتطور والتجديد، وجود الضابطة لا يحول دون الحرية وإنما يعطيها معنى وروحاً وطعماً ويجعل الحياة قائمة على العدل والحق.

أهداف تعيين الضابطة

هدفنا من وضع الضابطة هو للحيلولة دون التفكير الفردي والشخصي والاهتمام بالرغبة الذاتية فقط، وإنما يجب عليهم الاقتناع بأن للآخرين حق في الحياة وهذا يستلزم صرف النظر عن بعض الرغبات. الأساس في الانضباط هو أن على الطفل أن يأخذ بعض الضوابط بنظر الاعتبار أثناء لعبة وركضه وقفزه لكي يتجنب الأضرار لنفسه وللآخرين.

يجب أن لا يكون سلوك الطفل كالأدغال الضارة التي تنبت في كل مكان وفي كل صورة وتسبب الاضرار للنباتات الباقية. العين والأذن واليد والرجل وباقي الجوارح لا تكون تحت سيطرة الأهواء الشخصية بحيث تؤدي إلى تضييع حق الآخرين، وخلاصة كل ذلك يجب أن تكون هناك معايير حاكمة في حياتهم الأخلاقية والاجتماعية.

شرح الضوابط

يُعد ذلك من الضروريات في مجال تربية الطفل وهنا يجب توعيته بصورة تدريجية حول القانون والقاعدة وحسب دركه وفهمه.

يجب أن يكون هذا الشرح ليّناً وملائماً وذكياً وهادئاً بحيث تجعل الطفل يشعر بالمسؤولية اتجاه القانون والعمل به لضرورته وليس بسبب الخوف.

يحتاج الطفل أحياناً إلى التفهيم وخصوصاً في مواقع التناقض والتضاد لكي يشعر بحلاوة القانون والانضباط. يجب عليه أن يتحمل عبئاً في الوقت الحاضر والمستقبل.

يتعرض الطفل أحياناً إلى ظلم من هو أقوى منه وهنا يجب على الوالدين حمايته وإشعاره بانه لولا رعاية الضوابط لكان قد تعرض إلى الأذى.

في هذا الشرح يؤخذ بنظر الاعتبار درك وفهم الطفل وكذلك ميزان رشده وحجمه. وعلينا أن نعلم بأن لكل عمرٍ مقتضيات خاصة، ومن الخطأ أن لا نعتني بموضوع استطاعة الطفل وقدرته على الفهم وهذا ما أشار إليه القرآن الكريم ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾[1]. لأن خلاف ذلك يحول دون نمو الطفل وكماله.

إجراء الضابطة

يعتبر إجراء الضابطة أكثر أهمية من شرحها، وأن وجود الضابطة هو المبدأ، وموضوع إجرائها مسألة أخرى. يجب أن لا يكون الإجراء ثقيلاً على الطفل وفي نفس الوقت لا يهمل ذلك. الكثير من القواعد والقوانين استلزمت مساعٍ كثيرة ومراقبة شديدة حتى اجتازت مرحة التصويب ولكن للأسف لم تنفذ لأسباب بعيدة عن الجانب الإجرائي، فما هي الفائدة من أننا نمتلك أحسن الأصول والقواعد ولكننا عاجزين عن تطبيقها أو ضعفاء في ذلك. يجب أن تكون العلاقة

---

(١) البقرة: ٢٨٦.

مع الطفل صميميّة وأن لا نجعل الطفل يفرّ من مربيه. يمكن تطويره عن طريق الأخلاق المملوءة بالأنس والصفاء مع رعاية أصل التدرج بالحركة. من الأمور الضرورية هو الالتفات إلى أن الطفل لا يبقى طفل إلى الأبد وإنما سيرد الى مجتمع الكبار قريباً ويكون مضطراً لمراعاة القواعد والضوابط، فإن لم يُدرّب على ذلك لا يمكن الاطمئنان إلى مستقبله وقد يصبح صعب السيطرة، مع أن المعصوم ﷺ يقول: (من لم يؤدّبه الأبوان أدّبه الزمان).

الضوابط المقررة يجب تطبيقها في محيط البيت والمدرسة وتنظيم لائحة العقوبات بالنسبة للتخلفين وإعلامهم بها. لا يجب الموافقة على عدم طاعة الطفل للقانون وعادة يثمنع ذلك بالتذكير والتنبيه وإن لم تنفع الأساليب اللينة نلجأ إلى أسلوب أكثر قسوة.

موارد المنع

تختلف موارد المنع حسب عمر الطفل وكما ذكرنا أن تطبيق الضوابط يجب أن يتلائم مع وسع ودرجة درك وفهم وعمر الطفل. ومن الممكن أن يكون أهم مورد للطفل هو الشيء المتعلق بسلامته وأمنه. مثلاً: الطفل الذي لا يفهم معنى السكّين أو الأشياء الحادة لا يمكن أن يكون حراً في لمسها وكذلك الأدوات الكهربائية والوسائل الأخرى التي يمكن أن تكون خطراً عليه في بعض الموارد وعلى الآخرين. وكذلك يجب أن ننتبه إلى أن لا يصبح فرداً حاسداً وحاقداً ومتجاوزاً على حقوق الآخرين وغارقاً في المعصية والانحرافات النفسية. من الممكن أن نجعل تلك الأمور في قائمة الممنوعات بصورة تدريجية وعن طريق تعميم الضوابط الكلية لحياة الطفل ونضعه في إطار النظم والضابطة.

ومن الضروريات ايضاً عدم تجاوز الحدود الطبيعية بحيث تؤثر على الحريات المشروعة للطفل وهذا ما سيؤدي إلى ترك آثاراً سلبية على إدارته لنفسه وإخلاصه وجرأته وفي الدفاع عن النفس، ويصبح معتقداً بوجوب كسب الإذن من الوالدين في جميع الموارد.

يجب أن يكون أسلوب العمل بالشكل الذي يشعر الطفل معه بحريته في عالمه الاجتماعي، واعتقاده بأنه لا ينقص بشيء عن الآخرين في هذا المجال لكي لا يصبح مستسلماً وذليلاً للآخرين وفي نفس الوقت لا يصبح متجاوزاً في حريته وسالباً لحرية الآخرين.

يجب أن نراقب أنفسنا بأن أسلوب التحديد هذا لا يُخرجنا من مسير العدالة، بحيث يشعر الطفل مثلاً بأن اعتباراته في طي النسيان، وأن لا تصدر خيانة لحقوقه، وأن نسامح ونغض النظر في المواقع التي تستوجب ذلك.

الفصل الرابع

مصدر الضوابط (الملاكات)

المقدّمة

هذه مسألة مهمة أيضاً وهي: ما هو مصدر الضوابط اللازمة وما هي حدود ذلك؟ يختلف العلماء وأصحاب الرأي في الإجابة على هذا السؤال.

المسألة التي توضح لنا الحرية وحدودها هي الغاية التي نبغيها من الحرية والهدف الذي يبغيه هذا البحث.

لاشك أننا نطلب ذلك حفاظاً على صلاح الفرد والمجتمع، وما نقصده من تحديد الحرية هو الحفاظ على السمعة الشخصية والحياة الاجتماعية واستثمار الإمكانات للوصول إلى السعادة واستقرار القدرة الإنسانية في جهة الخير والرشد. مع أن هذا الموضوع واضح للجميع ولكن انتخاب المسير تتفاوت الآراء حوله وكما يقول القرآن الكريم: ﴿**وكل حزب بما لديهم فرحون**﴾[1].

آراء حول الموضوع

لا يتيسر لنا ذكر جميع الآراء والأدلة حول هذا الموضوع ولكننا نعرض

(١) الروم : ٣٢.

المهم مع رعاية الاختصار.

١ ـ الطبيعة الإنسانية: يقول البعض أن الطبيعة البشرية هي أفضل دليل للتربية[1]. يأتي الإنسان إلى الدنيا وله صورة خاصة من المواصفات الطبيعية والرغبات التي يجب أن تكون موضع الاهتمام. ظواهر المدارات الكونية في نظام هذا الكون والتي تسير بسرعة معينة فإن زادت أو بطأت هذه السرعة سوف تؤدي إلى الكوارث وهكذا الحال لو خرجت أحد الأجرام من مدارها، وهكذا الطفل فإنه يتصف بمدار خاص وسرعة خاصة وعلى ضوء ذلك يكون بحالة حركة وسعي وان التغييرات والمداخلات في عمله وسبيله ستهيء الأرضية للاصطدام.

لهذا يجب أن يكون طبيعياً في حركته وسيره ولا يحق للوالدين والمربين وضع الموانع والسدود في طريقه. ويقع هذا الرأي تحت الكثير من الانتقادات من جملتها عدم ملاحظة البعد الاجتماعي لحياته والضوابط اللازمة له وأن الرغبات اللامتناهية للطفل ستؤدي وبلا شك إلى الفوضى والاضطرابات ولو أردنا الاستجابة لها فعلينا انتظار عواقب لا تُحمد له وللمجتمع، بالإضافة إلى ذلك فإن محيطنا ليس حيوانياً يعمل كل فرد فيه بلا حدود.

٢ ـ الاستنباط الشخصي: يقول البعض أن للإنسان عقل يدله على جلب الخير ودفع الشر[2] ولهذا فمن الأفضل أن يتخذه هادياً ويعمل بما يراه أي أن حدود الحرية تقع تحت تشخيص العقل والاستنباط الشخصي.

وينتقد هذا الرأي بأن العقول متفاوتة وترتبط بعمر وسن الفرد. وتقع العقول تحت تأثير العواطف ولا يمكنها درك الماضي مهما كان وتوقع المستقبل، عملها

(١) المذهب الطبيعي.

(٢) مذهب أصالة العقل.

محدود ولا يمكنها تشخيص المفاسد والمصالح دائماً.

لا يعتقد الإسلام بكفاية العقل مع أنه يعطيه قيمة واعتباراً كبيراً وإن ما يبرر ذلك هو إرسال الرسل[1]. ولو كان كما قالوا فأي عقل سيكون الملاك في موضوع الحرية؟ عقل الطفل، الصبي، أم... وهل أن هكذا فرض صحيح.

٣ـ آراء الفلاسفة: يعتقد البعض بأنه يجب أتباع الفلاسفة في هذا السبيل أو أصحاب المذاهب لأنهم يتمتعون بآراء واسعة وآراء فكرية ومستدلة ويمكنهم تشخيص حدود الحرية.

تشير البحوث إلى عدم إمكانية الاعتماد على هذا الرأي كذلك لأن هؤلاء أيضاً محدودون في تشخيص الحق وجادة الصواب لأن الإنسان بطبعه ينسى ويسهو، وتتفاوت الآراء بينهم وتتناقض، وإن الكثير منهم يعدل عن رأيه بعد فترة وأحياناً يعمل بعكسه تماماً . الآراء مختلفة بين الفلسفة اليسارية واليمينية، والفلسفة الإلهية والمادية الشرقية والغربية، والقديمة والجديدة ولا تُعرف لأيهم توكل وظيفة وضع حدود الحرية.

٤ـ الأعراف الاجتماعية: اكتسب هذا الرأي مؤيدين[2] وبعد نسيان طويل بدأ العلماء بالحديث عنه[3] وظهرت كتابات[4] تقول أن الملاك هو ما يختاره المجتمع في حدود الحرية وأن الناس هم الذين يضعون المحدودات.

وكما تعلمون بأن هذا الرأي لا يفرّق بين العالم والجاهل. والصبي والعجوز،

---

(١) نهج البلاغة الخطبة ١.

(٢) النظرية الديمقراطية.

(٣) روسو وديوي وأغلب المتأخرين.

(٤) روسو: العرف الاجتماعي.

والحقير والعالي، وصاحب التجربة وعديمها، وبما أن أكثرية المجتمع تتشكل من عامة الناس، إذن العلماء وأصحاب الرأي هم الأقلية فيه ولهذا يجب اتباع الجاهل وترك العالم والفاضل.

كان النظام الديمقراطي في البداية نظام حكومي وبعد ذلك تحول إلى نظام حياة[1]، ونرى آثاره اليوم في عالم الغرب ومن هذه الآثار اتساع رقعة المفاسد والفحشاء في المجتمعات التي تعتبر نفسها مهد الديمقراطية.

٥ ـ **الضوابط الدينية**: يعتقد اتباع المذاهب المختلفة كاليهودية والمسيحية والإسلام و... بوجوب تحديد ذلك من قبل الله تعالى، لأنه تعالى خالقنا وأعلم بصلاحنا ومصلحتنا وليس له فيها نفع ولا ضر لا يقع أسير العواطف والمحدوديات، الوجود والمجتمع من خلقه وهو الذي يعلم بحدود حركة وسرعة الإنسان الطبيعية والتي تسبب له المخاطر، ولقد وضع أمره على أساس جوده وكرمه عن طريق الأنبياء والكتب، وأن من يستوجب عليه الانسجام مع ذلك هو الإنسان.

٦ ـ **خليط من الآراء السابقة**: ويسعى البعض إلى خلط الآراء وإخراج رأي منها، ولكنهم لا يمثلون خطأً أو نهجاً وإنما يظهر بصورة أهواء ورغبات هنا وهناك. في الحقيقة إن هذا النمط قريب جداً من أسلوب الاستنباط الشخصي أو الانتفاع الذاتي[2] أو القائلون باللذة[3] وهي عقيدة خاوية.

في الحقيقة أن القواعد الأخلاقية والمقررات الاجتماعية في هذا الرأي

---

(١) شريعة مداري: المجتمع والتعليم والتربية ص ٧٧.

(٢) الانتفاعيون.

(٣) مذهب نيتشه.

وحتى العقل والعرف لم يُعطى موقعها الأساسي فهو لا يتّبع العقل ولا الديمقراطية وإنما يقوم على الفوضى والاضطراب.

٧ـ آراء آخرى: هناك آراء أخرى تحتاج كل منها إلى نقد وبحث واسع. بعض الفلسفات والمذاهب تؤكد على الأخلاق العالمية وتعتبرها الملاك والبعض الآخر على (الأنا) والوجدان البشري.

والقسم الآخر يشكك في أصل الحرية ويؤكد على أعمال الضغط والقوة[١]، ومجموعة تعمل على إضلال الناس وتضييعهم بين الحرية والسيطرة اللامعينة والقائمة على الحيلة والمكر.

نظام التربية الإسلامية

كما قلنا أن الإسلام يأمر باتباع الشرع والدين في جميع الأمور من ضمنها تعيين حدود الحرية. ويجعل الأساس هو العبودية، والتي هي رمز الخلقة[٢] وسرها وأن لا وجود للحرية المطلقة بالنسبة للعبد لأنه يوجب عليه اتباع أمر مولاه ونهيه.

الأوامر والنواهي الإلهية عبارة عن الواجب والمستحب والحرام والحلال والموجودة في الكتب السماوية[٣] التي هي قانون عمل الحياة، وفي السنة

---

(١) النازية.

(٢) الذاريات ٥٦.

(٣) القرآن المجيد.

النبوية[1] وطريقة عمل المعصوم التي هي تفسير لذلك وسراج لها ولهذا فإن الحرية المقبولة هي ما قال بها الله تعالى ورضى عنها.

الأساس في الإسلام هو أن الإنسان يتنفس بهواء الدين وكذلك الطفل يجب أن يُربى على ما حدده الله تعالى وفي ايامه الأولى، والوالدان والمربون منفذون لحكم الله تعالى وكذلك قادة المجتمعات ولا ضير أن نتذكر بأن الإسلام لم ينف وجود مصادر أخرى لمعرفة وتحديد حدود الحرية ولكن الأساس هو القرآن والسنة ويأتي دور العقل والمجتمع في المراحل الآتية، وهناك منابع أخرى كالفطرة والطبيعة والتاريخ وإحداث المجتمع و.... وجميع ذلك يجب أن ينطبق مع أصول القرآن والسنة.

---

(١) قول وفعل وتقرير (كتب أصول الفقه).

الفصل الخامس

شروط إعطاء الحرية

المقدّمة

كما أُشير سابقاً إلى ضرورة إعطاء الحرية المقيدة والمشروطة، وأن الطفل لا يترك لحاله ولا يوضع في قيد وقد انعم الله عليه بالحرية، والشيء المهم هـو أن يتناسب ذلك مع عمره وقابليته ووسعه وأن الحرية له نعمة وليس فـخاً يـوجب الأخطار. ثبت علمياً هذه الأيام بأن الإنسان بحاجة إلى حرية عامة تتناسب مع حجمه لأجل رشده في جميع المجالات، وما يقرره الإسلام لذلك هو اقتران ذلك مع التقوى ورعاية ضوابط الشرع.

اصل الإباحة

الحرية في الإسلام تقع من ضمن الموارد التي تتفرع من أصـل الإبـاحة، ولدينا أساس فقهي لهذا الأصل يقول: كل شيء مطلق حتى يرد نهي فيه[1] وهذا

---

(١) وسائل الشيعة ، الشيخ الحر العاملي ج ٦ ص ٢٨٩.

يعني أن المنع لا يصدر من الشارع حول حالات وحركات ومواضع الفرد حتى نعثر على دليل لذلك، وأن الموانع هي أمور عارضة يستفاد منها عند الضرورة.

الطفل وحسب ضوابطه الطبيعية يلعب ويركض ويقفز ويتحرك وتصدر منه فعاليات وهو حرّ بذلك، ولكن عندما يكون سلوكه موجباً للضرر له وللآخرين أو يخالف به ضوابط الشرع فإننا نضع الموانع أمامه، وعلى هذا الأساس فهو حر في لعبه وحركته ولكنه غير مجاز في تعريض مكانته ومكانة الآخرين إلى اللعب، يمكنه القيام والأقدام على تنفيذ رغبته ولكنه ليس لديه الحق أن يقتل نفسه أو يؤذي الآخرين.

الشروط اللازمة

هناك الكثير من الضوابط والشروط التي يجب ملاحظتها في حرية الطفل و...يمكن ذكر بعضها:

١ ـ **شرط العمر**: كما قلنا سابقاص أنه لكل عمر مقتضى وعلى ضوئه يجب التعامل، لحرية الأطفال الصغار معنى واستعمال خاص، ولأطفال الابتدائية والمتوسطة معنى واستعمالاً آخر. في بعض المراحل يكون الخطر أقرب للطفل من المراحل الاخرى كالطفل الذي يمشي تواً أو في مرحلة الزحف، هنا تضييق مساحة حريته لانه معرّض للسقوط من الدرج وفي الحوض والبئر، ويجب أن تستمر الرقابة والسيطرة عليه حتى يصل إلى مرحلة الإدراك والفهم.

٢ ـ **شرط الجنس**: النظام التربوي في الإسلام ثنائي، تربية الولد تختلف عن تربية البنت مع جميع المساواة الموجودة في الكليات المربوطة بالإنسانية.

لاشك انه من الواجب اتصافهما بالعفة والتقوى ولكن الإسلام يفرض عفة أكثر على البنت لكونها أم المستقبل القريب ومربية الجيل، ولكونها أسرع بلوغاً وأكثر عرضة للضرر في الجانب الأخلاقي لهذا فإن الإسلام يبني حولها طوق المراقبة بوقت اقرب، وكذلك فإن بلوغها الشرعي قبل الولد وكذلك التزامها بالحلال والحرام والواجب والمستحب.

٣ ـ **شروط البلوغ** : يجب أن يكون هناك تناسب بين الحرية المعطاة وبين درجة البلوغ في جميع جوانبه المختلفة الجسمية والذهنية والعاطفية والروحية وقد تشمل كذلك الجوانب الدينية والأخلاقية والسياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية.

وقد اشترطنا هذا العامل لأن الحرية الإفراطية تؤدي أحياناً إلى الانحراف وأن الشخص غير الواجد للبلوغ في الجانب المعني من قبله قد يسبب له السقوط، في حين أن الأساس من إعطاء الحرية هو ليتمكن الفرد من الغلبة على سلبياته وشهواته ويسيطر على أهوائه.

لا شك أن الطفل الذكي والعاقل يستطيع جذب الحرية أكثر من غيره وتسخيرها في سبيل الوصول إلى الهدف وهذه المسالة منفصلة عن العمر. ومن الطبيعي أن معرفة ذلك له علاقة في التعمق بالأفعال والأقوال والسلوك وجميع ذلك يشير إلى حسن شخصيته .

٤ ـ **شرط القانون**: حرية الطفل مشروطة بالقانون، وطبعاً هناك اختلاف في الآراء حول مصدر هذا القانون، فيمكن أن يكون الملاك الشرع او العرف أو الاستنباط الشخصي و... المهم هو تعيين قاعدة وضابطة تنال القبول ومن ثم نضعها في إطار التنفيذ.

مع وجود العطف والحب الشديد من قبل الآباء والمربين إلا أنه يجب أن لا يترددوا في الجانب الطبيعي. يبتسمون في موقع الابتسامة ويـراعـون الجـانب الضبطي في محل الضبط.

الطفل الواعي لقبح السرقة يجب عليه اجتنابها، وعليه ان يعرف أن خيانة الأمانة تستحق العقاب، ويجب علينا أن نسعى وفي جميع الأحوال للحيلولة دون تعرضه للضرر أو أن تصير عبئاً عليه لانه يحق له أن يعيش حراً ومستراح البال وطبيعياً.

٥ ـ **شرط المصلحة:** لا يفوتنا من أن جميع البحوث حول الحرية نبغي منها رسم برنامج لحياةٍ قائمة على المصلحة، بعبارة أخرى أن تـوسيع الحـريات أو تضييقها يجب ان يصب في خير وصلاح الطفل وليس لتعقيده أو الانتقام منه.

يجب مراعاة حفظ الكَرامة واجتناب الذل والحيلولة دون هتك الحرمات وأخذ كل ذلك بنظر الاعتبار ولا يجوز بأي حال من الأحوال نسيان المقام الرفيع للإنسان، فهو أمانة الله لدى الوالدين والمربين والجميع معنيون بحفظ هذه الأمانة ولا يجب أن نسمح بإنبات بذرة الانحراف في داخله.

نعم من الممكن أن تكون الحرية من جانب آخر مناسبة ولكن الآن وتحت هذه الظروف ليست بمصلحة وصلاح الطفل كما في قصة الطـفل المـريض الذي تكون الحركة بالنسبة إليه مضرّة أو أن هذه الحركة تكون بضرر مريض آخر.

٦ ـ **شرط الحاجة:** يجب الالتفات إلى أصل الحاجة في مـوضوع إعـطاء الحرية. الطفل بحاجة إلى السخط والدفاع والتدريب على الدفـاع، بـحاجة إلى المحبة والحب، وحتى أنه بحاجة إلى نسبة من الاضطراب والقلق، والخوف تعتبر هذه العواطف للحياة الطبيعية والانسانية للطفل ولا يحق لنا أن نسلب جميع تلك

الأمور التي تقع تحت اسم التربية والتنظيم والتي هي مهمة لوجوده.

الطفل بحاجة إلى اللعب والمعاشرة والسرور وإثبات الوجود وحتى الغرور وإظهار النفس هو بحاجة إلى إظهار العقيدة واعطاء الرأي والحصول على الاحتياجات الأولية، وانتخاب لون الملابس، والى الاستقلالية في تناول الطعام واللعب في الألعاب. وفي جميع الموارد السابقة توضع الحرية في اختياره وفق الشروط الثلاثة التالية: رعاية الضوابط، عدم إضرار نفسه، عدم إضرار الآخرين. ولا يجوز بتاتاً سلب الحرية من الطفل، لأجل حفظ منافعه أو الدفاع عن مكانته.

٧ ـ شروط المعرفة: المعرفة شرط مهم وأساسي للحرية الصحيحة للفرد والمجتمع. يستطيع الفرد أن يستفيد من الحياة بصورة صحيحة ما تمكن من التفكير الصحيح والمقارنة بين الأمور بشكل صحيح ومن ثم الانتخاب والتصميم على الرفض او القبول، وجميع ذلك يختلف حسب عمر الطفل.

يجب إعطاء الحرية للطفل بالنسبة التي يدركها ويفهمها لكي يتمكن من حلّ مسائله الشخصية بأسلوب منطقي ويراقب أعماله ويحاسب نفسه على ذلك. (إن الحر حر في جميع أحواله)[1].

الأصول الإسلامية

كل ما قلناه يؤيده الإسلام وهناك بعض الاصول الاخرى يجب إضافتها مثل رعاية أصل العبودية، التوحيد، الفضائل الأخلاقية، الكرامة، الضوابط الشرعية، العدالة والانصاف و...الخ. وعموماً يجب الالتفات إلى النكات التالية:

(١) أصول الكافي ج ٢ ص ٨٩ عن الإمام الصادق عليه السلام.

- يقبح أن يذل الفرد وجوده[1]. (الاستسلام للذل).

- ان الله تعالى فوّض إلى المؤمن كل شيء إلا الذل[2].

- الحرية منزهة عن كل أنواع المكر والخداع والغش[3].

- حسب رأي كانت: الإرادة الحرة هي التي تكون مطابقة لأمر القانون[4].

---

(١) المحجة البيضاء ج ٤ ص ١٠٨.

(٢) الكافي ج ٥ ص ٦٤ حديث عن الرسول ﷺ.

(٣) غرر الحكم، حديث رقم ١٤٨٥.

(٤) جانب اسميت: من ولف إلى كانت ص ٣٣٠.

الباب السادس

نشر الحرية

نعرض هذا الباب في خسمة فصول:

ـ الأول بعنوان اعطاء الحرية لاعضاء الجسم التي تؤثر على الانتقال والحركه وحدود الحرية وعلى بنائها وكذلك بحث مسألة عدم التدخل أو كيفية ذلك.

ـ الثاني: نشر الحرية في الفكر والعقل، وقد طرحنا موضوع حرية العقل ومساحة الحرية في التفكر والخلاقية والتطور والابتكار والتحرر من القيود.

ـ الثالث: نشر الحرية في البيان وقد تناولنا فيه العلاقة بين الحرية والبيان وجوانب الحرية وفوائد ومساحة ذلك في الرقابة الاجتماعية وموارد المنع والاجتناب.

ـ الرابع: نشر الحرية في السلوك واساس ذلك حرية الإرادة. والاستقلالية في الألعاب والسلوك وكذلك شرحنا موضوع منع تلك الحرية وبعض النكات المتعلقة بذلك.

ـ الخامس: الحرية والانتخاب وقد تم التأكيد فيه على التدرّب حول الاختيار وذكرنا مساحته في اختيار الأدوات والآلات والتصرف والتحكيم واختيار الصديق والانتقاد ومواردالمنع كذلك.

الفصل الأوّل

الحرية في أعضاء البدن

المقدّمة

الحرية تشمل جزء من الجوانب غير المادية للإنسان والتي هي لا تشبه حسّ معين يشغل موقع في مخ الإنسان. نعلم أن العين أحد الأعضاء الحسية وله موقع في المخ وان تعطل هذا الحس فانه يؤدي الى ايقاف ذلك العضو أيضاً وهكذا السمع والذوق وحتى الغريزة الجنسية التي لها جنبة فيزيائية وكيميائية.

تنبع الحرية من فطرة الإنسان وليس لها بعد كيميائي أو فيزيائي، ومركز ذلك هو الذات وروح البشر ولهذا فإنها تتصل مع جميع وجود البشر، وهو ما لا يمكن تعطيله سوى أنه من الممكن منعه من الظهور بصورة أفعال وسلوك.

إن الغرض من الحديث حول إعطاء الحرية هو إزالة موانع سيرها وحركتها وإلا فإن الحرية ليست بأمر إعطائي. الإنسان حر بذاته وهذه حرية باطنية تنشأ من مركز الوجود.

نشر الحرية

يجب فتح طريق الحرية أمام الأفراد بالمقدار الذي يستطيع نشرها في كل

وجوده ويظهرها في جميع أبعاده. قبل فتح طريقها يجب علينا الالتفات إلى الهدف الذي نريد تعقيبه من التربية وما هي الأغراض التي نربي الأطفال لأجل الوصول اليها وهذا بحث آخر أشرنا إليه من بعيد أو قريب. يختلف أصحاب الرأي في موضوع نشر الحرية في الإنسان، فيقول البعض بحاجتها إلى التطور والبلوغ كما يعبر عن ذلك القرآن الكريم: ﴿فمن أسلم فأولئك تحروا رشدا﴾[1]. والبعض الآخر يطلبها تلبية لحاجة شهواتهم الغريزية وهذا يؤدي إلى منع الشعور بعدم النضوج لدى الفرد[2].

والبعض الآخر للوصول إلى اللذة[3] والقدرة والغلبة على الشعور بالحقارة[4].

مساحة نشر الحرية

عموماً المهم هو أن تكون الحرية منتشرة بين أعضاء الجسم للحصول على الأغراض التي تفتقد الحياة معناها بدونها. مثل حرية اليد والرجل والأذن والعين واللمس والذوق وهي مهمة لكي يستطيع الفرد إظهار ما في داخله وتحقيق رغباته بصورة جيدة، وفي ظل ذلك نضمن سلامة الجسم ونموّه، ونمو وتقوية القوى الذهنية والصحة الباطنية، وعزة النفس....

ويمكن كذلك أن يهبط عن طريق ذلك إلى مستنقع حب الذات والغرور

---

(١) الجن: ١٤.

(٢) الفرويدية.

(٣) فكر نيتشة.

(٤) نظرية آدلر.

والأنانية وعبودية الشهوة وظلم الروح. أمام الإنسان هذان الطريقان وهو الذي يجب أن يفكر في انتخاب أحدهما. لاشك أن للوالدين والمربين دور مهم في ذلك، فهم كالدليل إلى الخير ويمكنهم أداء دور العقل المنفصل بالنسبة للطفل ويمنعون سقوطه، وهذا ما يقوم به عظماء هداة البشر[1]. عادة ويبذلون الجهود عن طريق البشارات[2] والانذارات لسوقه إلى خط العبودية.

أما فوائد النشر بين أعضاء البدن وجوارحه:

١ ـ **الفائدة في الحركة والانتقال:** يجب أن يكون الطفل حراً لكي يتمكن من الحركة والركض والقفز والانتقال من هنا إلى هناك بشرط عدم الإضرار وعدم مخالفة الشرع والعرف. والأساس هنا هو ما يحصل عن طريق الاستفادة من الحرية والاختيار بصورة مستقلة وصحيحية ومصاحبة للفكر واقعة في داخل الحدود الإلهية وأن يتحرر من جميع العبوديات سوى عبودية الله تعالى التي هي رمز خلقته[3]. أما المراقبة المتمثلة في الأمر النهي يجب أن لا تشمل جميع شؤون حياة الطفل بحيث تؤدي الى توقّفها، لأن حياة الطفولة هي جزء من الحياة المؤثرة في التطور، فهو محقّ في أن يذهب لوحده إلى المدرسة، ويلعب لوحده مع بقائه تحت ظل المراقبة.

٢ ـ **الفائدة في لمس الأشياء والعبث بها:** الطفل يحب الاطلاع ومعرفة الأشياء، وفي المراحل المتقدمة (بعد السنة الرابعة) يطمح إلى فهم سرها[4].

---

(١) ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾، الرعد : ٧.

(٢) الأنعام ٤٨.

(٣) الذاريات ٥٦.

(٤) حالة الاستفسارات ومعرفة علة الأشياء.

ولو بلغ الست سنوات سيهتم بتشخيص الأشياء وفي النظافة ويفكر في كل ظاهرة يراها[1]. ولهذا نراه يعبث بالأشياء لإرضاء رغبته في التطور واكتشاف الذات ومن الضروري هنا أن يكون حراً بصورة كاملة في بعض الأمور التي لا تسبب له الضرر، ولو احتمل ذلك لوجبت المراقبة هنا.

على أي حال فإنه بحاجة الى التجربة ولهذا يجب استقبال هذا المبدأ وقبوله لأنه يؤثر على سلامة فكره في المستقبل وعلى مواقفه.

من الطبيعي أن يرافق ذلك بعض السلبيات، كتلوث الملابس والجراح البسيطة وتكسر الأشياء الجزئية، و...الخ ويجب أن لا تثير هذه الأمور الحفيظة لأن نمو القوى الروحية والعضوية واكتساب المهارة كل ذلك يحتاج إلى ثمن.

٣ ـ **الفائدة في البناء**: يجب أن تطلق يد الطفل في مجال البناء مع أن أفعاله فاقدة للدليل العقلي بالنسبة لنا. يمكنه أن يشكل بيتاً صغيراً (عن طريق استعمال المتكأت)، هذا لا يحمل معنى عقلياً بالنسبة لنا، لكنه منطقي جداً بالنسبة له ولهذا يجب أن نقبله.

نراه يستعمل العصى كفرس أو دراجة هوائية عن طريق وضعها بين رجليه ويجول بها. يصنع صندوقاً عن طريق وضع قطع الطابوق فوق بعضها، هذه أمور جيدة تؤدي إلى الإبداع والاختراع في المستقبل وإلى التكامل العقلي، وتعتبر بالنسبة له كالتجربة الحسيّة، ولذلك فوائد أخرى كالشعور بالمسؤولية وبعض الأمور الأخرى التي تؤثر إيجابيا على مستقبل الطفل. ما دامت هذه الامور لا تضر بالطفل ولا تخالف الشرع والقانون فلا ضير أن يكون حراً في أدائها مع

---

(١) مراحل التفكر المنطقي.

إعانته في إعداد برنامجاً له يتناسب مع قدرته واستطاعته وحجمه ومن الضروري جداً تحديد مكان خاص به ليعمل تلك الأمور.

في عدم التدخل

عندما تُعطى الحرية للطفل يجب تحمل تبعات ذلك أيضاً، فإن سمحنا له بلمس المزهرية مثلاً يجب ان نضع احتمال كسرها في نصب أعيننا كذلك ولا ننزعج لو حدث ذلك فعلاً. أما الأشياء الثمينة فلا يجوز إعطاء الإذن في لمسها.

يجب على الآباء والمربين السعي لزيادة تجارب الطفل وتوجيه تفكره إلى الهدف المقصود وتسخير الأشياء لإظهار تسلطه عليها ولتبيان روابط العلة والمعلول بين الأجزاء.

أحياناً يكون الطفل هادئاً بلعبه وفعاليته ولا يؤثر على أحد ولا يتضرر منه أحد، هنا لا يجوز التدخل في عمله ويجب تقديم المشورة والمساعدة له علماً أن قتل روح طلب الحرية لديه تساوي في تأثيرها إطلاق حريته بالكامل.

التدخل المستمر يخنق الرغبات العادية والعالية لدى الطفل وهذا يمنع رشده وبلوغه، روح التحرر لدى الطفل أمر جيد ولكن بشرط أن يقوم على الأصول الأخلاقية القيّمة والقوانين الفكرية.

كيفية التدخل والمنع

من الخطأ أن نعتقد بوجوب عدم التدخل أو القيام بالمنع في بعض الأمور

لأن الطفل لا يعي مصلحته ولا يعلم بأسرار الكثير من الأمور. يجب إجراء الرقابة البعيدة والنظر إلى حالات وحركات ومواقف الطفل لمنع الضرر عنه وعن الآخرين والحيلولة دون مخالفة أعماله لضوابط الشرع. لأن ذلك يؤدي إلى التربية المنحرفة. نعم نحن نعلم أن الطفل يكره تدخل والديه في أعماله ويعتبره أحياناً إهانة له وتحقيراً، ولأجل رفع ذلك النقص نسعى أولاً إلى المراقبة غير المباشرة وثانياً تقديم ما يحتاجه من نصائح بصورة ملائمة ومناسبة. على أي حال يُفترض بنا سد الطريق فوراً متى ما رأينا أعماله تسير نحو الانحراف وهذه من المهام الأساسية والمسؤوليات الحساسة جداً.

الفصل الثاني

نشر الحرية في فكر وعقل الفرد

المقدّمة

تعتبر حرية المحيط أحد أبعاد الحريات، وتشمل أعضاء الإنسان وجوارحه، ولكن الحقيقة أن ذلك ليست الحرية كلها. إن اردنا النظر إلى الحرية بأبعادها ومساحتها الواسعة والاعتناء والعمل بها يجب علينا الالتفات إلى أبعاد الوجود الإنساني الأخرى من قبيل: البعد الذهني والعاطفي والنفسي والجوانب التي تقع تحت هذه الأبعاد.

جزء من الحرية يرتبط بالجوانب الذهنية، وقد يكون هذا من إحدى الجهات أهم من الحرية المرتبطة بأعضاء البدن لأن الأخيرة تقع تحت أمر ونهي الجوانب الذهنية، فقبل أن يصدر أي عمل من الأعضاء والجوارح يخطط له في الذهن الفكر ولهذا فإن الحرية الذهنية تتقدم على الحرية العملية السلوكية التي تظهر عبر الأعضاء والجوارح.

على هذا الأساس يجب أخذ هذا الجانب بنظر الاعتبار في مجال تحديد الحرية، فإن يستطيع الإنسان السيطرة على قواه الباطنية بأي شكل من الأشكال أو ضبط المحيط الخارجي لأجل نشر الحرية المحدودة فإنه سيخطو إلى الكمال المطلوب.

ذكرنا سابقاً أن وظيفة العقل هي تشخيص وتمييز تقييد الحالات والسلوك والحركات فهو ضابط للحركة ومانع لتهور الأعضاء والجوارح. المشكلة التي نواجهها في مجال التربية هي وقوع العقل أحياناً فى حبائل العاطفة والشهوة ويؤثر ذلك سلباً على تشخيصه ومقاومته لبعض الأحداث. لهذا فإنه من الضروري تحرير العقل من بعض القيود وتزويده بالعلم والتجربة(١)، وهذا يساعد على إمكانية النموّ والتطور في مجال التربية والوصول إلى الأهداف الإنسانية العالية.

نحن بحاجة إلى العقل الحر لحياتنا الفردية والاجتماعية لكي يجعلها تسير في السبيل الحق والعبودية وتؤدي بالنتيجة إلى الجنان (العقل ما عُبد به الرحمن واكتسب به الجنان)(٢). تتحقق الحرية الباطنية في ظل العقل وكذلك يتحقق الأمن الواقعي وفراغ الخاطر من كل شيء.

يجب أن يعي الإنسان سبب حياته ومماته(٣)، فهو بحاجة إلى ممارسة الامور العقلية والتدرب عليها. ومن الأمور الأساسية في التربية هي حرية الطفل في إجراء أوامر والديه ومربيه العقلية والتي غالباً ما تكون تحت اشرافهم المباشر أو غير المباشر ويمكنه إعلان مخالفته في الوقت اللازم، قطعاً إن الملاك في ذلك هو منطقية الأوامر والنواهي الصادرة والتي يجب أن تصب في مصلحة الطفل والمجتمع.

---

(١) نهج البلاغة ٣١.

(٢) اصول الكافي: ج ٢ كتاب العقل والجهل، الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام.

(٣) الأنفال ٤٢.

الحاجة إلى التفكر وحرية الفكر

الإنسان بحاجة إلى التفكر خصوصاً في الموراد التي تتعلق بحياته ومصيره. والسؤال الذي يطرح نفسه هو: ما هو التفكر ؟

والجواب هو عبارة عن اتصال فقرات العلم المستقرة في المخ لإيجاد حل لمسألة مطروحة.

والتوضيح هو أن الإنسان يولد جاهل عن كل ما يحيطه[١] ومعه أجهزة المعرفة[٢] ليتعرف بواسطتها على جميع الظواهر المحيطة به تدريجياً. وعلى جميع الأشياء، وعمل كل منها. مثلا يعلم بعد حين أن هذا ماء، وتلك نار، وهذا غاز، وذلك كرسي، وتلك ساعة ويتعلم أن الماء يطفيء النار، وغاز الكربون يطفئها أيضاً، هنالك العديد جداً من تلك الفقرات العلمية في المخ تتجسد في الذهن أثناء التفكر وتتصل مع بعضها لإيجاد الحل المناسب.

أما فكر الإنسان يجب أن يكون حراً لكي يكون صحيحاً في عمله خصوصاً عند مروره ببعض الأزمات والمشاكل ليساعد على اتخاذ القرار اللازم. والحقيقة أن حرية الفكر هي التي تعطي مبرراً لأن تكون الحرية مقيدة ومشروطة وفي ظلها ينتخب السبيل، ويستقيم الطريق المنحرف وتحل المشاكل ويحدث الانسجام مع الظروف اللازمة والتخطيط السليم للحياة.

نعتقد بأن العبودية والرقّية الحقيقية لا تحصل عن طريق الجسد والبدن وإنما عن طريق الفكر، فإن أردت أسر شعب بكامله فاجعله تابعاً لفكرك[٣]

(١) النحل ٧٨.

(٢) ﴿وجعل لكم السمع والأبصار﴾ السجدة ٩.

(٣) ومثال ذلك هو الاستعمار الفكري.

ويصبح حينئذٍ عاجزاً عن بناء نفسه وهذا ما نراه واضحاً في الكثير من المجتمعات[1].

الحرية في الابتكار والخلاّقية

الطفل بحاجة إلى الحرية لإبراز ابتكاره، وتعلم الأشياء وإظهارها، فما أكثر الأطفال والصبيان المقتدرين الذي يستطيعون أيفاء أدواراً بديعة في المجالات الفكرية ولكن بسبب الفقر أو انعدام الإمكانات اللازمة تراهم يختفون عن مسرح الحياة البارز.

يجب اطلاق حرية الطفل لكي يتمكن من إظهار إبداعاته وابتكاراته وما يدور في خاطره وكذلك اختبار الأشياء واكتشاف ما تسمح له قدرته، ويعينه فكره عليه بالإضافة إلى وضع الحلول لمشاكله وفق رأيه وذوقه وهذا ما يساعده على ازدياد تجاربه.

نحن لا ننكر أصول المنع والتحديد ولكن نقول أن الافراط في ذلك لا ينسجم مع النمو الفكري وإبراز الخلاقيات. تعتبر الحرية الفكرية للطفل من أهم أنواع الحريات لأن ذلك سيعطي فرصة التعبير عن إرادته ويقوي جرأته لتحقيق رغباته والاّ من الواجب هنا على الوالدين والمربين تشجيعه وترغيبه لذلك.

الحرية في الارتباط

الطفل محب للاطلاع وهذا الحب ذاتي، فهو ينظر إلى كل شيء ويمد يده

(١) كما في الدول المتخلفة.

على كل شيء لمعرفة أسرار الأشياء وهذا سيتبدل بالمستقبل إلى السؤال عن العلّة لمعرفة وفهم حقيقة الأشياء. لدينا برنامجين لموضوع حب اطلاع الطفل: نتفق مع أصل أحدهما ونسعى إلى توجيه الآخر لمنع الضرر عنه.

نؤيد حريته في الارتباط والبحث متى ما استطاع تسخيرها إلى طريق الخير الصلاح وهذا يرتبط بحد ذاته بشرط التمييز والتشخيص وان تربية الشعور بالمسؤولية والالتزام في إطار حب الاطلاع يعتبر من الأمور المهمة جداً لمنع الخطأ والفضول من الطغيان على ذلك الحب.

يجب أن يكون الطفل مقيداً بالضوابط الباطنية حسب عمره ونموّه، وأن تكون حرياته الفكرية نابعة من ذلك الباطن، ويتجلى دور الوالدين والمربين هنا في توعيته وتفهيمه وكذلك تهيئة الأرضية المناسبة لتجربته.

الفصل الثالث

الحرية في البيان

المقدّمة

الحرية مع تلك الأهداف والخصائص تبدو بأنها محدودة للغاية، لكن الحقيقة أنها ذات مساحة وسيعة وأبعاد وجوانب متعددة منها: حرية الفكر، والبيان، والعلم، والمسكن، وحفظ وإدامة الحياة الشريفة، وصيانة النفس، وحرية التدخل في الأمور المتعلقة به وبمستقبله وفي الرقابة الاجتماعية وفي الامور المربوطة بخير وشر المجتمع وفي النهاية الحريات السياسية.

يكون الإنسان حراً متى ما كانت جميع قواه وإمكاناته وفكره وبيانه واستعداداته وجوانبه الباطنية متحررة من القيد وقادرة على الظهور ويمكنه الاستفادة منها في حياته اليومية لأجل تطوره ونموّه.

البيان والحرية

من الحريات المطروحة هي حرية البيان التي تعد ضمن الحريات الشخصية مرة، ومرة أخرى تُعد ضمن الحريات الاجتماعية، ما نعنيه منها هو

حرية إظهار الرأي، أي أنه حر في قول ما يريد قوله، وذكر انتقاداته[١].

له الحق أن يُلقي بعقده إلى الخارج ليهدأ روعه، ويحق الحق بذلك، ويعمل ما يميله ذوقه...الخ فيحتاج هذا الأمر إلى تمرين وتدريب لكي يتمكن الطفل من تطبيق ذلك مستقبلاً في المجتمع.

لاشك أن تربية الفكر والعقل تتقدم على حرية البيان لكي يستطيع معرفة الأسلوب المناسب والموقف اللازم للعيش وكذلك تشخيص حدوده في الحياة الفردية والاجتماعية وإطار كل منهما للاستمرار في تكامله ورقيّه.

يجب أن تكون التربية البيتية والمدرسية وكذلك وسائل الارتباط الجمعية والناس بالشكل الذي يساعد الطفل والشاب على إيجاد طَريقهِ تدريجياً والمضيّ به قدماً بصورة مستقلة.

حياة الاباء محدودة كغيرها أي أنها كغيرهما قاصران عن تقديم النصح الدائمي والأخذ بيد الطفل إلى الأبد ولا يمكنهما أن يصاحبانه في جميع الأماكن لأصلاح أخطائه. فهو بحاجة لأن يصير يوماً مثلنا يمتلك الشهامة والجرأة للعيش مع الجمع والدفاع عن حقه وحق المجتمع وإلى تنمية قدرة اتخاذ القرار في ذاته وإثبات صحة أو سقم التيارات الموجودة. وتلك الامور التعليمية والتدريبية ستجعل من حياته نافعة ومستقبلة زاهراً.

جوانب هذه الحرية

من جوانبها عدم إجباره على قول يُلقّنه إياه الآخرين، وعدم إسكات الحق

(١) مع أن ذلك ثقيلٌ بالنسبة لنا.

وحبسه فيه. قد يتعرض بعض أطفالنا أحياناً إلى مورد فاسد بحيث يُتجاوز على حقهم وشرفهم دون أن يملك الشجاعة بصراحة والديه بذلك خوفاً من العقوبة التي يحتملها منهما، والحال أنه يفترض وجود مساحة للتعبير بها عن مطالبه لكي يتمكن الوالدان من اتخاذ اللازم فوراً.

ومن جوانبها أيضاً تبيان الطفل لما يُقلقه ويجعله مضطرباً بدون أي تحفّظ وأن تعرّض لخطر أو بلاء فإنه سُيطلع عائلته أو مربيه بذلك، وأن ارتكب هو خطأ أو اشتباهاً فإنه سيذكره بصراحة لكي يتمكن المعنيون به من نصحه وإرشاده والتخطيط لمنعه عن ذلك. وذلك يستلزم امتلاك الأولياء الطاقة اللازمة لتحمل كلام الطفل وإعطائه الفرصة لأداء مطلبه، ولهذا فوائد عديده منها إظهار الاحترام لأفكاره.

من جوانب الحرية الأخرى حريته في إظهار وضعه المدرسي وبكل صراحة ولا يكون مضطراً لإخفاء درجاته الضعيفة أو استعمال الحيلة والخداع لقلب الحقائق. طبيعي أن الآباء سيقيمون بالتذكير لاحقاً.

فوائد حرية البيان

لها فوائد عديدة منها: إعطاء حق الإنسان في ذلك، لأن ذلك حق طبيعي له حرية البيان هي الفارق بين الإنسان الحر والأسير والمجتمع الحر والمجتمع المختنق.

في ظلها سيحدث التحول والتجديد، وتحيا الحقوق المنسية، وتتفتح سبل الرشد والرقي والتقدم أمام الإنسان، وتُعلن الأسرار المخفية وتعطي حرمة لروح البشر، وتزيل الهم والغم من القلوب، وتقضي على العقد.

حسب رأي علماء النفس يُعتبر أسلوب تحفيز الفرد على التصريح عما في داخله من إحدى طرق حل العقد النفسة، أي أن إعلان سر القلب وطرح الشكوى يساعد على ذلك أيضاً. ومن الأساليب الأخرى الدعاء والذكر التي طالما يوصي بها أولياء الدين[١].

في ظل حرية البيان تنمو القوة الدفاعية عند الطفل وهذا يجعله متمكناً من الدفاع عن نفسه وحياته ويقوي شجاعته وجرأته أيضاً.

وفي ظلها أيضاً يمكنه إحاطة والديه ومربيه بأموره، وبما يؤلمه ويزعجه، واخبارهم عن حقه المغتصب منه وعن الأخطار التي تهدده..!.. وفي هذه الحالة سيتمكن الآباء من وضع الأسلوب اللازم لجميع ذلك.

في الرقابة الاجتماعية

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب اجتماعي في الإسلام وقد أعتبرت الأمة الإسلامية بسبب ذلك افضل الأمم[٢].

ولاية المؤمن على المؤمن أمر قرآني[٣]، ولتحقق ذلك تلزم حرية البيان، وهل يمكن تحقيق الرقابة الاجتماعية بلا حرية النطق والكلام؟

ومن الذنوب في الإسلام السكوت على الظالم كما جاء في حديث النبي ﷺ[٤]، لا بل كلمة الحق أمام سلطان جائر من أعظم الجهاد[٥].

---

(١) يكون سبب للتجرأ وعامل لتفريغ الهموم وحل والعقد.

(٢) آل عمران ١١٠.

(٣) التوبة ٧١.

(٤) نهج الفصاحة حديث ٢١٠٨.

﴿لا يحب الله الجهر بالسوء إلا من ظلم وكان الله سميعاً عليما﴾(٦).

لتصديق المباحث السابقة نطرح السؤال التالي: ما هو سبيل تحقيق تلك الرغبات؟ وهل هناك سبيل آخر لا امتلاك الحد الأدنى من حرية البيان على الأقل؟

وإن تُرك ذلك أو لم يُسمح به سوف يُسلط الأشرار على الأخيار: (فيولى عليكم شراركم). الإمام علي عليه السلام.

يجب تطبيق الرقابة الاجتماعية والتدريب عليها من الصغر وفي محيط البيت والمدرسة وبالمستوى المناسب له حد الإمكان وعلى الآباء والمربين تهيئة الأرضية اللازمة لذلك بالإضافة إلى ذلك يجب توفير موجبات الرشد والنمو العقلي لكي يفهم ويدرك بأن لكل مقام مقال.

المنع

حرية البيان تشتمل على حرية القلم والنطق ولكن هذا لا يعني بأنه مطلقاً بذلك كيف يشاء، وموارد المنع لها وجود هنا أيضاً، كما ذكرنا ذلك سابقاً بأن جميع أمور وموارد الحياة الاجتماعية مشروطة ومقيدة. هناك العديد من موارد المنع يجب ذكرها ويمكن حصر بعضها في الأطر التالية:

عندما تكون هناك ركاكة وضعف في الخطاب، أو يؤدي ذلك إلى إهانة الآخرين مثل السب والمزاح الركيك والمتجاوز لحده والذي يُبتغى منه تضعيف شخصية الآخرين أو الاستهزاء بها.

---

(٥) ابن شعبة الحراني: تحف العقول فصل الإمام الحسين عليه السلام.

(٦) النساء ١٤٨.

وكذلك في مسألة التأليف والكتابة في المواقع التي لا تكون لصالحه ولصالح المحيطين به. يكون الطفل أحياناً مثرثراً وكثير الكلام بحيث يؤثر على عمل ومطالعة الآخرين أو يتطفل بين أحاديث الكبار ويطرح ما هو ليس بشأنه، وهنا يجب على والديه تذكيره بخطأه وتفهيمه بأن للكلام حدود يجب مراعاتها كما يراعيها الآخرون.

الأمور التي يجب اجتنابها

نسعى من خلال المراقبة لإيجاد الحدود في القول والكلام إلى ما يلي:

- نعطي اعتباراً لشخصيته بين الجمع وأحياناً نمنحه ميداناً للتكلم وإثبات الوجود.

- لو اردت منه التكلم وسط الجمع ورفض ذلك عليك تشجيعه على التحدث بأسلوب ملائم ومناسب ويجب ترك الإصرار والسماجة في ذلك الطلب.

- إن انتقدك طفلك على عملك الخاطىء فلا تقابله بالقسوة أو القوة لتحطيم رأيه وإنما يجب التشكر منه والاعتذار بصدق.

- لا تحاول مطلقاً أن تجعله موضع الخجل والاستهزاء عندما يخطأ بحديث أمام الجمع.

- لا تظهر عدم اهتمامك بآرائه بل العكس من ذلك أظهر له احترامك لكلامه عن طريق الإصغاء الكامل له.

- لا تسمح له مطلقاً المزاح مع من هو أكبر منه أو الاستهزاء بكلامه.

- عندما يطرح الطفل آلامه وعقده أو يبين لك مظلوميته أو شكواه من تجاوز عليه أو انحراف يجب عليك أن تكون مستمع جيد له لكي تتمكن من إيجاد الحل اللازم.

الفصل الرابع

الحرية في السلوك

المقدّمة

لقد عرّفنا الحرية بأنها هبة من الخالق، لها وجود في ذات وروح الإنسان، فكيف إذن يمكن سلب شيءٍ أُعطي من الخالق. هذا غير ممكن بتاتاً إلا في مواقع السيطرة القانونية التي تستلزم تحديدها وهو ما يصُب في خيره ومصلحته.

في المجتمع الإنساني وجود الضابطة أمر ضروري، ومن الأمور التي يجب أن تؤخذ بنظر الاعتبار رأي المجتمع في الحالات والحركات واتخاذ المواقف.

يجب السعي وبشهامة عالية وصراحة واضحة في إحلال الانسجام الفكري الذي تنتج عنه حياة سليمة.

لقد ذكرنا بأن مساحة الحرية واسعة وتتصل بها جميع الحالات والحركات قبل ظهورها. وقلنا بأن أساسها موجود في ميدان الفكر التفكر.

وبالنظر لكون الرجولة ومحاربة هوى النفس والحرب والصلح تبدأ بشكل أطروحات في الفكر ومن ثم تصل إلى مرحلة الظهور لهذا فإن بروز أخلاق وإنسانية الإنسان مرهون بالفكر والتفكر وهذا يستوجب أن يكون حراً.

حرية الإرادة

حرية الفكر احد أبعاد الموضوع وأما حرية الإرادة تُعتبر الركن الآخر له وبدونها لا يمكن تحقيق الأفكار. الفكر والإرادة جناحان للطيران، أحدهما لتشخيص السبيل السواء عن البئر العميق والآخر يوفر الأرضية اللازمة للحركة، والاثنان يجب أن يكونا بصحبة الضوابط والقواعد الشرعية دائماً، وعلى هذا الأساس فإن التدرّب والتمرّن على حرية الإرادة في محيط المدرسة والبيت يُعتبر من الأوامر الضرورية والأساسية التي يُبنى الإنسان لأجلها.

عادة الإنسان على شيء تنتج من التحقق الفكري أولاً ثم الإقدام والسير باتجاهه بعد إعداد اللازم لتحركه باتجاه الهدف.

ليعلم الآباء أن الطاعة الناشئة من التفكر الحر والإرادة الحرة ذات قيمة عالية، وأن تسيير إرادة الآخرين وجعلها قيد إشارتهم ليست بالامتياز، وإنما قدرة الطفل على الاختيار والانتخاب يجب أن توسّع في وجوده لكي يستطيع السيطرة على رغباته في المواقع الضرورية وأن يتحكم بها وفق مقياس الحسن والقبح.

الاستقلال في السلوك

لو علمنا بأن السلوك عبارة عن مجموعة الحالات والحركات والمواقف لابد لنا من قبول أهمية استقلاله وأن الإنسان سيهتم يوماً ما به ويشعر بوجوبه.

من الفوارق الموجودة بين الإنسان والحيوان والحر والعبد مسألة استقلالية الحياة بالنسبة للأول وعدمها للثاني بحيث يصبح تابعاً لصاحبه ومولاه.

يجب تربية الطفل بصورة يشعر معها بالتكليف والمسؤولية المستقلة في المستقبل ويخرج من حالة الارتباط والتبعية ويقدر على التصميم واتخاذ القرار لسعادته وخيره، ويخطط لنفسه ويدافع عن حقه، ويؤمن بالانضباط، ويعطي رأيه ويُظهر فكره، وأما أعمال القضاء والرقابة الاجتماعية فهي من الأمور التي يجب تدريب طفل اليوم عليها ليصبح بها فرداً مستقلاً في المستقبل.

احترام الطفل في أعماله وسلوكه وخصوصاً عندما تكون موافقة للموازين سيكون عاملاً في تربيته على الاستقلال، واستحسان أعماله سيبعث فيه القدرة والثقة بالنفس على إظهار ليقاته وقيمته وسيعمل الأفضل لاحقاً والأكثر تطوراً.

يجب احترام إرادة الطفل وإظهار الاعتزاز بأعماله فهو يرغب أن يأكل بنفسه، ويلبس، ويلعب وهذه الأمور لا تخالف الموازين ولا يمكن التدخل بها ولا يفوتنا أن التسلط والاستبداد لا يمكنهما حفظ المجتمع البشري، وإنما رعاية الضوابط الأخلاقية والملاكات الإنسانية هي التي تتحكم بذلك، ويجب ملاحظة هذا الأمر بالنسبة للطفل.

الاستقلال في اللعب

اللعب الجزئي لا يمكن انفكاكه عن حياة الطفل، وهو عامل لظهور نوع الفكر والسلوك، وسبب لإلقاء ما يضمره إلى الخارج وإن أردنا تربيته على الاستقلالية يجب علينا استغلال وقت لعبه. هناك الكثير من الرغبات التي تتعايش مع الكثير من الأطفال منها تربية الحيوانات في البيت، وتربية الطيور في مكان ما ويطعمها الحب ويسقيها الماء، ويرغب في تقليد هذا العامل أو ذاك كالطبيب أو

الإداري، ويضع المتكئات إلى جانب بعضها ويصنع منها بيتاً...الخ ويفترض احترام جميع ذلك مع أخذ بنظر الاعتبار موازين الحرية والاستقلال.

يجب الاهتمام باللعب وفي جميع الأعمال وحتى في سنين البلوغ والشباب، والأمر الضروري هنا هو مراعاة الموازين وليس الحيلولة دون اللعب. يمكن ترتيب حياة مستقلة للطفل عن طريق إطلاق حريته في الموارد التي لا يُحتمل فيها الضرر، واحترام رغباته غير المضرّة وعدم إجباره على لعبة معينة أو رسم شيء مخصوص... ويا حبذا ان نخصص له مكان معين ليستقل فيه باللعب وتنظيم وترتيب ألعابه وأدواته ووسائله. تجعل هذه الأساليب من الطفل فرداً مستقلاً وتحول دون إصراره ولجاجته وشروره.

طلب الحرية

وإن اعتاد الطفل على قيام الآخرين بأعماله فإنه سيلاحظ من خلال ذلك سلوك وحالات الآخرين في طلبهم للحرية والاستقلال وهذا ما سيجعله في المستقبل طالباً للاستقلال وسيظهر ذلك جلياً للعيان في حياته.

عندما تريد إلباسه ثوباً ينزعج ويغضب ويصرخ بقوله: أنا ألبس، أو في حالة إطعامه يقل أنا آكل، أو أنا البس الحذاء، أنا أفتح الباب، أنا أنا..... وجميع ذلك يشير إلى طلبه للحرية والاستقلال.

موقفنا هنا يجب أن يكون موقف القبول والتسليم وليس موقف المقاومة والقوة؛ لأن له الحق أن يكون حراً ومستقلاً، له الحق أن يُحقق رغباته وأن يُجرّب قدرته ولياقته وأن يتقدم بالسبل التي يشعر بأنها مطلوبة لذلك.

وظيفتنا هنا تقتصر على إبعاده عن المخاطر فقط أو نسعى لإعطاء محاولاته صبغة أخلاقية وأن استدعى الأمر نوضح له أن هذا السبيل يؤدي به إلى الضرر بأسلوب يتناسب مع طفولته وفهمه، من الطبيعي أن ذلك يستلزم الصبر وطول البال والوقت.

وحينها سنكون قد هديناهم إلى الرشد والكمال واقمنا رابطة منطقية معهم مبنية على التذكير والنصيحة وتفهيم النكات التالية المشار اليها في هذا الحديث.

«قصّر نفسك عما تضر .... فإن نفسك عين بعملك»[١].

موارد المنع

اتضحت لنا موارد المنع في سلوك الطفل من خلال عرضنا لموضوع الضوابط ولكن هناك نكته يجب أن نقف عندها هي: أساس حياة الطفل قائم على جلب اللذة ودفع الألم، فهو يحذو حذو الأشياء التي فينظره جميلة ولذيذة وتبعث على السرور، سواء كانت تلك الأشياء مع مصلحته أم ضدها. ومن الضروري أن يهتم القائمين عليه بمصلحته وأداء وظائفهم في حفظ سلامة وعزة وكرامة الطفل ومن خلال ذلك ستبرز موارد منع في سلوك الطفل يجب الانتباه إليها مثل:

ـ منع حالات الحزن والغم والسرور المفرط والإصرار على اللذة والسعي إلى الطيش واللهو والتجوال الفارغ وحالات اللاأبالية مقابل الأحداث والتيارات.

ـ منع المحاولات والحركات الضارة له وللآخرين، ومنع الأعمال الفارغة

---

(١) مستدرك الوسائل ج ٢ للنورى، حديث عن الإمام الصادق عليه السلام.

والخالية من الفائدة أو التي تسبب نقصاً في أعضائه أو كسراً فيها.

ـ منع المواقف المعادية والخيانية والحاقدة والحاسدة والأعمال البذيئة والسلوك السيء والسخط اللامبرر له والتحقير والاستهزاء والحركات المتسهجنة ونسيان الأصالة وا...

نكات حول أرضية السلوك

لا نقاش في وجوب مراقبة الآباء لحالات وحركات الطفل ومواقفه ولكن البحث في أسلوب ذلك الواجب والذي يستلزم مراعاة بعض الموارد منها:

ـ من الضروري أن يكون سلوكنا باعثاً لاطمئنان وتفاؤل الطفل واعتقاده بأننا نريد له الخير.

ـ يلزم فيه الثبات العاطفي والاستقامة في السلوك ليعلم الطفل ويشخص الأعمال التي تستحق الاستحسان أو الأعمال التي تواجه بالتوبيخ.

ـ يجب أن تكون التحذيرات اشد من الأخطار والتنبيه والتوبيخ وأن يكون السلم والمسالمة في التحذير أكثر من اللوم.

ـ عندما نريد حذف سلوك معين يجب وضع البديل عنه وأن المنع بدون بديل يسبب له العودة والرجوع إلى المبدأ وهذا تخلف تربوي.

الفصل الخامس

الحرية والانتخاب

المقدّمة

عالم اليوم والمستقبل هو عالم الانتخاب أو عالم انتخاب الأحسن. يمتلك الإنسان وحسب الرؤية القرآنية قوة للانتخاب[1]، يمكنه اختيار أمرا ما بين عدة أمور أو يرفض ذلك الأمر. مساحة ذلك واسعة وتشمل جميع الأمور المتعلقة بالحياة.

يستطيع اختيار أحد السبيلين الشر أو الخير ﴿**هديناه النجدين**﴾[2] ويمكنه من خلال ذلك الاختيار الاتجاه نحو التملك والإقامة والعمل والحرب والصلح والبناء أو التخريب والحرية والعبودية والحركة والتعليم، واختيار عقيدة بين عشرات العقائد، والإسراف أو عدمه والصداقة والمعاشرة واختيار نوع التغذية والطعام...الخ.

من شروط الحرية، القدرة على الانتخاب للوصول الى هذا الهدف يجب

---

(١) الإنسان ٣.

(٢) البلد ١٠.

أخذ الطفل بنظر الاعتبار والحساب له من الآن وتدريبه على الاختيار وتنمية مهارته وقواه الفكرية لانتخاب الأحسن.

تمرين الانتخاب

يبدأ تمرين الانتخاب من فترة الطفولة وحينما يبدأ بتشخيص الأكبر والأصغر ويسعى لاختيار الأكبر أو عندما يميز طعم الأغذية ويختار لنفسه الأطعم والأطيب لذوقه.

يستوجب على الأبوين هنا مساعدته في ذلك ويسألون منه عن أي الطعامين تفضل أو أيهما تختار؟ وهكذا يتطور الأمر إلى الأشياء الأخرى كلما تقدم عمره، مثلاً يُطلب منه اختيار أحد هذين الحذائين أو القميصين وهكذا يزداد عدد الاختيارات بازدياد السنين دون أن نفقد السيطرة عليه.

تمرين الحرية في الانتخاب الحالي سيكون أرضية صلبة لاختيار هدفه وتعيين سبيله في المستقبل والاستفادة من قدراته وإمكاناته ويمكنه التصميم بفكره والتعبير بلسانه والعمل بإرادته وكل ذلك ضروري جداً لحياة حرة.

مساحة التمرين

تمرين حق الانتخاب في الواقع هو تمرين الحرية وهنا نسأل ما هي المجالات التي يدخل فيها الجواب كما يلي:

١ ـ **في انتخاب اللوازم الشخصية:** الطفل حر في اختيار ولوازمه

الشخصية، وذكرنا أن ذلك ممكنا متى ما بلغت إرادته ونمى عقله وأصبح مستعداً لممارسة حق الانتخاب. لا يمكن أن نمنح هذا الحق للطفل في جميع سنينه وعمره وخصوصا هناك الكثير من الموارد التي لا يشخّص فيها خيره وصلاحه مثلاً: مخالفته لإبرة الطبيب لأنها تؤلمه. يمكن السماح له بانتخاب وسائله تدريجياً بصورة تتناسب مع نضوجه ونموّه مثلاً: الطفل ذي العشر سنين يمكنه الاختيار بنسبة معينة، كالحذاء والألعاب، وبعد ذلك يمكنه حتى الاشتراك في الأمور العائلية وإبداء رأيه.

٢ ـ في المصروفات : يمكنهم أن يكونوا أحراراً في هذا المجال وخصوصاً في الطعام واللوازم والأدوات الحياتية والألعاب وبالتالي المصروفات الشخصية له لأجل شراء شيء له كالقلم والدفتر والإناء والقدح والملعقة ونوع من الأطعمة التي يضعها الآباء في اختياره و.... فيمكنه التخطيط لذلك والصرف له. من الضروري أن يمنح الإذن في هذه الموارد ويصمم لنفسه بشرط عدم وقوع ذلك بالخلاف الشرعي أو إضرار الآخرين، لأن إعطاء هذا الحق يعطي صبغة لشخصيته وقيمة لعمله.

٣ ـ في التحكيم : يحتاج الطفل إلى الحرية لأجل تنظيم الفكر والتحكيم العاقل وتقييم الرغبات والقدرة على اختيار السبيل، يحصل هذا التحكيم من قبل الطفل سواء اراد ذلك أم لم يرد، فهو حكم جيد لسلوك وأفعال الوالدين والمعلمين وحتى الناس المحيطين به، ويصدر منه نتيجة ذلك الحكم أفعال وحركات خاصة، وأن مواقفه وحتى جزء من شيطنته باتجاههم ناشئة من حكمه عليهم بهذا المستوى واعتبرهم ظلمة في بعض الحالات. إن الأعمال الصادرة من الوالدين والتي تؤدي إلى هذا الحكم الأعمى وغير العقلي يجب اخفاؤها عن الطفل كالنزاع

والجدال والعصبية.

من الممكن أحياناً أن يكون تعامل فرد ما محكوم بالمظلومية من قبل الطفل دون أن يكون ذلك الفرد مظلوم، والسبب هو تظلم ذلك الفرد وتظاهره بذلك أمام الطفل وهذا ما لا يكن تشخيصه من قبل الطفل.

٤ ـ في انتخاب الصديق : لا مفر للإنسان من الحياة الاجتماعية والعيش والاختلاط مع الناس، وتعتبر المعاشرة من أركان الحياة الاجتماعية ولهذا فإن انتخاب الصديق والرفيق والحميم ضروري للفرد. لهذا فإن للطفل حق في امتلاك صديق ومعاشر يُمضي إلى جانبه أيامه.

من الطبيعي انه لو كان الأبوان عاقلين ويفكران بعيداً فإنهم سيجعلون في طريق الطفل أصدقاء طبيعيين جيدين ويرغّبون الطفل بصداقتهم لأن رفعة وجودة الأصدقاء لها تأثير كبير على الطفل وكذلك الدناءة والرذالة.

يجب أن يتصف هذا الانتخاب بالدقة ويتم بصورة غير مباشرة لكي لا يتحسس الأطفال من ذلك وتعتبر علاقات الآباء والأمهات وارتباطاتهم وزياراتهم ذي تأثير كبير على إقامة العلاقة وعلى هذا الأمر.

٥ ـ في الانتقادات :

إن قصدنا المعنى الحقيقي لذلك فإن ذلك حق للجميع ومن ضمنهم الأطفال، من الخطأ أن يغضب الوالد والأم من انتقاد الأبن لهم ولعل الخطا يصبح أكبر لو حاولا اتخاذ موقف بحقه كالعقوبة. إن هذا صعب تحمله ولكنه لازم جداً استيعابه والصبر عليه وتفهيمه إن كان خاطئاً بحقهما بصورة هادئة أو الاعتراف بالخطأ إن كان صائباً لأن هذا في الحقيقة هو درس يُعلّمون به الطفل حرية الفكر والاعتراف بالحقيقة. وكذلك يُوضّحون إمكانية الاشتباه لأنهم غير معصومين وقد تبدو منهم

بعض الأخطاء وسيبذلون الجهد لرفع وتصحيح هذا الخطأ.

وهذا الأمر خلاف ما يَتصور بعض الأولياء إن الاعتراف بالخطأ يسبب تضعيفاً لشخصيتهم.

موارد منع الانتخاب

لا يحق للطفل الانتخاب في كثير من الموارد ويجب على الأولياء توضيح ذلك لهم من جملتها:

ـ عندما يكون العمل غير متعلق بهم مثل التدخل بالأمور الشخصية للأبوين أو الآخرين ومحاولة اختيار أمر ما لهما.

ـ لا يحق له الاختيار أمام ما شرّع به الشرع والقانون وعيّن التكليف.

ـ لا يحق له الاعتراض على أمر يؤيده جميع أفراد العائلة وهو يتعلق بهم.

ـ فيما يرى الأولياء ضرورته له ولمصلحته كالمسائل الطبيّة والصحية وتناول الدواء.

ـ في الأمور التي لا يكفي فهمه ودركه في تشخيص الصواب عن الخطأ مثل المسائل القضائية والسياسية ومسائل من هذا القبيل.

بعض النكات في موضوع الانتخاب

تنمو قدرة انتخاب الطفل بصورة تدريجية ويجب أخذ سنه وعمره بنظر الاعتبار في هذا الأمر.

- زيادة مساحة الانتخاب وتنوعه بصورة تتناسب مع درك ونمو الطفل وكذلك مساحة الحرية.

- يجب المساواة في إعطاء الحرية بين الولد والبنت في الأمور الشخصية مع رعاية الضوابط اللازمة لأن كليهما يحتاج إلى التعليم والاعتماد على النفس وموجبات السعادة.

- يجب تحديد حدود الانتخاب في الأمور الحياتية كالغذاء مثلاً؛ وعليه تناول أطعمة البيت وكحد أعلى عليه اختيار أحد الطعامين.

- حاول أن ترافق اختياره بالدليل والمنطق بما يتلائم مع فهمه وإدراكه لكي يعلم ما يفعله ولماذا.

- حاول إشراك رأي الطفل في الأمور العامة للعائلة وطالبه أحياناً برأيه بصورة غير مباشرة أو تلقينية.

- لا ننسى أن استعمال الحرية والانتخاب في المحيط الآمن ميسّرة ولا يفوتنا أن لا نؤثّر على وضعه الأمني.

الباب السابع

تعليم الحرية والتدريب عليها

تم تقسيم مباحث هذا الباب في فصول خمسة هي:

ـ الفصل الأول: تعليم الحرية والتدريب عليها في إطار القدوة. وبعد أن نوضح حالة التقليد الموجودة لدى الطفل نشير إلى نموذج الآباء كقدوات وتأثيره في تمرين الحرية واعتدال السلوك .

ـ الفصل الثاني: التعليم والتدريب في إطار اللعب والمعاشرة، وبُحثت فيه مسؤولية الأولياء في اللعب والمعاشرة وأساليب السيطرة على الحرية عن طريق اللعب.

ـ الفصل الثالث: عن طريق القصص مع ذكر فوائد ذلك وأساليب استعمالها لفرض تحقق الهدف المذكور.

ـ الفصل الرابع: في مورد الإلقاء والتلقين ذكرنا نكتة مهمة وهي أن الأولياء بإلقائهم بذرة فكرة السيطرة في ذهن الطفل يمكنهم أن يُحفزوه على الحرية المشروطة.

ـ الفصل الخامس: ويتناول أسلوب التفهيم والإرشاد لتعليم حدود الحرية والتربية العقلية للطفل لأجل تحقق هذا الهدف المهم، وشرح العلل وأحياناً العواقب وسبل السيطرة على الطفل في موضوع الحرية مع ذكر نكات في توضيح هذا الباب .

الفصل الأوّل

بُعد القدوة في تعليم الحرية والتدريب عليها

المقدّمة

يولد الطفل ومعه أسس فطرية وغريزية وله وعي بهما، فهو صادق أمين محب للعدل وللحق، لفطرته صبغة إلهية[1] وعارف بالله بغير لغتنا.

أما بعده الغريزي ففيه علم ذاتي لا يحتاج إلى تعليم كطلب الغذاء والماء والرغبات الغريزية الأخرى. وأما ما ينقصه فهو الوعي والاطلاع حول مسائل الحياة ولهذا؛ لا مفر من طلبه للتعلم، العين والأذن وباقي الحواس تمثل بوابة العالم الخارجي، تجذب العلوم من الخارج إلى الداخل ولهذا فإن كل ما يراه أو يسمعه أو يلمسه صحيح بالنسبة إليه.

هو حر في باطنه ولكنه يطلب مصداقا ونموذجا لاستعمال الحرية. الأب والأم اول نموذج وقدوة له في ذلك وفي جميع المسائل المتعلقة بهما. يجب عليهما بحث عوامل تعلمه وإدراكه في هذا المجال وتوجيهه إليها مع تقديم العلم اللازم في هذا الخصوص.

---

(١) ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾، الروم: ٣٠.

التقليد والاقتداء

الطفل مقلد بذاته وفطرته، وإن شاهد سلوكاً معيناً من القدوة سرعان ما يحاول تقليده وتعتبر هذه الحالة مهمة بالنسبة للطفل لإظهار تلك السلوكيات ويعدّها من البطولات والأشياء التي لها بعد إعجابي.

يتميز الطفل بالتقليد وإن صادف قدوة ما وانجذب إليها سيحاول تقليدها في سبيلها سواء كانت خير أم شر.

حسب الأساس السابق يمكننا أن نقول أن كل ما لدى الطفل من سلوك وفعل في الحياة ما هو إلا خليط لسلوك وافعال القدوات الذين صادفهم في طريقه.

وأن الجزء الأعظم لحركاته ومواقفه وسلوكه وأقواله ما هي إلا انعكاس لمن يحيطون به ويعطوه دروساً من خلال أفعالهم.

إن كان هدف المربين إيجاد حركة خاصة أو فعل معين عند الطفل عليهم وضع القدوة الحاملة لتلك الخصال في طريقه،

وكلما كان هذا العمل اقرب إلى الطفولة كلما كان تأثيره أقوى لأن الطفل عندما يصل إلى مرحلة التمييز سيكون صاحب خط وسبيل وأداب جديدة ويضع إرادته محل إرادات الآخرين في نفسه[1].

بعد الوالدين كقدوات

الأب والأم أوّل موجودين ينظر الطفل إليهما وأغلب حالاته وحركاته

(١) ستر: علم نفس الطفل: من ص ٢٧٠.

ومواقفه منهما، يرى منذ البدء حريتهم في الذهاب والإياب وارتباطهم بالظواهر الأخرى وكيفية إظهار سلوكية خاصة من قبلهم.

وبالنظر لإحساسه بالارتباط بهما ومشاهدته لقدراتهم العالية وبطولاتهم سينغلق بلاشك بالسبيل الذي يسلكونه والأعمال التي يقومون بها[1].

الأولياء يسوقون الطفل إلى الجهة المعينة من خلال افعالهم وسلوكهم فإن أرادوا تربيته على الأساليب المشروطة والمقيدة عليهم وضع قدوة تحمل هذه الصفات في طريقه وأمام بصره ويظهرون إلى الطفل ما يريدون تثبيته في نفسه.

وجود الطريق الثابت الناشيء من الفكر والهدف يمكنه أن يعين الطفل على هذا الأمر. ويمكنهم أن يصنعوا منه ذلك الإنسان الذي يطمحون اليه لأن بعض أصحاب الرأي من علماء السلوك يقولون: أظهر لي ابنك لأقول لك من أنت، بعبارة أخرى إن الطفل مرآة عاكسة لجميع وجود الآباء والأمهات.

القوة الجاذبة للوالدين

يُعد الآباء والأمهات القوة الجاذبة لأبنائهم، وأن أقبح الآباء والأمهات يُعدّون بالنسبة لأبنائهم أجمل وأفضل الموجودات، حتى وإن كان في خدمته ملك سماوي فهو مع هذا يطلب أمه وأنه يزهد بجميع أبطال العالم مقابل والده. للوالدين جاذبية خاصة لدى الأطفال وتزداد هذه الجاذبية مع الأسلوب المأنوس والمحبة التي ترافقهما، ومع الالتزام بالضوابط والمقررات فإنهم سيقتربون من الطفل أكثر فأكثر.

---

(١) رغبته بالتقليد.

التقليد والاقتداء

الطفل مقلد بذاته وفطرته، وإن شاهد سلوكاً معيناً من القدوة سرعان ما يحاول تقليده وتعتبر هذه الحالة مهمة بالنسبة للطفل لإظهار تلك السلوكيات ويعدّها من البطولات والأشياء التي لها بعد إعجابي.

يتميز الطفل بالتقليد وإن صادف قدوة ما وانجذب إليها سيحاول تقليدها في سبيلها سواء كانت خير أم شر.

حسب الأساس السابق يمكننا أن نقول أن كل ما لدى الطفل من سلوك وفعل في الحياة ما هو إلا خليط لسلوك وافعال القدوات الذين صادفهم في طريقه.

وأن الجزء الأعظم لحركاته ومواقفه وسلوكه وأقواله ما هي إلا انعكاس لمن يحيطون به ويعطوه دروساً من خلال أفعالهم.

إن كان هدف المربين إيجاد حركة خاصة أو فعل معين عند الطفل عليهم وضع القدوة الحاملة لتلك الخصال في طريقه،

وكلما كان هذا العمل اقرب إلى الطفولة كلما كان تأثيره أقوى لأن الطفل عندما يصل إلى مرحلة التمييز سيكون صاحب خط وسبيل وأداب جديدة ويضع إرادته محل إرادات الآخرين في نفسه(١).

بعد الوالدين كقدوات

الأب والأُم أوّل موجودين ينظر الطفل إليهما وأغلب حالاته وحركاته

---

(١) آلسترو: علم نفس الطفل: من ص ٢٧٠.

ومواقفه منهما، يرى منذ البدء حريتهم في الذهاب والإياب وارتباطهم بالظواهر الأخرى وكيفية إظهار سلوكية خاصة من قبلهم.

وبالنظر لإحساسه بالارتباط بهما ومشاهدته لقدراتهم العالية وبطولاتهم سينغلق بلاشك بالسبيل الذي يسلكونه والأعمال التي يقومون بها[1].

الأولياء يسوقونْ الطفل إلى الجهة المعينة من خلال افعالهم وسلوكهم فإن أرادوا تربيته على الأساليب المشروطة والمقيدة عليهم وضع قدوة تحمل هذه الصفات في طريقه وأمام بصره ويظهرون إلى الطفل ما يريدون تثبيته في نفسه.

وجود الطريق الثابت الناشيء من الفكر والهدف يمكنه أن يعين الطفل على هذا الأمر. ويمكنهم أن يصنعوا منه ذلك الإنسان الذي يطمحون اليه لأن بعض أصحاب الرأي من علماء السلوك يقولون: أظهر لي ابنك لأقول لك من أنت، بعبارة أخرى إن الطفل مرآة عاكسة لجميع وجود الآباء والأمهات.

القوة الجاذبة للوالدين

يُعد الآباء والأمهات القوة الجاذبة لأبنائهم، وأن أقبح الآباء والأمهات يُعدّون بالنسبة لأبنائهم أجمل وأفضل الموجودات، حتى وإن كان في خدمته ملك سماوي فهو مع هذا يطلب أمه وأنه يزهد بجميع أبطال العالم مقابل والده. للوالدين جاذبية خاصة لدى الأطفال وتزداد هذه الجاذبية مع الأسلوب المأنوس والمحبة التي ترافقهما، ومع الالتزام بالضوابط والمقررات فإنهم سيقتربون من الطفل أكثر فأكثر.

---

(١) رغبته بالتقليد.

يعطي الوالدان الغذاء المادي والمعنوي للطفل، يجلبون أسباب اللذة له وهذا عامل لزيادة محبته وتعلقه بهما ويساعد على اتباع خطهم وتقليد عملهم.

ومن الأسباب الأخرى التي تجعلهم يقتدون بآبائهم هي سهولة اختراق ونفوذ الأعمال إلى داخل الطفل وخصوصاً أن كان لتلك الأعمال جذوراً في أنفسهم وذواتهم.

يرى الأطفال في حياتهم اليومية فرداً فوق رؤوسهم يرفق محبته بالتحذير ويعلمهم طريق الحياة ويقضى على السلوك المنحرف والخشن فيهم، مع كل تلك الأوامر والنواهي فإنه يبقى محباً لوالديه ويقبل بهما.

التمرين وتهيئة الأرضية المناسبة

كما أشرنا سابقاً إلى ضرورة تمرين الحرية بالنسبة للطفل، ولكن السؤال هنا هو أين محل هذا التمرين الجواب: في كل مكان يعيش به الطفل، لاشك أن أفضل الأماكن هو البيت، فهو ينمو ويتربى فيه وينشأ وتقوم، وينطق بما يريد قوله، ويقرأ الشعر ويلعب فيه. ويعبث بالأشياء و...الخ.

يجب أن تكون هذه الأعمال والتمارين مؤطرة بحد يجعل منه فرداً حراً وقادراً على الجهاد والمواجهة مع المصاعب. يبدأ تمرين الحرية من اللحظات الأولى لحياة الطفل ومن أول حركة ليده ورجله وعندما يحلّ قماطه ويشعر بالحياة ويذوق طعم الحرية.

وفي السنوات الثانية والثالثة يُعطى له حق الانتخاب بالتدريج لكي يختار الأصلح حسب إدراكه وفهمه. ولكن لا ننسى قول (الكسيس كارل): إن الحرية

كالديناميت خطرة ومؤثرة في نفس الوقت، يجب تعلم طريقة استعمالها، وأن يكون مستعملها عاقلاً وذا إرادة[1].

نعم يجب تدريب الطفل على الحرية، في البيت، كما يُمرّن على السباحة والسياقة. من الضروري جداً تشخيص أخطائه له لكي يوفق في استعمال الصحيح، يجب أن يكون مستوى التمارين وتنوعها بالشكل الذي يصيّره فرداً طبيعياً في المستقبل، وكذلك قادراً على التصميم والتنفيذ المعقول والعمل به واستثمار فوائده.

تطبيع السلوك

يكون السلوك سيء أو حسن عندما يكون له أثر سلبي أو أيجابي وتحصل العادة عليه ويكون فعل الطفل ثابتاً وقائماً على ذلك السلوك فيُطلق حينئذ عليه في علم الأخلاق بالملكة أو الرذيلة[2].

لا يترتب العقاب والثواب على الأفعال المصطنعة وإنما على الفعل الذي يقوم به الفرد وهو بوعي كامل وبصورة مستمرة بحيث يصبح جزء من صفاته.

الأولياء الواعون والأذكياء يتدرجون في تطبيع فعل الطفل وبصورة ذكية وواعية ولا يشعر الطفل معها بالتثاقل من ذلك، والتوفيق في هذا الأمر يستلزم وحدة الأسلوب بين الزوج والزوجة، والتربية العلمية والتلقين الحسن والمؤثر ويضاف إليه شرط دعم الأبوين لبعضهما ووحدة العمل والسلوك. وليس من

---

(١) طريق الحياة گل زادة غفوري ص ٣٨.

(٢) علم الأخلاق الإسلامية للنراقي ج ١ بحث الملكة.

الصحيح أن يشاهد الطفل فعلين متناقضين من الوالدين. عندما يكون الأمر كذلك سيكون العمل والسلوك خال من الالم والصدمة وبدون أي إحساس بثقل ذلك. تطبيع سلوك الطفل يحتاج إلى قدوة جذابة وقاطعة. لأن الترديد والوسوسة والشك توقع الطفل في مخمصة عظيمة وغالباً ما يكون أساس ذلك الترديد هو ثنائية سلوك الأبوين والمربين.

المراقبة والتحذير

هناك أمر مهم في تدريب الطفل على الحرية وتطبيعه على سلوك جيد وهو انتباه الطفل إلى الخط الفكري الثابت للأبوين والعلم بوضعهم وأسلوبهم لكي يستطيع المقارنة بين سلوكه وسلوكهم ومن خلال ذلك يتمكن من تشخيص وضعه ومكانته.

يجب أن تكون الصورة الانضباطية للعائلة واضحة وقابلة للفهم لكي يتمكن الطفل من إدراك مواقف الأب بعنوانه القدوة لذلك الانضباط، متى يعاقب ومتى يثني ويعطي الجائزة؛ من الضروري جداً أن يعتقد بأنهما جدّيين وقاطعين ولديهم برنامجاً في حياتهم لكي يتمكن من تطبيق حالاته وحركاته ومواقفه على تلك الضابطة الموجودة.

الوضع النفسي للطفل قلق وأغلب تصميماته سطحية وإرادته عديمة الجذور، ينطلق بمسيره بمجرد الكلام معه ويتوقف عنه بكلام آخر، التغيير السريع للسلوك والتحول الفوري للحالات والقرارات يسبب أحياناً الانحراف عن سبيل الأولياء والعدول عن خطهم في حين أن الثبات على الخط ينتج من الثبات في العمل والسلوك .

الفصل الثاني

في إطار اللعب والمعاشرة

المقدّمة

تعليم الحرية والتدريب عليها ممكنة وقابلة للإجراء من قبل الأبوين والمربين وبصورة مختلفة، من جملتها استعمال أسلوب القدوة كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، بالإضافة إلى ذلك استعمال أسلوب التوعية واللعب مع الطفل وذكر القصص له وعن طريق المعاشرة والمجالسة.

أما تطبيق الأساليب المحدّدة فتكون أحياناً بصورة مباشرة وأحياناً أخرى بصورة غير مباشرة. مرة عن طريق الأبوين ومرة أخرى بواسطة المعلم والمربي، وقد تشترك في ذلك بعض الوسائل الأخرى كالإذاعة والتلفزيون والجرائد والمجلات والخطباء.

نحاول هنا بحث طرق هذه الأساليب وكيفيتها في إطار اللعب والمعاشرة والذي يمكن تطبيقه في جميع العوائل ومن قبل جميع الآباء والأمهات.

مسؤولية الوالدين

الزواج والانجاب مسؤولية كبيرة يُسأل صاحبها عنها[1]، نفس موضوع

---

(١) فإنك مسؤول عما ولّيته.

الانجاب لا يعني شيئاً أو يعني القليل إلا أن المسؤولية التي يتحملها الأبوان مقابل الأطفال والناس، وبالتالي أمام الله عز وجل باعتباره الصاحب الأصلي والمالك الحقيقي للجميع ستكون مسؤولية عظيمة. ومن وظائف الوالدين: الارتباط مع الأطفال وفتح قناة المعاشرة والاستئناس بحيث يكونا كجناحي الطير الذي يضم فراخه تحتها ويسعى للحفاظ عليهم ونموّهم. يكتسب الصغار منهم الحرارة ويتعلمون طريقة العيش والتعامل.

يؤكد الإسلام على ذلك: (من كان له صبياً فقد صبا)[١]، وهذا سبب مهم للانسجام والتفاهم ومعرفة الطفل والتربية العملية.

وقد جاء كذلك وجوب تخصيص قسم من الوقت لممارسة اللذّات المشروعة وإيجاد الروابط والعلاقات بين أهل البيت[٢].

التربية عن طريق اللعب

اللعب وسيلة للتربية ولكن بشرط أن تكون مبرمجة ومخطط لها، يعطي اللعب حرية فكرية للطفل ويسبب تقوية الإرادة واتساع الرؤية. حرية العمل والبيان توصل الطفل إلى العلى، وتشخص منطقة حركته وتجعله مستعداً لاتخاذ المواقف الفكرية في الوقت الحاضر والمستقبل، فما أكثر الملكات والأخلاق الفاضلة التي ظهرت على الطفل من خلال اللعب واكتسبت شخصيته صبغة جميلة ومعالم واضحة، وما أكثر الإرادات المفيدة والمنطقية التي تبدوا للفرد خلال اللعب وتكون سبب للأعمال الإيجابية أو ترك السلبية. اللعب بالنسبة للطفل ليس بالعمل

---

(١) تحف العقول: ابن شعبة الحراني، فصل الإمام علي عليه السلام.

(٢) نهج البلاغة ـ كلمات قصار حديث ٣٨٢.

أو المهنة وإنما هو قنطرة تربط بين حال عدم النظام وحالة التنظيم، ويفهم الطفل في ظلها مفاهيم العمل والمسؤولية والحرية وظروف الحياة مع الجمع، ويلتفت إلى الأسرار والحقائق المختلفة، ليعلم بعد ذلك ما يجب فعله أو تركه، وما هو الموقف المناسب الذي يتحتم عليه في الظروف الحالية، ويُشخص مستوى مقاومته للظروف المختلفة ودرجة تحمله للضوابط والأوامر والنواهي.

اشتراك الأبوان معه في اللعب في الحقيقة تعني أخذ زمام المبادرة لإظهار السلوكية والحالة التي يريد نقلها إلى الطفل، فهم يعلّمونه ما يجب فعله في كل ظرف زماني ومكاني وبصورة عملية. الأوامر والنواهي في اللعب تقوم على أساس التزام الطرفين بها وهنا سيجد الطفل نفسه مضطراً للعمل بذلك وسيترك آثاراً عليه ولكن بشرط أن ترافقه محبة الأبوين وعطفهم ورضى الطفل عن ذلك.

اللعب الجماعي

يلعب الأب مع الطفل أو الأم مع الطفل وهذا ما يؤدي إلى البناء والنمو، ولكن هذا الأمر سيكون أكثر تأثيراً في حالة كون اللعب جماعي ويشترك به أكبر عدد ممكن.

يشعر الطفل بين الجماعة بعدم التبعيض، وما يصادفه أحياناً لا يؤدي به الى التعقيد أو الظن بأن الأب يستعمل معه القوة أو الاستبداد عندما يخسر في لعبته.

يطغى على الطفل شعور بأنه مجهول بين الجمع وهذا يساعد على نقل المفاهيم الهادفة إليه في مجال الحرية وحدودها بصورة غير مباشرة، وسيكون الطفل مضطراً لاتقان اللعب عندما يكون هناك وهذا يلزمه التمرين الأكثر، وعندما

يقصد الطفل اللعب الأفضل والحصول على مرتبة مقبولة من الجميع سيكون مرغماً للتنازل عن جزء من حرياته ويصرف النظر عن التجاوز والتسرع والحرية غير المنضبطة، ويعدل عن رغباته اللامحدودة ويركن إلى ضابطة الجمع الحاكمة. وهذا تمرين مهم جداً لنموّه وعامل مساعد على نفوذ التربية إلى ذات الطفل بصورة أسهل وأبسط.

وفي نفس الوقت فإن حالة السرور التي تنتاب روحه ستوفر الإرضية المناسبة لإيجاد العلاقة السلمية بينه وبين الأولياء وتعطيه فرصة تجربة الحرية الجماعية التي يفترض فيها رعاية الضوابط الرائجة بينهم والقبول بالمسؤولية والتكليف وسط المجتمع.

اللعب والإلقاء

يستطيع الآباء نقل مفاهيم جديدة عن الحرية وحدودها من خلال اللعب إلى الطفل، والقاء ما يرونه مناسباً في مجال المنع أو عدم المنع في ذات الطفل، وانتقاد عمله وسلوكه والطلب منه بانتقاد السبيل الذي عين له أو إعلان قبوله أو عدم قبوله بذلك الخط.

انتخاب نوع اللعبة له أهمية بالغة في هذه التربية، وفي السيطرة على الطفل ووضعه تحت الضابطة المرادة، وتفهيمه بصورة عملية أوعن طريق الإلقاء أنه من الضروري أحياناً التجاوز عن المنافع الشخصية في سبيل المنافع العامة لأن ذلك يؤدي إلى الشعور باللذة كذلك. عموماً الشيء المهم هنا هو معرفة الطفل حدود حريته والمستوى الذي يجب استعماله من قوته وإمكاناته للارتباط بالجمع،

وكيف يسير وكيف يعمل معهم وإلى أي حد يجب عليه الاستمرار معهم، ويفهم علة إطاعته للقانون والنظام وما هي الموارد التي يجب الوقوف عندها لإحقاق الحق، وما هي المناسبات التي يكبح جماح رغباته وأمنياته عندها، والسبب الذي يدعوه إلى تغيير علاقاته.

بعض النكات في اللعب

ـ يجب أن يتناسب مع سنه ونموه لكي يتعلم الطفل الحدود اللازمة للحرية والمنع.

ـ إعطاء الحرية شي حسن ولكن يجب أن لا يفوتنا أن الطفل قبل أن يصبح صاحب فكر وإرادة لا يحق له التحدث عن الاستقلال.

ـ ليكون الغرض الأساسي من اللعب هو السيطرة على طلباته المتعنتة وتهية الأرضية اللازمة لتعديلها.

ـ يجب أن يكون الطفل ملتزماً في كل لعبة والتزامه نابعاً من فهمه وإرادته، وأن يعلم حد الإمكان داخل إطار النظام.

ـ يجب توضيح موضوع رعاية حقوق الآخرين أثناء اللعب، وأخذ دور الآخرين بنظر الاعتبار.

في المعاشرة

تعتبر المعاشرة من الدروس القيمة بالنسبة للطفل، لأنها ستكون مصدراً للاطلاعات والمعلومات الضخمة وأساليب تربوية مباشرة وغير مباشرة له.

هناك العديد من الموارد التي يمكن طلب رأي الطفل فيها ومشورته، ولكن ذلك لا يستمر دائماً وإنما في بعض الأحيان لفتح باب حريته وإعطائه الاعتبار، سيؤدي هذا الأمر إلى ظهور الملاحظة لديه وهذا سيمهد أرضية الأمر والنهي التابع لذلك.

تعتبر السفرات الجماعية أمراً مهماً في استئناس الطفل وتعليمه حدود الحرية المراقبة. ومن خلال ذلك وعن طريق أسلوب الإلقاء يمكن في بعض الموارد توضيح حدود التقدم وحدود الحرية وعن طريق العمل في موارد أخرى.

وفي بعض الموارد الأخرى للمعاشرة يمكن تفهيمه حدود الحرية وموارد المنع وذلك عن طريق تهيئة الأرضية اللازمة للمعاشرة مع من هو صالح للقيادة والهداية كالأقرباء والمعلمين ورجال الدين وكل من له صلاحية ذلك.

الفصل الثالث

في إطار القصة

المقدّمة

يجب استثمار جميع السبل المشروعة للوصول إلى الهدف.

يعمل الأولياء على تربية الأبناء عن طريق اللعب ورواية القصص والأساطير والسبل العملية وأحياناً عن طريق التذكير والتحذير والإلقاء والتلقين و....، ويلجأون إلى الأساليب الفكرية المؤيدة في تعيين حد الحرية.

الموضوع المهم هو تربية العقل والوجدان وتنمية القوة التحكمية لديه وإيجاد ارضية الإيمان والأخلاق والحيلولة دون أعمال الطفل المنحرفة. يجهل الطفل سبيل الحياة ويرغب في ممارسة حريته بلا حد أو شرط وهذا مخالف لمصلحته ومصلحة المجتمع.

يعمل الأولياء أحياناً وبواسطة القصص والروايات على توضيح حدود الحرية، وفي سماعهم لها يشعرون بلذة خاصة ويتمكن من خلال ذكائه الخارق ووجدانه الحي من الاستفادة من فوائد القصة.

فوائد القصة

ترتيب القصة يمكن أن يؤدي إلى سعة تفكير الفرد ونموّه، ويقوّي القدرة على التحكيم ويحفّز الفرد على معرفة العالم وطريق الحياة والصديق والعدو.

للقصص دور في تعليم الأفراد كيفية الارتباط مع الآخرين واختيار النوع المناسب لذلك سواء كان ليّناً أو قاسياً، ويساعد ذلك أيضاً على تنمية قدرة التخيل والبناء ويعطيه أساساً متين في حياته.

يمكن للمربي وعن طريق القصة أن يوضح قباحة أمر ما واضرار وعوارض الحريات المطلقة. يحاول الأطفال من خلال سماعهم لها تقييم طريقهم وأسلوبهم سواء كان صحيحاً أو خطأً، وتزول منهم الكثير من التناقضات الفكرية والكثير من الممارسات وبدون أن يشعر بملامة أحد.

تأثير القصة

تترك القصة آثاراً في نفس وعمق الطفل. يستعمل القرآن الكريم أسلوباً قصصياً ينطبق مع العلائق الروحية للأفراد ويطرحها بسبك خاص وبلاغة عالية ويحاول من خلالها السير قدماً في تربية الأجيال.

عندما يطرح قصة يوسف فإنه يستعمل أسلوباً واضحاً جداً لتبيان ضرورة السيطرة على النفس مقابل الذنب وعندما يتناول قصة أبناء آدم أو اقوام أخرى فإنه يشير بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى قبح هذا العمل وحسن ذلك، ووجوب الابتعاد عن هذا الخط واتباع الخط الآخر، ولكل ذلك دون أن يشير إلى قارىء القرآن بأنه هو المخاطب في كل ذلك.

قصص الأفراد تحفز الناس على السير في طريق أكثر تفكراً، والانصراف عن بعض الرغبات الشريرة، وغض النظر عن بعض منافعه في سبيل منفعة الآخرين أو يجعل رغباته الطائشة تحت ضوابط التحديد، ويعلم دور ذلك وأثره عليه.

إن تقبيح بعض أعمال الأفراد في القصص أو لومهم على ذلك يدفع إلى عدم الشعور بالضيق أو الملل من هذ الأسلوب لأنه سيعتقد بأنه غير مشمول في هذه الحادثة وهذا أحد أفضل أساليب التربية والبناء، وخصوصاً عندما نعرض بعض القصص في إطار الحيوانات ونحاول عكس لطافة حقيقة ما إلى أذهان الأطفال.

القصة والتشبيه

كما ذكرنا أن الطفل يتميز بالتقليد والتشبّه، فهو يحاول أن يتبع سبيل ابطال القصص ويصنع من نفسه بطلاً.

نفوذ القصة في الوجود البشري بصورة لا يمكن زيادتها أو تخفيفها عن تأثير بطل القصة، لهذا فإن الطفل يسعى أن يقيم جسراً يرتبط به مع البطل، وهذا يحدث في شعوره الداخلي. لهذا فمن الضروري أن نهتم بانتخاب الأفلام وأبطالها، ونصحب ذلك بشرح حدود حرية البطل ورغباته البطولية.

هناك الكثير من القصص التي تصادف البعض وقد يكون ذلك أحياناً عبر الإذاعة والتلفزيون وقد يكون لها مفعول عكس ماذكرناه بحيث تؤدي إلى تحلل الفرد بدلاً من السيطرة على حريته. يقع الأطفال عادة تحت تأثير أبطال القصص وعندما يكون الحديث حول مسألة ما يتطلعون الى معرفة النهاية بسرعة، هذه

نكتة مهمة جداً يجب التوقف عندها ويجب استغلالها وتنظيم القصة بالشكل الذي يوحي إلى الطفل أن الفرد الذي يسير في خط الحرية المطلقة ستكون عاقبته سيئة جداً، وإن كانت حريته مشروطة ستكون عاقبته حميدة وجيدة.

وكذلك نجعله يستنتج من خلالها نهاية الاستبداد والظلم، وعاقبة الانسجام الفكري والوئام.

تحضير القصة

بالنظر للدور المهم الذي تلعبه القصة في بناء الشخصية أو تحطيمها نرى من الضروري ان تؤخذ النكات التالية بعين الاعتبار حين تأليف القصة التربوية:

- يجب أن تكون القصة بكر وجديدة وجذابة ومحفّزة لكي ينتبه لها الطفل جيداً.
- يجب أن يكون للقصة موضوع واضح وهدف معين يعطي حاصلها الموضوع المقصود.
- يجب أن تمتاز القصة بالمنطقية لكي تقنع روح الطفل.
- بطل القصة يجب أن يكون مقبولاً في جميع الجوانب من قبل الطفل.
- لا يكون محتوى القصة مملاً أو رتيباً بحيث يترك أثراً سلبياً جديداً في ذات الطفل.
- يجب أن تبعث القصة روح التفكر والاعتبار والمحاسبة وذكر العاقبة في الفرد.
- يجب أن يكون أبطال القصة معروفين وخطهم واضح.

- يجب أن يكون تركيب القصة بالشكل الذي يستطيع معه الطفل مقارنته مع وضعه.

- يجب الامتناع عن ذكر وبيان القصص التي تؤدي إلى تشويش الخاطر واضطراب البال أو تؤدي إلى التنقاضات.

- تنوع القصص ضروري جداً، واختصاص كل منها بجانب من جانب حياة الطفل.

- وفي النهاية يجب أن تكون القصص مربية للأخلاق الحسنة والطهارة والصفاء، والابتعاد فيها عن كل ما يُسيء إلى التربية أو يحرفها. بعبارة أخرى يجب ان تؤدي القصة إلى تثبيت الملكات والعادات القيّمة وتقضي على نقاط الضعف في وجود الفرد.

بيان القصة

من الأمور المهمة في حصول التأثير على الفرد هو أسلوب تبيان القصة. تعتبر قدرة البيان وإلقاء الأمر المعني في النفوس عن طريق القصة من الأمور المهمة جداً ويجب أن يمتاز الراوي بالقدرة والكفاءة العالية على إبراز النقاط الحساسة وطرحها بجدية وحماس مؤثر.

أما أسلوب التبيان والألفاظ والمصطلحات المستعملة يجب أن تكون بالمستوى الذي يحسن فهمها الأطفال ويدركون أبعاد وجوانب القصة واستقبال المعاني المقصودة للوصول إلى الهدف المخطط له. يجب أن يُشد الطفل إلى القصة على طول الخط ويحدث تأثيراً متفاوتاً عليه كالتعجب والدهشة وتغيير الشكل

والصوت كل ذلك يجعله أكثر تهيئاً لاستقبال المفاهيم المعنية، من الأمور التي تزيد من تأثير القصة على الطفل، الاستفسار منه عن بعض الموارد بعد إتمامها وطلب رأيه في بعضها الآخر، وهنا سيتضح لنا مدى استيعابه لها ومدى تأثيرها عليه.

نكات تتعلق برواية القصة

هناك بعض الأمور المهمة والأساسية في ذلك منها:

ـ اختيار الوقت المناسب لها بحيث يكون فارغ البال والخاطر وخال من الأفكار الجانبية، ومن الأفضل أن لا تكون أثناء نومهم.

ـ عندما تكون العلاقة بين الأب والابن اكثر صميمية سيكون تأثيرها أقوى.

ـ يجب الامتناع عن الأساليب التي تُشم منها رائحة الأمر والنهي وإنما يجب أن تطغي عليها المرونة والجودة.

ـ يمكن تخصيص كتاب معين يتناسب مع فهم الطفل وتشجيعه على قراءته.

ـ بالنسبة للأحداث والصغار من الأفضل اختيار الكتب الحاوية على الرسم والصور المعبرة.

الفصل الرابع

الإلقاء والتلقين

المقدّمة

الطفل محدود بعالمه الخاص، لا يُشخص وظيفته ومسؤوليته ولا يعلم ما يجب عليه فعله أو ما يجب الامتناع عنه، وتطغي رغبته على أفعاله. بعد ذلك يُفترض تعليمه الانضباط والنظام.

من السبل المهمة في البناء وتعلم الضوابط هو أسلوب الإلقاء والتلقين والتذكرات الشفهية التي تصدر من مربيه لأجل تحديد فكرة معينة موجودة في ذهنه.

يمكن أن يحدث هذا الأمر أحياناً بصورة ذاتية كما في الكبار أو عند بعض الصغار أحياناً.

اساس التربية في المراحل الأولية للطفل هو الأسلوب العملي ابتداءً من بداية نطقه وفهمه للغة أبويه، وهنا من الممكن أيضاً زيادة أسلوب الإلقاء والتلقين ليختلط هذين الأمرين ويرسمان طريق حياة الطفل.

استقبال الأطفال

تُمثّل حواس الإنسان البوابات التي ترد منها المعلومات الخارجية إلى

داخل وجوده، ومن الممكن إدخال الكثير جداً من رغبات الأولياء وأفكارهم إلى داخل فكر الطفل عن طريق تلك الحواس. يتجسد المعنى الحقيقي لحرية الطفل عندما يصبح لها معنىً وواقعية في المجال العملي.

من الأساليب الداعية إلى إمكانية تربية الطفل من أول حياته هو جعله يتأثر بنفوذ الإلقاءات بحيث يستقبل الضوابط التي يُلقّن بها وتؤدي إلى تغيير حالة وسلوك الطفل وتساعد هذه الأساليب والاستعدادات في تعليم الطفل وتربيته، وقد يقف بنيان التربية عليها أحياناً.

عادة يكون للكبار تأثير أقوى في هذا المجال وخصوصاً الذين يقبل بهم الأطفال ويميلون إليهم ولعامل الخجل دور أساسي في عدم رفض كلامهم أو عدم الالتزام بأوامرهم وهذا له تأثير إيجابي في تربية الطفل.

بالإضافة إلى ذلك يتميز الطفل بحالة من المرونة وبساطة الرجوع وهذا يساعد على صرفه عن الأفعال الغريبة وعودته إلى حدود الضوابط التي يطمح لها الأولياء.

لا ننسى أن الاستقامة والتسليم والمرونة والرجوع كل ذلك موجود وممكن في جميع مراحل عمر الفرد ولكن فترة الطفولة اكثر ملائمة لذلك ويجب أن لا نضيّع تلك الفرصة.

حاجة الطفل إلى الهداية

يحتم علينا جهل الطفل تقديم الموعظة والنصيحة له، وهذا ممكن متى ما أيقن الطفل أن أبواه يبغيان الخير له ويطمحان إلى سعادته. يجب أن يُثبّت هذا المفهوم في روح ووجود الطفل وإلا فسيفوته الكثير جداً من النصائح.

يستقبل الطفل عادة الإلقاءات المقنعة والمؤطرة بالعطف وحب الخير خصوصاً عندما يدرك الطفل مسألة معينة ويعرف قيمتها، مثلاً لو قال له أبواه بلطافة إن الغرفة ليست محلاً للعب، أو يجب عدم لمس السكينة لأنها خطرة، أو لا يجوز اللعب بالزجاج لاحتمال كسره وجرح يديه فإنه سيستقبل ذلك برحابة صدر.

عموماً استعمال الأساليب الفكرية في التربية يمنحنا فرصة توجيه الطفل إلى الجهة التي نبغيها أو نحفزّه على البحث عن رأي أو جهة مناسبة.، ويجب أن تكون هذه الأساليب تتناسب فكرياً معه وتتلائم مع وسعه ومستوى إدراكه.

النكتة المهمة في الإلقاء

نسعى من خلال ذلك إيجاد أبعاد إيجابية في شخصيته وإبعاد السلبي منها. على سبيل المثال قول هذه العبارة (اهدأ) أفضل من ذكر عبارة (لا تصرخ)، وذكر عبارة (الأمانة شيء جيد) أفضل من عبارة (السرقة شيء قبيح) وعبارة (امشي على الأرض أأمن لك) أحسن من عبارة (لا تتسلق على الحائط أو تمشي عليه لعلك تسقط من عليه). و....[1]

والأمر المهم الآخر هنا هو التدرج وأخذ حجم الطفل ووسعه بنظر الاعتبار في تحديد حدود الحرية وتشخيص موارد المنع لكي يستطيع استثمارها في تطوره ونموّه.

وان اقتران القدوة دائماً في مجال الإلقاء لانه سيكون أكثر عبرة وفائدة له.

---

(١) نفي الأشياء يترك آثاراً سلبية في التربية.

ويضاف إلى ذلك وجود الاتحاد بين الأبوين أو بصورة أوسع بين الأبوين والمربين وحتى أعضاء المجتمع، يجب أن تكون وحدة الكلمة والاتفاق بين الزوج والزوجة في محيط البيت لأن التفاوت في ذلك يسبب نفور الطفل وتشكيكه في شخصيته الإنسانية بالإضافة إلى ضرره[1].

تقوية الإرادة

هناك الكثير من الأمور يفهمها الطفل ويُشخّص جوانب الخير فيها والشر ويستقبلها لكن إرادته بُنيت بصورة لا تجعله تنفيذ ذلك وهذا ناتج من عدم نضوج التربية.

يسمع الطفل ابتداءً الأوامر ولكنه يفتقد إلى قدرة الإرادة والسيطرة على نفسه، ولهذا نراه يكمنها في ذاته ولا ينفذها وهذا خلاف توقعات الآباء، لهذا فإنْ تربية إرادة الطفل التي تعينه وتجعله منفذاً تعتبر من الواجبات المسلّمة في التربية.

اساس تربية الإرادة هو تحويل مسؤولية صغيرة إلى الطفل، ودعمه لتنفيذ ذلك ونتدرج في ذلك من البسيط إلى الأصعب حسب وسعه وقدرته.

الصراحة

في أسلوب التلقين والإلقاء يشترط أن تكون هناك صراحة ووضوح في الأوامر. لكي يعرف ما يجب فعله مع الموضوع المعني، ومتى يحدّ من نفسه ومن

---

(١) يتعلم الأطفال النفاق من ذلك.

أي شيء يمنعها وقد ذكرنا هذا الموضع لأن الابوان يتوقعان أن ما موجود في ذهنهما قد استلمه الطفل بصورة واضحة ويعتقدان بانتقال المفاهيم إليه من خلال الاسلوب المتسعمل، ويغفلون عن إبهام ذلك وعدم فهمه من قبل الطفل مثلاً: لا يعلم الطفل مفهوم السيطرة، وما يعني الحد والحدود، والمكان الذي يجب ضبط نفسه فيه وعدم التكلم.

الإلقاء يختلف عن العمل، يُجرّب الطفل الأعمال (كاللعب) ويُشخّص بعد ذلك الصائب منها والخاطىء، والجانب الإيجابي والسلبي ومن خلال ذلك يستنتج الواجب فعله ولكن ذلك لا يعني الصراحة في الإلقاء.

الأساس هنا هو إدراك الموضوع المقصود، وبعد إجراء الإلقاء يجب السؤال منه بما يلي:

هل فهمت المقصود؟ ونطلب منه توضيح ما ذكرنا.

وعلى ضوء ذلك الأساس يمكننا إجراء مفاهيم العقاب والثواب.

تلقين النفس

تلقين النفس أمر مهم في الفرد، وان تكرار ذلك مع النفس يساعد في القبول به. يستنتج علماء النفس أن في ظل الإلقاء والتقلين يمكن القضاء على الخوف الموجود في النفس، وتحسين صورة شيء ما بعد أن كان مكروهاً بالنسبة إليه[1].

سر الارتجاز في المبارزات الفردية ينصبّ في هذا المعنى، فهو يستمد القوة

---

(١) ديل كارنكي: كيف نبعد القلاقل والاضطرابات عنّا.

من ذلك ويزرع الخوف في قلب العدو، يصرّح عن نفسه وعن شجاعته وبصوت مؤثّر أمام عدوه وهذا ما يحطم معنوية العدو يثبتها في نفسه. يجب تفهيم الطفل أنه من خلال تلقينه لنفسه يمكنه أن يكون فرد ملتزم لا يذكر ولا يبرز مشاكله إلى الخارج، ولا ينطق بكل شيء ولا يذهب لأي مكان، ولا ينظر لكل شيء ولا يستمع إلى كل حديث، ولا يأكل كل طعام ويذكّر نفسه بذالك دائماً وهذا ما سيؤدي حتماً إلى الحرية المشروطة والمنضبطة.

الفصل الخامس

التفهيم والإرشاد

المقدّمة

عمل التربية من خلال الهداية والإرشاد هو سوق الفرد الجاهل لأمر ما ووضعه في خط كمال ذلك الأمر بعد أن كان متوقف عن السير فيه إلى الأمام.

عالم الطفولة عالم للتربية والشمولية ويمتد إلى السبعة الثانية من عمره ويُعتبر فيه عبداً[1]، يجب أن يتعلم فيه كل شيء ويتدرب على كل شيء، وينمى فكره فيه وكذلك عقله ويستعد لدخول دنيا الكبار. مسيرته إلى الهدف خطوة خطوة وكل يوم يتقدم إلى الأمام حتى يصل إلى الكمال المقدور بالنسبة إليه[2].

يجهد الطفل أحياناً ويسعى من خلال الحرية الموجودة في اختياره للوصول إلى ما يخالف صلاحه وصلاح الآخرين وعلة ذلك هو جهله وعدم علمه باضرار وعواقب الأمور، ولهذا فإن إرشاده ونصيحته تُعد من وظائف الأولياء الضرورية للأطفال.

---

(١) .... وعبد سبع سنين: الطبرسي، مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.

(٢) المجلسي: بحار الأنوار ج ١ ص ١٧٣ حديث عن الإمام الرضا عليه السلام.

الحاجة إلى الرشد والتوعية

الحقيقة أن الجهل يسبب العبودية ويجعل الإنسان في قيد نفسه، وحسب قول أحد فلاسفة الغرب[1]: لو قبلنا على أن الحرية في ظل درك الحقيقة من الضرورات سنستنتج بصورة تلقائية إلى أن مسالة درك وتشخيص الصواب عن الخطأ والجيد عن الرديء والقبول بخط ما وفق وعي وخبرة.

تُبنى حرية الأفراد وحدودها على العوامل التالية:

- معرفة الرديء والجيد والحسن والقبيح والاطلاع على واقع الأمور[2].
- القدرة على العمل والتطبيق وهذا يجب أن يكون في ظل التخطيط وتعيين المسير الصحيح وانتخاب الأحسن.
- وجود رغبة واختيارات منضبطة في الحياة تساعده على السير إلى الهدف المقصود.
- الإيمان الحقيقي بصحة العمل وسلامة الطريق والأسلوب الذي نختاره.

التربية العقلية

توجب هذه التربية على الوالدين الاهتمام بالعقل إلى جانب التربيات الأخرى لأبعاد الطفل المختلفة، وهذا ما تعتبره بعض المذاهب الفلسفية أصل التربيات وأهمها.

---

(١) سارتر.

(٢) تبدأ من عمره ٦ سنة.

الطفل الواقع تحت ضغط الانضباط الجبري يُتوقع منه ترك ذلك بعد زوال المؤثر القسري والعمل بما يمليه عليه تشخيصه، ولهذا نراه دائماً في حالة خوف وقلق وحساسية وعصبية وعديم الرغبة بالعمل والمثابرة، وكما هو متشائم من الآخرين نراه وحيداً ومظلوماً بنفس النسبة في حياته، ويشعر نتيجة تلك الوحدة بالغربة والخوف ويبدأ سلوكه العام بالهبوط تدريجياً إلى الضعف. على هذا الأساس تعتبر التربية على الحرية ناقصة إن أهملت الجانب العقلي لأن الأسلوب الجبري والقسري يجعله مقلداً كالببغاء.

أما الوضع الطبيعي هو خروجه من حالة الجهل بأسلوب يتناسب مع إدراكه وفهمه ووسعه الروحي والنفسي ويسير قدماً بوعي.

هناك العديد من المواقع تظهر في ظل تربية عقل الطفل ووجدانه، ولعله من السابق لأوانه أن نتحدث حول التربية العقلية للطفل، ويمكننا أن نوضح بعض المفاهيم من خلال (ارائة صورة ذلك الفعل كالاحراق مثلاً) أو القطع لشي آخر من خلال التجربة السابقة وسيكون هذا الأسلوب مساعد له ابتداء من سنينه الأولى.

تفهيم الحدود

يستنتج الطفل في مراحله الأولى ومن خلال تجاربه بعض العوامل المحددة، كالابتعاد عن المحرقات من خلال فهمه لأمر الإحراق نفسه وتجربة الافراط بالطعام تجعله يبتعد عن ذلك ولكن يجب أن ننتبه إلى أن جميع الأمور لا يمكن تجربتها وكذلك أن الكثير من الأمور لا يمكن أن يعمل بها الطفل أو يجرّبها.

لأجل التفهيم السريع نلجأ أحياناً إلى أسلوب التقريب والتمثيل وأحياناً

أخرى إلى الأوامر والنواهي وفي بعض الموارد إلى سبيل السيطرة[1].

للوصول إلى الكمال نسلك احياناً طريق الوسط في بعض الأمور وهذا يعني عرضها بأسلوب طفولي يفهمه الطفل ومستوحى من تجارب أوليائه.

على أي حال إن الأمر المهم هو أن الطفل وعلى ضوء إدراكه وفهمه يفهم إمكاناته ويشخص ظروفه ووضعه وموقعه وما هو تكليفه ومسؤوليته في الأمور وما هي حدود حريته وما هي الموانع التي يجب أن تتواجد في طريقه ويقبل بها، وفي أي مكان يكون حراً ومقيداً.

توضيح العلل

من أجل توضيح حدود الحريات لأغلب الموارد يمكننا مناقشة روابط العلة والمعلول. على سبيل المثال لو أردنا منع الطفل عن موضع ما علينا ذكر سبب وعلة ذلك ابتداءً، فإذا قلنا له ممنوع عليك اللعب بالآلة الجارحة لأن السبب هو أننا لا نرغب أن تُجرح يدك، أو نمنعه من عبور الشارع لوحده نقول له لأن هنالك أخطاراً تهدده، وكذلك بالنسبة للسباحة في البحر أو المسبح لوحده لوجود خطر الغرق وهكذا.

لا تنسى أن هذا الأسلوب غير ناجح مع جميع المسائل وخصوصاً في الأمور التي تظهر نتائجها في المستقبل. أو في المسائل الشرعية، فلا يمكن توضيح سبب منع الفضول والتطفل أو لماذا حرّمت نظرات الحرام، وأن الأمر الشرعي الآخر لماذا أصبح حراماً. بعبارة أخرى يجب أن يكون قسم من تلك

(١) استعمال القوة للمنع أو التحفيز.

المراقبات في جانب الحرية بصورة تعبدية[1].

توضيح العواقب

يمكن أن توضح سر الحرية أو المنع من خلال العاقبة السيئة أو الحسنة لها، وهذا الجانب محدود أيضاً كسابقه خصوصاً في الحديث عن المستقبل أو أمور أخرى لا تُستقبل من قبل الطفل.

أما في الموارد التي تسبب الضرر نتيجة جهل الطفل يجب توضيح ذلك له، ولكن عند تعذر ذلك نحاول عن طريق كسب ثقته بنا من صرفه عن الأعمال غير المناسبة.

يمكننا لتوضيح ذلك للطفل الاستفادة من المصاديق العملية والقابلة للمشاهدة من قبله، مثل الاشارة الى جرح يد أحد الأفراد بسبب عدم احتياطه من الآلة الجارحة، وهذا سيجعله يبتعد عنها وهكذا في المسائل الأخرى.

نكات حول التوضيح والإرشاد:

لمنع الطفل عن بعض الموارد من الأفضل أن نلجأ إلى أسلوب المداراة والهدوء قبل أن ندخل إلى التهديد والعقاب.

ـ التوضيح والإرشاد عام للجميع ومتساوٍ بجميع أفراد العائلة.

ـ يحق للطفل أن يسأل عن كل ما لم يفهمه ويعرف حقيقته من الأولياء ويجب على هؤلاء الإجابة بأسلوب طيب ومناسب له.

---

(١) لا يمكن الاستدلال في جميع الأمور ولا نملك ذلك ولا فرصته.

- يمكن إخباره للحيلولة دون عمل ما لان هـذا العـمل مـنافٍ لمسـتوى العائلة.

- إيجاد الثقة والتصديق بالأبوين من الأمور المهمة جـداً لتـحفيزه عـلى استقبال الشروط. وإظهار حب الخير له.

- الابتعاد عن المراوغة والكذب لأجل منع الطفل عن أمر ما لسوء عاقبته.

الباب الثامن

ضرورات التقييد ومنح الحرية

يُعرض هذا الباب في فصول ثلاثة هي:

ـ الفصل الأول: بعنوان الضرورات الفردية في مجال الممنوعات ونستعرض فيه المشاكل التي تقف في طريق رشد الطفل بالإضافة إلى ذكر أدلة ومبررات المسموحات وضروراتها.

ـ الفصل الثاني: وهو بعنوان الضرورات الجماعية في مجال المنع والعطاء من جانب جماعي ونبرهن على أنه لا يوجد سبيل آخر غير المنع أو العطاء في الحياة الاجتماعية ولكنه يقوم على أساس المنطق والضوابط.

ـ الفصل الثالث: وذُكرت فيه الأصول التى يجب مراعاتها في مجال المنع والعطاء، والآثار السلبية للاستبداد بالرأي، وضرورة المنطقية في طريق وأسلوب الحرية وقد راعينا الاختصار في جميع ذلك.

الفصل الأول

الضرورات الفردية

المقدّمة

أساس البحث هو الحريات المطلقة والمنع المطلق للطفل، وكيف أن ذلك سيجلب له التعاسة ويسبب له العبودية في بعض الموارد وتوجد له الصدمات والأضرار الجدية والشديدة.

سلامة نمو الطفل تتحقق في ظل خليط من المنع والعطاء الفكري والمنطقي، ويجب على الأولياء أداء دورهم اللازم هنا والتخطيط والتنظيم له. وجود خط واضح للأطفال من مسؤولية الأولياء ولهذا دور بنّاء، وإلا فإن خطر سقوط الطفل والشاب سيكون أمراً قطعياً: ثم رددناه أسفل سافلين[١].

الضرورات اللازمة

نبحث هنا ضرورة مناقشة الموضوع من زاويتين:

---

(١) التين ٥.

ألف: في مجال المنع

والمقصود منه هو إيجاد الموانع في طريق حركة الطفل ووضع الحواجز أمام رغباته لكي يُمنع عنه الضرر. وأساس هذا المنع هو وجود مشاكل في حياة الطفل منها:

١ ـ المشاكل الطبيعية والوراثية: والتي تضم:

ـ جهل الطفل الذي أشار إليه القرآن وحذّر الوالدين منه لانه يولد الطفل وهو في حالة جهل مطبق[١].

ـ الضعف الذي يقول به القرآن ﴿وخلق الإنسان ضعيفا﴾[٢].

ـ ثنائية الباطن بحيث يطغى فيه الخير أحياناً، ومرة أخرى يطغى الشر ويُبقى له موقعاً[٣].

ـ انعدام الادراك العقلي حيث يولد الطفل بعقل وعلم كامن ويحتاج إلى التجربة لتفتّح ذلك العلم وهذا يحتاج إلى وقت.

ـ عدم تشخيص الحسن عن القبيح والشر عن الخير وهذا يرتبط بعقله أيضاً، وإهمال ذلك له عواقب ومخاطر كالاحتراق والسقوط والاختناق وكوارث أخرى... وهذه الأمور متصلة بالنسبة له[٤].

٢ ـ مشاكل الرغبة والميول: يولد الطفل وهو مليء بالرغبات منها جلب

---

(١) النحل ٧٨.

(٢) الروم ٥٤.

(٣) قول فلسفي: ج ٢ الشر كامن في طبيعة كل أحد ـ علي عليه السلام.

(٤) الرعد ٢.

المنافع ودفع الآلام ولكن ذلك ليس بمصلحته دائماً.

ـ له غرائز تتصف أغلبها بالأخذ والطلب منها غريزة الجوع والعطش و...

ـ يطمح دائماً إلى توجيه رغباته النفسية والحيوانية إلى الأمام وعلى الدوام وهذا ما سيؤدي بالنهاية إلى انفلات لجام مركبه ويؤدي به إلى الهاوية(١).

ـ يمر بفترة مراهقة في سنين معينة تدفعه إلى جهات متعددة يستلزم فيها القيد والشرط وإلا فإنها ستؤدي إلى الفساد والخجل(٢).

ـ يمتلك رغبات وميول تحققها أحياناً يؤدي إلى السقوط والانحراف.

ـ الخمول المعشعش في داخله يجعله يرضى باللذات المؤقتة وهذا ما يؤدي إلى التبعية والعبودية، وإلى ترك النظام، والسير في الطريق المعاكس للحضارة المدنية.

٣ـ المشكلة الذهنية: الطفل مصاب عادة بمشكلة ذهنية خصوصاً في بداية مراحله لعدم كفاية نموه وعدم علمه بأسرار العالم.

ـ يمتاز بحب الاطلاع الذي يدفعه إلى التطفل على كل أمر وطريق وهذا ما سيسبب له الصدمة والضرر أو يكون سبباً لمضايقة الآخرين.

ـ تتبع الأحداث وأسبابها والتي لا تكون بدافع الشر دائماً ولكنه يحاول معرفة أسباب ودقائق المسائل مما يؤدي الى وقوع الحوادث ويجلس بعد ذلك لمشاهدتها.

ـ قدرته الخيالية قوية ولا يفرق بين الحقيقة والخيال. ويتصور نفسه بأدوار

---

(١) نهج البلاغة خطبة ١٦.

(٢) غرر الحكم حديث رقم ٤٨٨٥ أمير المؤمنين عليه السلام.

مختلفة وهذا ما يخلق له المشاكل[1].

ـ العبث بالأشياء بدون أن يعلم عواقب ذلك، وسيكون هذا خطراً عليه وإلى حد الموت أحياناً أو نقص عضو معين.

ـ يتميز بالضعف العقلي وعدم الدقة والنسيان والعجز الفكري وكل ذلك سيضيف حملاً إلى أثقاله.

٤ ـ المشكلة العاطفية: لديه مشاكل عاطفية تسبب له كذلك الضرر، وهذا بحد ذاته يمكن أن يكون مبرراً للسيطرة عليه.

ـ لديه مشكلة الخوف التي تعتبر حياتية بالنسبة له ولكنها تسبب الضرر له في كثير من الأحوال.

ـ لديه مشكلة الغضب والسخط الأعمى الذي يثار ضد الأولياء وأحياناً ضد نفسه.

ـ حسود ويسبب له هذا الحسد العذاب والقلق وأحياناً يتطور الأمر إلى حد ضعف الجسم بدون أن يحصل على فائدة من ذلك[2].

ـ ينتابه العشق في سنين البلوغ، وهنا حتماً يجب ضبطه وحصاره.

ـ يتميز بالأنانية والطمع واللجاجة والرغبة بالسلطة والحب المفرط، ويطمح إلى السرور والنشاط للحصول على اللذة الآنية ودفع الألم، وترك ذلك وعدم السيطرة عليه يسبب له الصدمات وخصوصاً في مجال التقييد الفكري.

---

(١) آلسترو: علم نفس الطفل.

(٢) الحسود لا يسود.

٥ ـ المشكلة النفسية: مساحتها واسعة وتشمل:

ـ مشكلة الإدراك: لم يصل الطفل إلى درجة من الفهم والرشد لكي يدرك مسائله الحياتية.

ـ مشكلة عدم التعمق الناشئة من عدم البصيرة وفقدان التجربة.

ـ ضعف الإرادة التي تؤدي إلى القرار السريع وغير الناضج وهذا سيؤدي بدوره إلى الإضرار.

ـ الضعف في التحمل الذي يؤدي إلى الحرمان ورفض الأشياء التي هي في صلاحه.

ـ الغرور بالنفس والذي قد يؤدي إلى التوقعات اللامحسوبة.

ـ الفرار من الضوابط والقواعد التي تفرضها روحه المتحررة والتي تجعله يغض النظر عن القيم. وهناك عوامل أخرى مثل التسرع والتجاوز والعناد.

النتيجة

تفرض هذه المجموعة من البحوث والبحوث الأخرى التي لم نتطرق إليها للاختصار أنه لابد من وجود عقل منفصل يرافق الطفل ويتجلى هذا بالأولياء (الأم، الأب، المربي).

يسيطر على حالات وحركات ومواقف الطفل ـ بالاضافة الى ذلك من الضروري أن لا ننسى الأمور التالية:

ـ من ترك الشهوات كان حراً.

- عبد الشهوة أذل من عبد الرق.

- اقمعوا هذه النفوس فإنها طلقة إن تطيعوها نزع بكم إلى شر غاية.

- وحسب رأي ديوي: السلوك الحر لا يقيد بالأهواء والميول وإنما في قدرته على السيطرة على نفسه.

ب: في مجال العطاء:

هناك ادلة توجب عدم حذف الحرية من حياة الطفل بصورة مطلقة، وعدم استعباده. يتميز بعض الأولياء بقلة الصبر والتحمل ولا يستطيعون تحمل خشونة الأطفال وثرثرتهم فيقضون على حريتهم بالكامل. يُطلق على هذا النوع من الأولياء بالأناني الذي يغض النظر عن حقوق الأبناء ويفكر بمصلحته الشخصية فقط وهذا ما يؤدي الى إضرار الطفل وهو محكوم عليه من الناحية التربوية. يجب أن يُقيّد الطفل ولكن لا يصل الأمر إلى حرمانه من لعبه ونشاطه بحيث يصبح كالحيوان مكبلاً بالقيود، الحرية المشروطة عامل مساعد لنمو وتعالي الطفل، وأما الإفراط والتفريط فيسؤديان إلى السقوط والانحراف.

أدلة منح الحرية

هناك العديد من المبررات التي توجب وجود الحرية المشروطة. يمكن ذكر بعض الموارد مثل:

- حفظ السلامة الجسمية وإيجاد الرشد في البدن وهي أصول أساسية في حياة الطفل.

- اتساع تجارب الطفل ويقوم هذا على كون الطفل حراً في حركته

ونشاطه وعبثه.

- تأمين السلامة النفسية التي يفتقر لها الأطفال الذين لا حرية لهم بالكامل ولا يمكنهم الوصول إليها.

- تفتّح الاستعدادات التي تعتمد هي الأخرى على حركة الطفل وعبثه بالأشياء.

- الدفاع عن جسمه وروحه وفكره وهذا من لوازم أدامة حياته.

- يحتاج إلى البلوغ الفكري والسياسي والاقتصادي وإلى أسباب الاتساع بمعناها المطلق.

- لا يمكن تأييد قيمة العمل من خلال التضييق الشديد.

- اكتشاف طرق حل كثيرة في موارد متعددة ومتنوعة، أما سبب تأخيرها فهو التحديد القاسي.

- ظهور الابتكار والخلاقية التي تكمن بكثرة في داخل الأطفال.

- جعله مستقلاً بحيث يمكنه فكّ ارتباطه عن حاجته للآخرين في بعض الأحيان لأن مستقبله مشروط باستقلاله وكذلك سعادته.

الفصل الثاني

الضرورات الجماعية

المقدمة

تفرض الحياة الاجتماعية على الفرد أن يصرف النظر عن جزء من منافعه الشخصية في سبيل المنفعة العامة، لأن حريتنا تكتسب معنى أن كانت إلى جانب حرية الجماعة، وأن انعدم ذلك فإن الفوضى ستعم لأن الكل سيسعى إلى تحقيق أهوائه، وكذلك سينتشر الاضطراب وعدم الانسجام والخشونة بسبب عدم قناعة الفرد بحقه.

وعلى هذا الأساس يجب على الجميع وليس الأطفال فقط أن يقبلوا بالقيود والحدود الموجودة لأن الحرية المطلقة لله تعالى فقط: ﴿يفعل ما يشاء﴾[1] ﴿يحكم ما يريد﴾[2] أو في آية آخرى ﴿لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون﴾[3].

مساحة الضرورات

هناك بحوث واسعة حول ضرورة منع الحرية في جانب وإعطاء الحرية في

---

(١) آل عمران ٤٠.

(٢) المائدة ١.

(٣) الأنبياء ٢٣.

جانب آخر نقسمها إلى قسمين:

الف: في الممنوعات:

هناك ضرورات قابلة للذكر في هذا المجال منها:

١ ـ **حفظ حقوق الجميع:** بُني المجتمع البشري على مبدأ الأخذ والعطاء. كل فرد في المجتمع طالباً من الآخرين وفق الموازين والمعايير، وعلى المجتمع إيفاء حقه واحترامه، وكذلك عليه دين يجب أداءه إلى المجتمع.

في كل مكان يُطرح فيه الحق، يقابله التكليف في الجهة الأخرى والمسؤولية وبأكبر أحجامها. وقد ذكر فقط في إحدى الكتب الإسلامية[١] إحدى وخمسين مورداً أغلبها تمتلك بعداً اجتماعياً.

الأفكار التي تنظر إلى مصلحة فرد معين فقط وتنسى الآخرين أو الفرد الذي يفكر في نفسه فقط ويهمل الآخرين ما هي إلا حالات حيوانية، وحاصلها سيكون الظلم والحرمان والفناء.

٢ ـ **تأمين الأمن:** من حقوق الناس الحضور في المجتمع والبيت ومحل العمل والمباشرة بأعمالهم بدون أن يتعرضوا إلى الصدمات أو خطر الضرر، ولا يحق كذلك لكل شخص أن يعرّض الآخرين إلى الصدمات والأضرار أو حتى القبول بذلك[٢].

لأجل استفادة الجميع من نعمة الأمن والأمان والراحة يجب تحديد حرية الأفراد بواسطة القرارات والقوانين الأخلاقية وتحديد إطار الاستقامة

---

(١) رسالة الحقوق، الإمام السجاد عليه السلام.

(٢) قاعدة لا ضرر ولا ضرار.

والانحراف[1].

الافراد الكثير جداً من الأفرد يسلك طريقاً مخالفاً لمسير المجتمع من خلال القدرة أو الاستهتار والتهور، ولأجل تنفيذ رغباته يطوي الطريق الموضوع من قبله بدون أن يأخذ مصالح الآخرين بنظر الاعتبار، وقد يوجد الفرقة والاحتكاك بين الناس احياناً او يخلّ بالنظام الاجتماعي وهذا خلاف الشؤون الإنسانية، وعلى الأولياء منع ذلك.

٣ ـ **حفظ الحدود:** من الممكن أحياناً أن لا يسبب عمل فرد في المجتمع ضرراً حالياً إلى فرد ما لكن عمله مخالف للشرع والقانون، المنع هنا ضروري أيضاً لحفظ حرية القانون. تصور فرداً يعيش في مجتمع إسلامي لكنه لا يحفظ حرمة الإسلام في لباسه ولا يلتزم بضابطة في خروجه ودخوله ويمتاز بوقاحة البيان، والاستهزاء بالقواعد الاجتماعية المحترمة والقوانين، وأن تُرك هذا الفرد فإنه يكون بمثابة الإهمال وعدم الاعتناء بالقواعد وهذا شيء غير صحيح.

٤ ـ **في مجال الحياة العائلية:** بعض الأطفال يريد أخذ زمام الأمور في البيت بيده، وبعض الآباء يهمل هذه الحالة ويعتقد بأنه قد يكون سبب ذلك هو طفولته وجهله أو تخلفه وهذا لا يساوي شيئاً عندهم ولهذا من الأفضل تركه، لكنهم يغفلون أن الطفل موجود غير محدود التقدم ولو تُرك حراً في أمر ما فإنه سيطمح إلى الأكثر فالأكثر ولا تتوقف قناعاته عند حد، ويتقدم إلى الأمام كلما تراجع الأبوان. وعاقبة ذلك ستكون السيطرة على الجميع ويعرض حياتهم إلى الأضرار.

---

(١) فلسفي: الشباب والكبار ج ١ ص ١٧١.

ب: في العطاء:

يعتبر عطاء الحرية المشروطة للطفل ضروري من الناحية الاجتماعية ولهذا مبرراته الخاصة منها:

١ ـ العثور على دوره الاجتماعي: يُمثل دور الفرد في المجتمع كالصامولة في النظام الميكانيكي فعندما تكون في محلها إلى جانب الصامولات الأخرى فإن الحركة هنا ستكون فاقدة للمخاطر. لهذا يحق للطفل أن يتمتع بحريته المشروعة لكي يوجد محلاً لمكانته وظروفه.

أما تحديده بالكامل أو إطلاق حريته بالكامل سيعطي نتيجة سيئة للفرد وللمجتمع وسيكون في الحرية المطلقة متهوراً يعمل في كل الجهات أو سيفقد مكانته في التحديد المطلق لهذا يجب أن يكون متمتعاً بحرية مناسبة لتقدمه ونموّه.

٢ ـ قبول المسؤولية: العبء الثقيل للمجتمع والحياة الاجتماعية لا يمكن أن يتحمله الشخص بمفرده وفي نفس الوقت لا يمكنه أن يتجاوز ذلك. كل شخص يستثمر مواهب الآخرين يُفترض به أن يُقدم خدمات تقابل ذلك ويجب عليه أن يشعر بالمسؤولية مقابل ذلك.

نسعى من خلال إعطاء الحريات المناسبة إلى الطفل أن نجعله قريباً من المسؤوليات لكي نطلب منه عمل ذلك وتحمله. يؤدي جزء من المسؤوليات إلى تناميه واعتلاء المجتمع، وتعتبر الحرية المشروعة والمشروطة أداة كذلك للوصول إلى هذه الأهداف، كتقوية شخصيته ونموّها في جميع الاتجاهات، والنضوج والانضباط، وكسب العلم والاطلاع اللازم لأداء المسؤولية.

٣ ـ المشاركة الاجتماعية: تعتبر المشاركة وظيفة جماعية دون أن يوضع لها وجوب علني يجب أن تكون تربية الطفل بالصورة التي تجعله متطوعاً في

تقديم الخدمة الاجتماعية والمشاركة فيها، مع أن هذه المشاركة تُعتبر من زاوية أنها واجب كفائي لكن يجب تربيته بالشكل الذي يشعر معها أنها واجب عيني. أن عدم الفرار من المشاكل والامتناع عن التحجج أمام الوظائف والأمور التي تواجه المجتمع يحتاج إلى أرضية معدّة بصورة مسبقة من جملتها: الحرية المشروعة والمشروطة. أن تقييد أعضاء الجسم بالسلاسل وكذلك الأفكار والمفاهيم المفيدة لا يمكن أن يجعلنا أن ننتظر المشاركة من الأفراد والفرد.

٤ ـ **رعاية مقتضيات الجماعة**: الحياة الجماعية لها مقتضيات وتتطلب سيطرات في سبيل حفظ المصالح العامة، إن القاعدة في الحياة الاجتماعية هي كما يشير لها القرآن ﴿لا تظلمون ولا تُظلمون﴾[1]، وهناك قواعد فقهية في الإسلام ترتبط بهذا الأمر وهي قاعدة (لا ضرر ولا ضرار)[2]. يجب أن يكون سعي الإنسان في إطار هذا الحديث: (أن الله فوض إلى المؤمن كل شيء إلا إذلال نفسه)[3].

مقتضى الحياة الاجتماعية هو رعاية حرمة المقابل وامتلاك الحرية في نفس وقت رعاية القيود المؤيدة.

٥ ـ **رفع الحاجات التقليدية**: التقليد علامة للضعف والركود من جانب بالنسبة للشخص الذي يقيم حياته على ذلك، ومن جانب آخر فهو عامل للنمو والحركة السريعة بالنسبة للفرد الذي يحاول الوصول إلى الهدف المقصود من خلال تجارب الآخرين، والحرية لازمة لذلك.

---

(١) البقرة ٢٧٩.

(٢) أصول الفقه العلامة المظفر.

(٣) المعجم المفهرس والصحاح الستة: مادة ذل.

الحياة نوع من اللعبة الجماعية، واللعبة الجماعية تحتاج إلى الحرية من جانب وإلى القواعد والضوابط من جانب آخر. لهذا من الخطأ أن نقول أن كل شيء يجب أن يقع تحت القيد والسيطرة. كما هو الحال في إعطاء الحرية المطلقة، وأن الأفضل هو كما يقول المصداق الشيعي (أمر بين أمرين).

الفصل الثالث

أصول المنع والعطاء

المقدّمة

كما ذكرنا أن صلاح الطفل وحتى الكبار يوجب التربية القائمة على المنع والعطاء. نمنعه عن بعض الأمور ونطلقه وفق الضوابط في أمور أخرى.

وفي كل حال يجب أن نستعمل الأسلوب الأوسط (أمر بين أمرين).

الشيء المهم هو أن يكون الاولياء وحتى الأطفال عالمين بسبب كونهم أحراراً وسبب كونهم محدودين. وما هي موارد هذه الحرية وما هي امورها؟

ويجب أن يلاحظ حاصل هذا المنع والعطاء في التحول الإيجابي والرشد والتقدم والسلامة الجسمية والنفسية للأفراد. ويعتبر هذا الخط والفكرة من القواعد الأساسية لأجل إبقاء البشرية ونموّها وتقدم حضارتها.

لو استطعنا جعل الحرية والمنع أمراً باطنياً في ذات الطفل وتحملنا نسبياً إمكانية محدوديته ستتفتح آفاق واسعة لحياته وتزداد إمكانية المحافظة عليه أمام الأخطار والأضرار وسوف تصان حياته الحيوية والنفسية بصورة أكثر.

ضرورة رعاية الأصول

هناك أصول وضوابط في مجال المنع والعطاء من الضروري رعايتها وسنتناول أجزاء مهمة منها مع رعاية الاختصار.

ألف: قواعد المنع:

١ ـ قاعدة عدم المداخلة: إن تعتقدون بأنه لا يمكن للأطفال التدخل في عمل الكبار عليكم احترام هذا المبدأ أيضاً للأطفال، ولا يفترض بكم التدخل في أعمالهم التي لا تؤثر على شخصياتهم ولا على الآخرين. هذه ضرورة اخلاقية تتمثل في عدم تدخل الأولياء في أعمالهم ومسائلهم الخاصة وعدم بعثرة أو تغيير نظام أشيائهم.

٢ ـ الانتباه إلى العمر والنمو: يجب أن تُبنى التربية على التعقل وليس على العاطفة لهذا فمن الضروري أخذ شروط العمر والنمو بنظر الاعتبار والانتباه إلى درجة فهم وإدراك الطفل.

٣ ـ الإقدام من فرد مسؤول: إن كان القصد إيجاد تحديد ما يجب أن يحدث ذلك من قبل فرد مسؤول ومورد احترام الطفل لكي يكون له أسلوب عقلاني وفكر ناضج.

٤ ـ رعاية عزة النفس: لا يجوز أن يكون المنع بالشكل الجارح لشخصية الطفل وعزة نفسه لأنه سيجعل منه فرداً ذليلاً وصغيراً ومعزولاً.

٥ ـ الاعتدال وعدم الإهانة: لا يجوز أن يكون المنع بالصورة التي تؤدي إلى إهانة الطفل وتكون خارجة عن حدود الاعتدال لأن ذلك سيؤدي بالإضافة إلى تحطيم الشخصية، إلى المقاومة أحياناً، بعض الأولياء يبالغ في إذلال الطفل من

أجل فرض سيطرته عليه وتحديده.

٦ ـ عدم منعه بحضور الآخرين: يـجب أن لا يكـون المـنع فـي حـضور الآخرين خصوصاً أقرانه أو أمام الضيوف بصورة تسبب له الخجل، وذلك سيؤثر على ثقته بنفسه.

٧ ـ البديل: لو أردنا أخذ شيء من يد الطفل يجب علينا وضع شيء آخر في اختياره بديلاً عما أخذ منهن وكذلك إن منعناه عن برنامج تلفزيون معين يـجب علينا تشجيعه بمشاهدة برنامجاً آخر أو على الأقل ندعوه لرؤية البوم صور أو ما شابه ذلك.

٨ ـ الحفاظ على أمنه: يجب أن لا يكون المنع بالصورة التي تسبب ضرراً على شخصيته لأن ذلك من الممكن أن يترك آثاراً دائمية، ومن الممكن أن تكون هناك فائدة وقتية من ذلك ولكن آثار الصدمة ستكون أكبر من نفعها.

ب: قاعدة العطاء:

يجب الإشارة إلى بعض الموارد في مجال إعطاء الحرية للطفل منها:

١ ـ قاعدة المعرفة: يجب منحه حرية تتناسب مع مستوى معرفته واطلاعه وإدراكه حول المسائل المحيطة به.

٢ ـ قاعدة المصلحة: من الخطأ أن نعطيه ما يرغب من الحـريات وبكـل مستوى يطلبه والأساس هو النظر إلى مصلحته وهدايته إلى جهة الخير كما يشير الحديث إلى ذلك(١).

٣ ـ رعاية الغد: من الخطأ أن ننظر إلى يوم الطفل فقط لأن الغد بانتظاره.

---

(١) الحديث ج ٣ ص ٧٦.

لهذا من الواجب إعطاؤه الحرية بما يجعله متهيئاً للغد ولا يصاب بضرر أو يواجه أسلوب خاطىء.

٤ ـ بعد التقوى: الحرية حسنة لو اقترنت بالتقوى وحفظ النفس ورعاية الأمر والنهي الإلهي، وهذا الأمر يصدق كذلك على الطفل. ويجب أن يجتنب تحديد الطفل لكونه طفلاً وإنما يجب العكس.

٥ ـ شروط الصلاحية: من الخطأ أن نعطيه حرية دون أن نحرز حسن استخدامها منه. لأن هناك الكثير من الحريات يُساء استغلالها وقد تسبب الصدمة على شخصية وكرامة الطفل والعائلة والمجتمع.

٦ ـ أخذه بنظر الاعتبار: يجب أخذ شخصية الطفل وأفكاره وإحساساته في موضوع الحرية بنظر الاعتبار. وإن أعطيناه الحرية على أساس صلاحه ومصلحته يجب علينا أن لا نشعر بالملل والتعب من ذلك ويجب الالتفات إلى رغباته لأنه سيشعر بقلة قيمته لو أهملنا ذلك.

٧ ـ عدم طلب المقابل: إن شخّصت أن الطفل يجب أن يكون حراً في مورد ما عليك منحه إياها بدون طلب مقابله شيئاً أو تمنّ عليه بذلك.

٨ ـ الاحتراف في أسلوب العطاء: نعطيها إياها أحياناً بأسلوب ساذج وغير علمي وهذا يجعله لا يستذوق ذلك ولا يستثمره، والمفروض أن نمنحه الحرية بصورة تملأه سروراً ونشاطاً.

٩ ـ الجدية بالموضوع: عندما تشخص وجوب إعطاء الحرية للطفل أو وجوب منعها يجب أن يتصف قرارك بالجدية والقاطعية ولكن مع أخذ وسعه في ذلك بنظر الاعتبار وكذلك إمكاناته.

١٠ ـ البعد المنطقي للقضية: يجب أن يُبنى ذلك على أسس وضوابط منطقية ومن الأفضل أن ينال هذا الأسلوب تأييد الطفل القائم على أساس فهمه وإدراكه.

حديث حول الاستبداد[1]

بعض العوائل تستبد في بعض الإجراءات التربوية بحيث تجبره على فعل شيء ما أو تركه مع أن هذا الأمر مهم في تسريع الوصول إلى الهدف ولكنه سيترك آثاراً سلبية كذلك، سوف يؤدي إلى تحطيم شخصية الطفل وحرمانه من لذة حياته المشروعة.

ويشعر الطفل بالصعوبة والتثاقل من استمرار حماية الأولياء والمحافظة عليه وستترك عليه عوامل تؤدي به إلى الركود والتوقف وتعطل ذهنه عن التطور.

يقضي الاستبداد ويعطل الكثير من قدرة الكشف والمعرفة ويُظهره كأنه عبد تابع عاجز في المستقبل حتى عن سحب بساطه من الماء.

هؤلاء الأفراد سيلجأون إلى أسلوب التملق من أجل الحصول على حريتهم أو التذلل أو الدناءة وهذا خلاف حرمة طلاب الحرية. يجب أن يشعر الطفل بالخوف ولكن ليس من استبداد الأولياء وإنما من القانون والمقررات الفكرية والمنطقية.

منطقية الانضباط

ـ يجب اجتناب الإفراط والتفريط في منع وإعطاء الحرية لكي تحصل

(١) سيأتينا فصل مستقل في آخر الكتاب يتناول هذا الموضوع.

الاستعدادات على فرصة للظهور والتجلي.

-المراقبة والسيطرة بالنسبة للطفل تطرح بأسلوب طفولي لكي لا تصيبه عقدة من الممنوعات ولا يساء فهم الحريات.

-يجب إبعاد حياة الطفل عن الرتابة والتكرار الحسن أو القبيح ويجب اقتران الطعم الحلو مع المر واللذة مع الألم لكي يفهم الطعم الحقيقي للحياة.

-السيطرة المناسبة بحيث لا تؤدي بالطفل إلى اليأس من حياته لأن لذلك عواقب وخيمة.

-يجب أن يكون المنع والعطاء موجهاً لكي يتحقق في ظله الابتكار والبناء والرشد والكمال وقبول المسؤولية.

الباب التاسع

الحرية في المراحل المختلفة

يتناول هذا الباب ثلاثة فصول لثلاثة مراحل من عمر الطفل هي:

ـ الفصل الأول: حول السبع الأولى من عمره وحدود حريته فيها، وقد عُرفت بفترة السيادة وقد طُرح في هذا الفصل موضوع إيجاد الحدود اللازمة، وأن فكرة السيادة لا تعني الحرية المطلقة.

ـ الفصل الثاني: وتبحث فيه فترة الطفولة أي السبعة الثانية من عمره التي تبدأ مرحلة الشباب بعد آخر سنة فيها وبعد ذكر خواص هذا العمر تم التطرق إلى مساحة ونوع السيطرة في هذا العمر وطرحنا قواعد هذا الجانب.

ـ الفصل الثالث: تبحث فيه مرحلة الشباب والفتوة وهي السبعة الثالثة من عمره وقد تناول هذا الفصل حاجات هذه المرحلة بعد التطرق إلى خواص تلك الفترة، وكذلك بحثنا أصول وضوابط السيطرة على العطاء والمنع.

الفصل الأوّل

السبعة الأولى

المقدّمة

الحرية أمر اختلط مع شخصية الإنسان بصورة عجيبة ومملوءة بـالأسرار ولا يمكن قتل جذرها حتى تحت أقسى ظروف التربيات واشدها. لا نقصد في تربيتنا أن نقضى على الحرية ونصنع فرداً أسيراً تابعا مئة بالمئة، وأن ما نقصده هو تعديل حدود المنع والحرية وصبّها في قوالبها المناسبة.

تبدأ المراقبة ويشرع التقييد من بداية مراحل الطفل الأولى التي تعتبر من أعظم المراحل وفيها توضع أسس السعادة والتعاسة للحياة، تطبيع الإنسان السريع على العادات الحسنة يبدأ من هنا وستكون باقية إلى الأبد(١) ولهذا توجد تأكيدات كثيرة على هذه المرحلة سواء كانت من قبل الإسلام أو أصحاب الآراء أو المذاهب التربوية والفلسفية.

مظاهر الحرية

تظهر علائم الحرية من البداية، ونشاهد ذلك خلال الثلاثة أشهر الأولى من

(١) العلم في الصغر كالنقش على الحجر. النبي الأكرم ﷺ.

عمر الطفل على شكل تحرك اليد والرجل ومحاولة القيام بالاستناد إلى الصدر واليد أو الرغبة في مسك الأشياء، وإن حاولنا منعه عن ذلك سيرتفع صراخه وبكاؤه لأشعار الناس أن حريته في خطر.

تقوم النكتة الأساسية لحياة الطفل في هذه المرحلة على جلب اللذة ودفع الألم. واختيار الطعام اللذيذ والهروب من مرورة الدواء. يبغي حرية مطلقة في أول أربعة اشهر يزحف إلى الأشياء التي يرغب بها، وفي السنة الأولى أو أقرب من ذلك أحياناً يبدأ عبثه بالأشياء، بعد السنة الثانية يميل إلى أن ينجز أعماله بنفسه، يأكل الطعام، يلبس اللباس، يرتب الألعاب .... وتشتد هذه الرغبة في السنة الثالثة وتصل إلى أوجها في السنة الرابعة.

في السنة الخامسة تبدأ علاقته بجزئيات الأمور ليعلم سرها. ويعتقد في هذا العمر وقبلها بعدم حاجته إلى أمر ونهي الوالدين وهكذا يستمر برنامج حياته إلى الأمام ويقاوم كل الممنوعات الصادرة.

فترة السيادة

يقسم الإسلام فترات التربية إلى ثلاثة مراحل، السبعة الأولى من عمر الطفل ويكون فيها سيد (الولد سيد سبع سنين)[1]، وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن ما يعنيه هذا الحديث هو إطلاق حرية الطفل وعدم التصدي لأي عمل يرغب فيه، في حين أن المسألة خلاف ذلك وأن الإسلام لم يُطلق حرية أياً كان وتحت كل الظروف.

---

(١) الطبرسي. مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.

أما السيادة المعنية هنا هي إعفائه من الواجبات المسؤولة وإن امتنع أحياناً عن عمل فعل طلبناه منه لا يؤاخذ عليه. وقد خصص الإسلام السبعة الثانية للتعليم والمحاسبة والسؤال منه[1].

ويبقى الأساس في ذلك عدم التدخل بشؤونه وخصوصاً في الأعمال التي لا يؤثر بها على نفسه أو على الآخرين. ويا حبذا أن يكون ذلك في جميع الموارد وإن وجدت ضرورة معينة للتدخل فمن الأفضل أن يكون بصورة غير مباشرة ويقتصر دور الأولياء على الإشراف فقط، لأن مرحلة السبعة الأولى مهمة جداً في وضع الأسس وان التدخل في شؤونه أثناء هذه الفترة يؤثر على استقلال وجوده وعلى ثقته بنفسه ويؤخر نموّه. يجب أن يكون طليقاً لكي يبرز عواطفه ونفسه وافكاره، ويقوم بقراءة الشعر وبناء البيت واللعب.

يجب أن ينال اهتمام والديه في مجال الحرية والاستقلال وأن يكون حراً في مسائل تناول الطعام وارتداء الملابس وانتخاب نوع اللعبة والنشاط، والركون إلى الراحة متى ما يشعر بالتعب والنوم، ويجد فرصة للعبث بالأشياء والتجربة والعمل والشيء المهم هو اكتشاف عالمه دون الشعور بالخوف أو القلق.

سلبيات إطلاقه

لا يعني كلامنا السابق عن إطلاقه لحاله لأن هذه الفترة تمتاز بحب الاطلاع ومن الممكن أن يمد يده الى كل شيء لحصول المعرفة وهو خطر عليه.

يتميز الطفل في هذا العمر بالطلب الشديد للحرية وقد يصاحب ذلك بعض

---

(١) مرحلة الطاعة المصدر السابق.

عمر الطفل على شكل تحرك اليد والرجل ومحاولة القيام بالاستناد إلى الصدر واليد أو الرغبة في مسك الأشياء، وإن حاولنا منعه عن ذلك سيرتفع صراخه وبكاؤه لأشعار الناس أن حريته في خطر.

تقوم النكتة الأساسية لحياة الطفل في هذه المرحلة على جلب اللذة ودفع الألم. واختيار الطعام اللذيذ والهروب من مرورة الدواء. يبغي حرية مطلقة في أول أربعة اشهر يزحف إلى الأشياء التي يرغب بها، وفي السنة الأولى أو أقرب من ذلك أحياناً يبدأ عبثه بالأشياء، بعد السنة الثانية يميل إلى أن ينجز أعماله بنفسه، يأكل الطعام، يلبس اللباس، يرتب الألعاب .... وتشتد هذه الرغبة في السنة الثالثة وتصل إلى أوجها في السنة الرابعة.

في السنة الخامسة تبدأ علاقته بجزئيات الأمور ليعلم سرها. ويعتقد في هذا العمر وقبلها بعدم حاجته إلى أمر ونهي الوالدين وهكذا يستمر برنامج حياته إلى الأمام ويقاوم كل الممنوعات الصادرة.

فترة السيادة

يقسم الإسلام فترات التربية إلى ثلاثة مراحل، السبعة الأولى من عمر الطفل ويكون فيها سيد (الولد سيد سبع سنين)[١]، وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن ما يعنيه هذا الحديث هو إطلاق حرية الطفل وعدم التصدي لأي عمل يرغب فيه، في حين أن المسألة خلاف ذلك وأن الإسلام لم يُطلق حرية أياً كان وتحت كل الظروف.

---

(١) الطبرسي. مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.

أما السيادة المعنية هنا هي إعفائه من الواجبات المسؤولة وإن امتنع أحياناً عن عمل فعل طلبناه منه لا يؤاخذ عليه. وقد خصص الإسلام السبعة الثانية للتعليم والمحاسبة والسؤال منه(١).

ويبقى الأساس في ذلك عدم التدخل بشؤونه وخصوصاً في الأعمال التي لا يؤثر بها على نفسه أو على الآخرين. ويا حبذا أن يكون ذلك في جميع الموارد وإن وجدت ضرورة معينة للتدخل فمن الأفضل أن يكون بصورة غير مباشرة ويقتصر دور الأولياء على الإشراف فقط، لأن مرحلة السبعة الأولى مهمة جداً في وضع الأسس وان التدخل في شؤونه أثناء هذه الفترة يؤثر على استقلال وجوده وعلى ثقته بنفسه ويؤخر نموّه. يجب أن يكون طليقاً لكي يبرز عواطفه ونفسه وافكاره، ويقوم بقراءة الشعر وبناء البيت واللعب.

يجب أن ينال اهتمام والديه في مجال الحرية والاستقلال وأن يكون حراً في مسائل تناول الطعام وارتداء الملابس وانتخاب نوع اللعبة والنشاط، والركون إلى الراحة متى ما يشعر بالتعب والنوم، ويجد فرصة للعبث بالأشياء والتجربة والعمل والشيء المهم هو اكتشاف عالمه دون الشعور بالخوف أو القلق.

سلبيات إطلاقه

لا يعني كلامنا السابق عن إطلاقه لحاله لأن هذه الفترة تمتاز بحب الاطلاع ومن الممكن أن يمد يده الى كل شيء لحصول المعرفة وهو خطر عليه.

يتميز الطفل في هذا العمر بالطلب الشديد للحرية وقد يصاحب ذلك بعض

---

(١) مرحلة الطاعة المصدر السابق.

التجاوزات والتعديات ويسعى الطفل هنا إلى الحرية اللامقيدة، وإن اعتاد على ذلك في المستقبل سوف يُسبب المتاعب للأبوين، لأنه لو فُسح له المجال سيسعى إلى تحقيق كل رغباته وأهوائه وإن منع عن ذلك سيصدر منه السب والفحش والاستهزاء. ولهذا يجب ان يكون حراً ولكن ليس غير مقيد، يحق له الركض والقفز ولمس الأشياء ولكن ليس كما يرغب هو.

يجب اتخاذ التدابير اللازمة لتوجيهه إلى الجهة المناسبة وجعله يستثمر حريته بأحسن وجه. وتمرين ذلك يجب أن يبدأ في هذه السنين. تؤكد التحقيقات العلمية إلى أن البناء بعد هذه المرحلة سيكون مصحوباً بالمشاكل والصعوبات خصوصاً للفرد الذي استأنس بهذا النوع من الحرية.

ضرورة السيطرة

يحمل الطفل مواصفات عقلية وفكرية خاصة لا يمكنه معها تشخيص مصلحته، وتؤكد بعض المذاهب[1] على أن للحرية المطلقة نتائج غير محمودة لا يقف إلى جانبها حتى من يدعي بها. الكثير من الأطفال ذهبوا ضحية حريتهم المطلقة وأصيبوا بنقص عضو أو احتراق أو التكهرب أو الاختناق تحت الماء، وكل ذلك مخالف لخط مسؤولية الآباء.

أما مبررات إجراء السيطرة ومعقوليتها تقود إلى ضعف الطفل في فترة الطفولة، وعدم تقيّده في محيط حياته وعدم تمييزه للخير عن الشر، وعدم خوفه من الأشياء وعدم محدودية رغبته، والإباحية، والاعتياد والتجرأ. «جرأة الولد

---

(١) مذهب أصالة الطبيعة.

على والده في صغره تدعو إلى العقوق في كبره»[١].

للمنع فوائد عديدة منها حفظ وجود الأطفال الذين يُحيط بهم، ويعتبر ذلك من أحد أبعاد صلاحية الآباء في موضوع التربية والتوفيق في السيطرة[٢].

وبالنظر للجهل والغفلة والطيش الذي يتصف به الطفل نراه في معرض الخطر دائماً حتى أنه قد يكون أمامه ولا يشاهده، والأطفال من ٢ ـ ٥ سنة يكون الخطر عليهم أشد بمرات من الأعمار الباقية وقد يتسبب عن ذلك نقص في الأعضاء[٣].

موقف الطفل

لا شك أن موقفه أمام المنع سيتمثل بالمقاومة والثرثرة والصراخ والعويل، ولكن رد فعل الأولياء مقابل ذلك لا يمكن أن يتعدى حفظ مصالح ومستقبل الطفل والرغبة الخيّرة له.

ينفعل الأطفال أمام أي مانع يحول دون رغباتهم ويصرخ أحياناً ويقاوم ويتحجج ويتشبث بكل السبل لاستحصال حريته، ويصبح لجوجاً معانداً و... في مقابل كل ذلك يجب أن يكون الآباء مدبرين ومتسلطين على أنفسهم ويقابلونه بالهدوء والليونة والمداراة لسد طريق الخطر عنه وإن لم ينفع ذلك هناك أساليب أخرى[٤].

---

(١) تحف العقول ابن شعبة الحراني ص ٣٩٨.

(٢) الحديث ج ١ ص ٢٩٦.

(٣) آلسترو، علم نفس الطفل ج ١.

(٤) راجع الباب ١٢ في عوامل المنع (آخر الكتاب).

من الصعوبة تطابق الطفل مع المقررات القاسية أو استقبال أوامر والديه ونهيهما غير المحسوبة. ومن السلبيات التي تظهر عدم تعادل وتناسق الطفل مع أوامر والديه. يلجأ الطفل أحياناً إلى البكاء لتحقيق رغباته لهذا يجب أن يكون الآباء حذرين من الاستسلام له وترك الأمور الأساسية والبناءة لمستقبله.

من الطبيعي أن تكون المقاومات جدّية وشديدة في بداية العمل ولكنه عندما يستنتج من ذلك حب الخير له نراه يُسلم لإرادتهم تدريجياً كلما كبر سنه وسيصرف النظر عن جزء من رغباته وتوقعاته ولكن هذا الأمر لا يُفترض أن يؤدي بالوالدين إلى الاستبداد وفرض القوة.

قواعد المنع

ما هو مستوى الحرية التي يجب منحها للأطفال؟ الجواب هو بمستوى قدرته ولياقته لاستعمالها بصورة مشروعة وعدم تسبب الأضرار لنفسه. وأما قواعد المنع فهي:

- يجب أن تتزامن مع إمكانية تشخيص الطفل لابتسامة الأم أو غضبها وهذا يحدث عادةً في الأربع أشهر الأولى.

- لو قررنا حرمانه من شيء فعلينا إطلاقه من جانب آخر أو إعطائه البديل.

- يجب أن تتفاوت مستويات المنع بتفاوت العمر كما هو الحال في مستويات الحرية وبصورة يمكنه استيعاب ذلك والقبول به.

- لو كان المنع مبني على الدليل والمنطق سيكون أكثر تأثيراً بلا شك من أسلوب التهديد والأمر.

- اجتناب غاية الانتقام من خلال وضع الممنوعات في طريقه لأن ذلك يسبب له العقد.

- يعتمد الآباء ذلك لإثارته وجعله يصرخ لكي يضحك منه ولهذا آثار وصدمات كثيرة جداً، ولا تنس أن الطفل يعتبر مزاحنا جدّاً.

- عندما تعتقد بضرورة التدخل في أمر ما فعليك استعمال أسلوب طفولي لإفهامه.

- يجب الانتباه إلى أن الطفل كلما كان أقل سناً كلما كان قبوله للأوامر الملائمة أكثر وأسهل.

الفصل الثاني

فترة الطفولة

المقدّمة

تبدأ المرحلة الثانية من عمر الطفل في السبعة الثانية وتنتهي في الأربعة عشر عام، وتعتبر هذه الفترة أكثر أهمية من الفترة السابقة لأنه يفترض به تعلم القواعد الأساسية للحياة والتي تستمر معه حتى نهاية عمره، يجتاز الطفل في هذا العمر مرحلتي الابتدائية والمتوسطة والتي تتخللها أبعاد أساسية.

لحياته لون وصفة اجتماعية. سيتعرف على طلاب المدرسة ومجموعة اللعب، ويحدث أثنائها التبادل الثقافي، يتحسس الآباء والمربون بصدد مصيره ولا يمكنهم إهمال الوضع لأن هذه المرحلة محددة للمصير وتُعتبر مرحلة اكتساب الآداب، هنالك الكثير من الأسس الحياتية بُنيت في الفترة السابقة وتحتاج هنا إلى التثبيت، ولا ننسى بأنها تمتاز بقابلية الطفل على الانعطاف أكثر من المراحل الآتية لهذا من الضروري تحكيم أسس سعادته.

خصوصيات السبعة الثانية

بنظرة جامعة وكلية يجب التطرق إلى المراحل المختلفة لهذا العمر. لو قسمنا

السنين إلى ستة مراحل ستكون الفترات التي تتعاقب في هذه المرحلة بالشكل التالي:

ـ ٧ ـ ٩ سنة فترة التفكر المنطقي، ويصبح الطفل من أهل الفكر ويحاول فهم علاقة العلة والمعلول[١].

ـ ٩ ـ ١١ سنة فترة قبول الدليل، لو اردنا الاستدلال على أمر ما فإنه سيوافق على دليلنا ولكنه لا يستطيع الإتيان بالدليل للآخرين[٢].

ـ ١١ ـ ١٤ سنة فترة الصحوات[٣] وللبعض تكون فترة النضوج الجنسي، وتؤثر في مجالات النفس والعائلة والمجتمع والبلوغ والمذاهب ونوع العلاقات الجارية حوله وحتى في مجال اليقظة العاطفية والذهنية والروحية و....

ـ في حدود السنة الثامنة يواجه مصاعب قليلة من خلال تحديده ويجب أن تكون المراقبة عليه لكي لا يُسيء استغلال ذلك. يجب أن يعتاد في هذا السن وحتى قبل هذا على صرف النظر عن جزء من رغباته في سبيل المجتمع وأن يكون حليماً صابراً ومتحملاً.

ـ ابتداء من عمر الحادي عشر تظهر عليه علامات الإصرار على طلب الحرية ويرغب أن يذهب إلى خارج البيت بدون إجازة، ويشتري لنفسه ويؤمن ما يحتاجه.

الطفل مغرور وطموح. يتصور بانه مركز العالم ومن الممكن أن يُخرجه

---

(١) مراحل التربية: شكوهي، فصل الطفل.

(٢) بحوث الكاتب.

(٣) معرفة هداية وتربية الشباب والفتيان. للكاتب: فصل في الخصائص والخصوصيات.

الغرور من حالة الاعتدال. يكون عادة في حالة رضا عن نفسه وتكبر وتدلل وهذا مقدمة لانفصاله تدريجياً عن الآباء لكي يحصل على الاستقلال في المستقبل.

ويمثل هذا العمر أيضاً مرحلة الرفاقة وكسب الرفيق الذي من الممكن أن يكون بنفعه واضراره[١].

فوائد المراقبة

مع أن تلك الرغبات تُشير إلى الرشد ولكن يجب ان يرافقها الاحتياط وتصاحبها المراقبة، وان متابعة سلوك الفرد في هذه المرحلة الخطرة ضروري جداً لان هناك أضرار جدية تهدده فيها بالإضافة إلى ازدياد الوسوسات في داخله ولهذا من الممكن أن يسبب الضرر لنفسه الأمر المهم جداً هو أن ملاحظة ظروفه ومقتضيات حياته بصورة دقيقة جداً وأن نتفكر بالعوامل التي تكوّن أساس فكره وسلوكه وأن نقيّم أعماله ونتقدم بصورة منطقية إلى الأمام لهدايته.

لاشك أنه سيصل إلى المراحل الآتية في ظل الرشد الفكري وكسب التجارب والوعي اللازم ويكون فيها هو المسيطر[٢] على نفسه، ولكن للوصل إلى تلك المرحلة بقي امامه زمن طويل، ويجب إجراء برنامجين بصدده هما.

١ ـ إعطائه المعلومات اللازمة لنموّه بصورة رسمية ودراسية أو عن طريق وضع القدوة في طريقه.

٢ ـ نطلب منه التنفيذ والعمل لكي يعتاد على إرادتنا في مجالات التنمية

(١) فلسفة التربية اسنيدرس: فصل تقارير المدرسة.

(٢) مرحلة السيطرة الذاتية.

والتربية ولا يتثاقل من تحديده ووضع القيود النافعة له.

لا شكّ أنه يُسعى في التربية إلى أن يكون التعليم والأمر والنهي عادي جداً وصميمي وتحل مسائله وصعوباته بصورة منطقية وحميمة ولا داعي لاستعمال أسلوب القوة و القدرة. تطبيق الحدود يجب أن ينسجم مع رغباته، وان إجراء تمرين اتخاذ القرار يكون بعهدته ولا دور للأولياء سوى الإشراف والهداية.

مساحة السيطرة

مساحتها واسعة جداً وتشمل جميع الأمور والحالات والحركات التي تصدر منه والتي توجب خير ومصلحة الفرد والمجتمع. منها: الذهاب والإياب والمعاشرات وطريقة تعامله مع الأصغر منه والأكبر وكذلك وضعه العبادي والتطبيقي الذي سيكون مقدمة لنموّه.

نعلم بأن وجوب الصلاة يكون في سن البلوغ أو التكليف ولكن الحديث يؤكد: (مُروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعاً)[١].

وكذلك الحالة بالنسبة للصيام[٢] فإن التمرن عليه بصيام فترات قصار من اليوم. ويبدأ ذلك ابتداءً من السبع سنين مع الاحتفاظ والاستمرار بالمراقبة. يطمح الطفل إلى الاستقلال خصوصاً في السبعة الأولى، لأنه أمضى فترة كانت حريته فيها واسعة جداً واعتاد على ذلك، ولكن هذا الأمر يجب أن يتحول إلى صورة الطموح الاجتماعي، وخير قدوة له في هذا السبيل هم الأولياء ويجب أن يشاهد

---

(١) الحديث ج ٣ ص ٨١.

(٢) مثل صيام الصبح إلى الظهر أو الظهر إلى العصر.

ذلك فيهم. تُشير بحوث العلماء إلى أن الأطفال الذين كانت لهم حريات غير محدودة جعلت منهم أناساً مفرطين ومتهورين وأدت بهم إلى السقوط الأخلاقي أو الانحطاط.

حدد الإسلام حدوداً لحرية الأجيال كما جاء في الحديث: (... وعبد سبع سنين)[1]. ونحن لا نقلق من ذلك لأنه لا يقتصر على منع الأضرار عنه فقط وإنما يجعله أطهر وأكثر تهذيباً ويعدّ له أرضية لحياة مفيدة ومثمرة ولاستثمار أفضل من الحرية.

في باب المعاشرة

يعيش الطفل بعد ولادته الوحدة وغالباً ما يلعب مع نفسه. انظر إلى الطفل باستمرار ستراه بحالة استراحة أو مستيقظاً ويلعب بأصابعه أو يرفع قديمه إلى الأعلى وينظر إلى أصابع قدميه، وبعد مرور سنة يزداد تعلقه وأنسه بوالديه. وحتى الثالث من عمره من الممكن أن نراه يلعب مع طفل أو طفلين وإلى السادسة من عمره يزداد عدد رفاق لعبه إلى الخمسة وهكذا يزداد العدد تدريجياً مع زيادة العمر حتى يبلغ الحادية عشر من عمره وتسمى هذه المرحلة بمرحلة المعاشرة بحيث يمكنه الارتباط حتى مع أكثر من عشرة أصدقاء ورفاق[2].

يجب أن يختص قسم من سيطرتنا لهذه المعاشرة وأسلوبها لأن الأصدقاء

---

(١) مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.

(٢) Camaraderie

سبب للتطور أو الانحطاط: ﴿يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً﴾[1]. يجب أن يتصف الأصدقاء بالاعتدال وان تكون هناك رقابة للعلاقات لأن الألفة الشديدة تؤدي أحياناً إلى طرق ضيقة. من الطبيعي أن يكون هناك حق طبيعي للطفل في دعوة أصدقائه إلى البيت واللعب معهم فترة أو يدرسون سوية ولكن هذا الارتباط المحدود يحتاج أيضاً إلى الرقابة وخصوصاً في مرحلة ما بعد الثماني سنين وفي مرحلة البلوغ.

نوع السيطرة

تُفضل السيطرة غير المباشرة والمتابعة الحثيثة والقريبة جداً ولكن عندما تستوجب المصلحة لا مانع من جعلها علنية ومباشرة. ويجب مواجهة اعتراض الطفل بالأسلوب الملائم وإفهامه أن هذه السيطرة سترفع منه متى ما بلغ مرحلة السيطرة الذاتية وتوفرت شروط الصلاحية واللياقة فيه.

كما ذكرنا سابقاً عندما نمنع الطفل عن أمر يجب أن يكون أسلوب ذلك بالشكل الذي يجعل الطفل واعياً إلى العواقب المفيدة لذلك المنع أو داركاً لأضرار عدمه ونقنعه بأن ذلك في صلاحه وخيره دون أن يعود على الأولياء بنفع خاص أو قصد خاص سوى حب الخير له ولمصلحته.

كما ذكر أن الطفل في التاسعة من عمره يدخل مرحلة قبول البرهان والدليل وأن استدلال الأبوان في تحديده سيكون مقنعاً له. سيتكون منطقهم من تجارب الآخرين ويكون أسلوب الإلقاء مؤثر فيه بشدة وحتى في بعض الموارد يجب القول (لكوننا نحبك لا نسمح لك بفعل هذا).

---

(١) الفرقان ٢٨.

قواعد السيطرة في سنين الطفول (السبعة الثانية)

ـ لا ننسى أن التحديد يختلف عن سلب الحرية واستبداد الشخص وخنقه.

ـ يجب مراقبته والسيطرة عليه ونحاول أن لا نتدخل في أعماله البسيطة وعديمة الضرر.

ـ يجب أن لا يتجاوز التحديد الحد المسموح بحيث يجبره على الكذب والتملق لتأمين حريته.

ـ يجب إعطائه دروساً في الصبر والتحمل عن طريق الإلقاء والتلقين والقدوة.

ـ يجب زيادة مستوى الحرية بنفس زيادة مستوى رشده وصلاحيته.

ـ يجب توضيح دليل زيادة الحرية أو التحديد بأسلوب طفولي واضح له.

ـ اشر له عن طريق بعض المواقف بأن له حدوداً أيضاً ومتفق عليها.

ـ لا يفوتنا ذكر الأفراد الذين كانت حريتهم ناقصة سيكونون في السنين اللاحقة مستبدون ومقاومون.

الفصل الثالث

الفتوة والشباب

المقدّمة

تمتد مسؤولية الأبوين المباشرة على الطفل إلى سن الحادية والعشرين من عمره. حيث تستمر مراقبتهم لنموه ورشده وتربيته وتبقى ملاحظتهم ونظارتهم فإن أنجزوا تكليفهم بصورة حسنة فمن الطبيعي أن يكون لهم أجر على ذلك، وإن انحرف الأبناء عن طريق الخير والصلاح فإن مسؤوليتهم تكون مشابهة لمسؤولية أي مسلم باتجاه المسلم الآخر[1].

أما بحثنا هنا سيدور حول المرحلة الثالثة والتي تشمل السبعة الثالثة من عمر الطفل وتقسم إلى مرحلتين الأولى من ١٤ ـ ١٨ وتسمى مرحلة الشباب والمرحلة الثانية إلى عمر (٢١) وتسمى مرحلة الفتوة، إن اعتبرنا السبعة الأولى فترة وضع أسس التربية والسبعة الثانية فترة التشكيل، سنعتبر المرحلة الثالثة فترة القوامة والاستحكام. وتمتد هذه الفترة من نهاية السنة الرابعة عشر وحتى بداية السنة الحادية والعشرين. تمتاز مواقف الأولياء في فترة الشباب بالكثافة والكثرة، وأن طريقة ونوع التربية ستكون متفاوتة بصورة أساسية عن سابقتيها. الشعور

(١) مكارم الأخلاق ـ الطبرسي، فصل ما يتعلق بالأولاد.

بالقلق خلال هذه الفترات بسبب رفضهم للحدود وتهديدهم من قبل المخاطر في جميع الاتجاهات ولهذا فإنه في النهاية إما أن يكون منحرفاً أو مستقيماً، وقد أمرنا الله تعالى بحمايتهم وهدايتهم. (فإنهم مسؤولون عنهم)[١].

خصوصيات العمر

يعتبر موضوع معرفة خصوصيات العمر من الأمور المهمة في تربية وهداية الجيل وفي إعطاء أو منع الحرية عنهم. وبالنظر لصعوبة ذكر جميع الموارد المتعلقة، لهذا نختصر الأمر على بعضها.

- هذا العمر عمر إحساس وعاطفة وغالباً ما تكون المواقف عاطفية أكثر من كونها عقلية.
- عمر اليقظة والظهور الجنسي والتي يسبب انحرافها زوال كرامة الإنسان[٢].
- عمر الارتباط الشديد مع الأصدقاء والتي تسبب احياناً الأضرار[٣].
- عمر الغرور وهذا يؤدي إلى الاضطراب وعدم قبول الأوامر والنواهي.
- عمر التخريب والتهاجم باتجاه من يريد أن يقف حائلاً دون رغباتهم.
- عمر التحرر والخروج من سلطة الآباء وأن أغلب أنواع الفرار نابعة من المنع[٤].

---

(١) المصدر السابق عن النبي ﷺ.

(٢) غرر الحكم حديث ٤٨٨٥ عن الإمام علي عليه السلام.

(٣) الفرقان ٢٨.

(٤) أعلى نسبة للفرار في عمر ١٨.

ـ عمر الانتقام وبروز عقد فترة الطفولة والصبا وهذا مانع آخر.

ـ وبالتالي فإنه عمر الهيجان وغالباً ما تنشب خلافات بين الأولياء وبين الأبناء في هذه المرحلة وحتى أن أولياء الأمور السياسية يعتبرون هذا العمر مزاحم لهم.

سلوكهم

يتميز سلوكهم بالاعتراض والمقاومة والتأكيد على التحرر من قيود الأولياء لهذا تزداد الصعوبات في هذه المرحلة وتكثر التوقعات. يواجهون الانتقادات الحضورية بشدة وغالباً ما يطغى على موقفهم مزيج من التهور والبطولة.

غلبة العاطفة على العقل يؤدي إلى التسرع، وأما الأخطاء الناشئة منه ستكون دليلاً آخر على ضرورة السيطرة لمنعهم من عبودية الأهواء والرغبات.

غالباً ما يكون سلوكهم أمام أوليائهم معذّب وهذا يؤدي إلى حزن وقلق الأولياء. ما يشاهد في سلوكهم هو الرغبات والذكاء وليس التفكير بالمستقبل والمصلحة وهذا يثبت أن أجيالنا الشابة وخصوصاً بالأعمار (٢١ سنة) لم يبلغوا لحد الآن مرحلة النضوج الفكري والعقلي الكامل ويجب أن يرافقهم العقل المنفصل والدليل لهدايتهم[١]. يحتاج هؤلاء إلى الاختبار التدريجي لكي يردوا عالم الكبار والحرية المحدودة والاستقلال. يصل شعور التحرر إلى أقصاه بين السنين ١٢ ـ ١٨، والأساس المهم هنا هو السيطرة والرقابة غير المباشرة وعند الضرورة تصبح مباشرة.

---

(١) غلبة العاطفة على العقل.

حاجات هذه المرحلة

مع نمو الأبناء ووصولهم إلى مرحلة الشباب والفتوة فإنهم بحاجة إلى تأمين أكثر من الماضي وهذا يشمل جميع المجالات من الغذاء واللباس والمصروفات الشخصية والحرية والأمن والنظافة و.... ويجب على الوالدين هنا تضمين ذلك.

بعض الأولياء يهمل الابن على اساس أنه لا يزال جاهلاً وليس له إدراك كاف ويحرمه من حقه في إثبات الوجود وسط المحيط العائلي في حين أن هذا خطأ فاحش في الثقافة الإسلامية لأن الإسلام يعتبر هذه الفترة مرحلة وزارة[١]، والوزير في الواقع له حق الاشتراك في الأمرو وإبداء الرأي.

يحتاج هنا إلى تمرين قبول المسؤولية لأنه من الآن فصاعداً سيكون عضواً من أعضاء المجتمع الذي سيعيش فيه وهذا ما يحتاج إلى محيط مقيّد بالكامل ومسيطر عليه لكي يحصل نمو هذا الشعور وكذلك امتزاج العواطف والأحاسيس مع الجوانب العقلية.

يحتاج إلى إظهار ذوقه بالمستوى الذي لا يزاحم الآخرين ويزاحم نفسه وكذلك عدم مخالفته للضوابط الشرعية بالإضافة إلى ذلك فهو بحاجة إلى اختبار نفسه في هذا المجال.

الكثير من الشبان يلصقون صور الأبطال والمناظر الطبيعية والأوراق الملونة على الحائط، وهذا ما يخالف دائماً ذوق الأولياء ولكن رأينا هو أنه ما دام هذا الأمر لا يسبب الضرر فليس من الضروري الوقوف أمامه، وفي المواقع التي يحتمل فيها الضرر يجب توضيح ذلك لهم بأسلوب مملوء بالصفاء والمودة ومن الأفضل أن يحدث ذلك في السر.

---

(١) ... ووزير سبع سنين، الطبرسي، مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.

أساس الروابط

كما ذكر أن اساس الروابط في هذه المرحلة وجود التفاهم مع الشباب والفتيان وإبداء الصميمية لهم والصفاء وإظهار حب الخير، الظروف الباطنية للجيل ليست بالمستوى الذي يحتمل القساوة. أو الاستبداد في تحديدهم لأن ذلك قد يؤدي إلى المقاومة والطغيان والوصول إلى طريق مسدود.

تعتبر الوصايا الهادفة لخيره في مورد تحفيزه على تمرين تملك النفس وإدارة الذات وضبط الأهواء خطوة مهمة في هذا المجال، لأنه في ظرف خاص ويوجب عدم اعتباره طفلاً وإنما جليس ونديم أو حسب تعبير الإسلام وزير[(١)]. ويجب اصطحابه والمسك بيده والذهاب معاً إلى المجالس والمحافل، ولكي يرافقك عليك أن تتكلم بلغته وحسب ذوقه[(٢)]. تكلم عن مستقبله وزواجه وحياته وعظمته والشعور بالافتخار ويمكنك طرح ما تريد خلال ذلك.

نوع السيطرة على الشباب والفتيان

كما ذكرنا فان نوعها هو الأسلوب غير المباشر بالشكل الذي لا يشعر بالتثاقل منه، ومن الحقائق التي يجب دركها هي أن الشاب والفتى مغرور ومتعصب لشخصيته وأن رأى رقابة عليه فإنه سينزعج من ذلك ويُبدي رد فعل معاكس.

الثورة عليهم لإخضاعهم للسيطرة لا يُصلحهم وقد يؤدي إلى طغيانهم أو فرارهم أو العمل بالسر وهذه مشكلة أخرى، وأن الوقاحات والسلبيات التي

(١) مستدرك الوسائل، النوري ج ٢ ص ٢٤٣.

(٢) عالم الشباب يستأنس بالأحلام.

تسبب الضرر ناتجة من ذلك الأسلوب. نعم يجب إعطاء الحق للآباء والأمهات بأنهم يتوقعون الكثير من أبنائهم لأنهم تحملوا المصاعب والآلام لأجلهم، ويطمحون إلى أبناء مطيعين ولكن إن كان الهدف هو الإصلاح فمن المفروض أن يصرفوا النظر عن هذه التوقعات وأن يسلكوا طريقاً يحافظ على ارتباط الأبناء بهم، يجب أن نتذكر دائماً أنه لو انقطعت الرابطة فإنهم سيلجأون إلى شخص للارتباط معه؟ وهل هناك من هو أحرص من الأولياء عليه؟

قواعد السيطرة

ذكرنا نكات في الفصل السابق ولكن لأهمية الموضوع نضيف عليه هنا شيئاً آخر:

ـ السيطرة والرقابة تتبدل تدريجياً إلى الرقابة البعيدة وليس الأمر والنهي المباشر.

ـ تكون الغاية تقديم العون وليس الإفشاء أو اختبار القوة.

ـ يجب التحمل لأنها فترة عابرة وسريعة المرور.

ـ اسمح له اثناء الرقابة والتوجيه من المشاركة بالرأي في الحياة المشتركة.

ـ الحنان والحب الشديد لا يؤدي إلى الانفلات والأنانية.

ـ لا تواجه طغيانه وعصيانه وغضبه بالمثل بل السكوت المؤقت وترك المكان لكي تعطيه فرصة تذكر الخطأ.

ـ القاعدة الأساسية في أعمال المحدودية وإعطاء الحرية هو وجوب تركه بعد سن الحادية والعشرين لكي يصبح موجوداً مستقلاً ومعتمداً على نفسه. ويجب الوقوف إلى جانبه في بناء حياة سلمية له.

الباب العاشر

المشرفين على الحرية

تعرض بحوث هذا الباب في فصول خمسة:

ـ الأوّل: تحت عنوان الوالدين، وجاء فيه بعد ذكر المقدّمة ضرورة تعيين الضوابط من قبل الوالدين، وكذلك الرقابة على التنفيذ، ولزوم التدخل في بعض الموارد، ثم نتطرق إلى حدود ما نتوقعه من الطفل، وبعد ذلك قواعد الإشراف والنرقابة.

ـ الثاني: المعلمين، وجاء فيه دور المعلمين والمدرسة في الإشراف وضرورة وضع البرامج وتعين الضوابط والمراقبة على الإجراء وفي نفس الوقت مراعاة الود والصفاء.

ـ الثالث: المجتمع والدولة، وجاء فيه توضيح دور العوامل الاجتماعية، والناس والأصدقاء، القدوات الاجتماعية، ومراقبة الناس، والانسجامات.

ـ الرابع: الفرد، وجاء فيه دور الفرد في السيطرة على نفسه، وأن شرط موفقيته في ذلك عبارة عن الوعي والإيمان وعزة النفس والثقة بها.

ـ الخامس: قواعد الإشراف وذُكر فيه قاعدة الهداية، والمحيط، والمنطقية في منع بعض الموارد، والإخلاص في العمل، مع ذكر بعض الموارد الأخرى.

الفصل الأوّل

الوالدين

المقدّمة

المؤسسة الأساسية للتربية هي العائلة والتي تتحمل جميع أبعاد وجود الإنسان. العائلة مسؤولة عن حفظ سلامة وكرامة الأطفال[1] بالإضافة إلى واجبات متنوعة أخرى مثل السعي إلى علوّ الطفل ونموّه وبناءه وفعاليته.

الطفل أمانة إلهية لدى الوالدين والمربين والناس والدولة وحتى لدى شخصه. لديه حق على الجميع ومن الواجب عليهم مراعاة ذلك وتوفير الأمن وراحة البال وموجبات الكمال له وهذه بلا شك مسؤولية معقدة، ونود الإشارة إلى أن انتاج النسل أمر يسير ولكن تربية مشكلة.

الحرية المفرطة

لاشكّ في أن جميع الأولياء يعشقون أبناءهم، لكن البعض يُفرّط في ذلك مما يسبب له الأضرار. ويبالغ في إطلاق حريته ويرفعون شعار (دعه يفعل ما

---

(١) فإنك مسؤول عما ولّيته، رسالة الحقوق للإمام السجاد عليه السلام.

يشاء)!.

يغفل هؤلاء أن الحرية المطلقة في البيت تؤدي إلى التحلل في المستقبل وإلى التوقع الكثير وهذا ما سيجعله يواجه عوامل وموانع نموّه.

هذه التربية الخاطئة للآباء تجعلهم يوجدون قوة فوق رؤوسهم ومن ثم يعجزون عن مماشات رغباتها وطلباتها.

التربية أمر ضروري ولكن الحب المفرط يؤدي إلى الضرر، وأن الأخطار التى تقع في الفترات اللاحقة ناشئة من الأساليب غير المناسبة في الحياة.

يطمح الأولياء من خلال الحرية المطلقة إلى راحة أبنائهم وسعادتهم ونشاطهم ولكن الحال هو أن هذا الأمر يؤدي إلى تحطيم الأسس الأخلاقية والشخصية.

تعيين الضوابط

تؤدي التربية الصحيحة إلى العيش وفق الضوابط، بعبارة أخرى يرفع علم الحرية في كل بيت ولكنه مكتوب عليه لا يحق للأعضاء التصرف بما يشاؤون ويجب أن تكون هناك قوانين ومقررات حاكمة في العائلة، والجميع مكلّف بتطبيقها وحتى الوالدين، لكي لا يشعر الطفل بثنائية المقررات. ان اعتبار الأولياء انفسهم فوق القانون يُسبب التزلزل في وجود الطفال بحيث يدفعهم إلى التجاوز على جميع الضوابط ويتهورون في سلوكياتهم عندما يسمح لهم الظرف بذلك.

من الأمور المهمة أيضاً توضيح بعض الضوابط القابلة للفهم من قبل الأطفال أو يُطلب منهم المشاركة في تعيين الضوابط والمقررات وتقديم العون للأولياء في

هذا المجال لأنه من الطبيعي أنهم لو قبلوا بأمر وهم واعين له سيكون ذلك عاملاً ودافعاً يساعد على نموّهم وحفظ شخصيتهم.

مراقبة التنفيذ

الضوابط المعيّنة للطفل في البيت يجب تطبيقها. ومن الضروري أن يراقب الأولياء ذلك وأن يراعوا موازين الحق والعدل والفضيلة.

إن تعرضت أفضل القوانين وأحسنها للإهمال أو عدم الرقابة في التنفيذ فإنها ستصبح مهملة وعديمة الفائدة ويتساوى عدمها ووجودها.

لقد اعتبرنا الأولياء هنا من المراقبين بسبب مسؤوليتهم الكبيرة اتجاه أطفالهم وهي عبارة عن تعهد إلهي لتضمين سلامة ونمو جسم وروح الطفل، بالإضافة إلى إبعادهم عن الفوضى وعدم الانضباط، وباعتقادنا أن الحرية تتطلب محافظ وضابط ولا يمكن أن يكون هناك بديلاً عن الآباء والأمهات في هذا المجال.

من الأمور المهمة في إجراء الرقابة هي حسن ظن الابن بوالديه، وقبوله لأوامرهما من خلال الحب والمودة، لأنه لو كان تصور الطفل عنهما سلبياً كأن يتصفوا بالاستبداد فإن لذلك ستكون عواقب وخيمة خصوصاً إن كانت أساليبهم تؤدي إلى الاختناق والقضاء على الحرية فإن ذلك سيكون سبباً في انحراف تربيتهم وثبوت الشر في أنفسهم والعصيان، وكل ذلك يؤدي إلى تزلزل عزة الطفلة وثقته بنفسه ومكانته وشخصيته.

فائدة التدخل: مع جميع العنايات الموجودة لحفظ استقلال وحرمة

لشخصية الطفل. من الضروري جداً أن يتدخل الأولياء في بعض أموره الضرورية أو عندما يتجه إلى الخطر وهو لا يعلم بذلك. أو احتمال وجود الضرر للآخرين من خلال عمله. بالإضافة إلى ذلك عندما يُتوقع صدور ما يُخالف الشرع أو القانون منه. يوجب علينا ذلك التدخل في اعماله ووضع الحواجز أمام طريقه.

هناك حالة أخرى تحتاج إلى التدخل: وهي عندما يريد الوالدان مساعدته في معرفة المحيط المجاور له وتشخيص موجبات رشده وزيادة تجاربه.

وكذلك عندما يعزمون على إدخال مفهوم مهم في ذهنه ويعلّمونه كيفية تحليل المسائل وتجزئتها.

هذا التدخل ينبثق من مبدأ الحق ومن وظيفة الأولياء لأنهم يتحملون مسؤولية عند سلامة الأبناء، وهذه الوظيفة بدون مراقبة وسيطرة لا يمكن تحقيقها.

ولابد من الإشارة هنا إلى أنه لا يحق للأبوين التدخل في جميع المسائل وإن كانت بسيطة وجزئية.

وجود المراقبة أمر ضروري لكن لا يجوز ان يتعدى أبعاده بحيث يضيّق عليهم ويجعلهم يتشائمون، وكذلك لا يجوز أن يُطفىء نور الأمل بالحياة في قلب الابن أو يجبره على العمل السري، على أية حال فإن البيت هو ملجأ الطفل الأمين ومحل نموّه ورشده.

حدود التوقعات من الطفل

نبدأ هنا بالإشارة إلى هذه النكتة وهي أن الطفل يحق له التعبير عما في

داخله بجميع المراحل والأعمار وإبداء الرأي في كل ما يتعلق بحياته ولكن لا يعني ذلك أن يصل الأمر الى التجرأ والوقاحة وإنما نظهر سرورنا من الاستماع لحديثه لأن بعض أحاديهم حقة وتستحق الاستماع.

يجب أن تكون حدود توقعنا من الطفل قائمة على أسس العمر والوسع وقدرة الفهم والإدراك. أي إن ذلك يشترط بفهم الطفل للأمر المعني ودركه وله القابلية على أدائه مع وجود إمكانية مراعاة ضوابطه. يجب أن لا يتصور بأن البيت كقاعة الجنود، لكن يحق له أيضاً أن يتذوق طعم الحرية والراحة والأمن والتصرف الطفولي.

وبالمقابل من المهم أن يحسن الأولياء الظن بأبنائهم ويعلمون بأن ذلك يؤدي إلى الشخصية الصالحة، ولهذا يفترض بهم تعديل أسلوب الأمر والنهي وأن تكون أوامرهم منطقية وعقلية، ويجب عليهم أخذ مكانة الطفل بنظر الاعتبار والحيلولة دون سقوطه في واد أو طريق خطر عليه.

قواعد الإشراف

- يجب ابتداء إظهار حبكم إليهم واحترامكم وتقديركم لهم.
- توضيح الغاية من تدخلكم (أحياناً في أمورهم أو منعهم عن بعضها) بأن ذلك يصب في مصلحتهم ولحفظ سلامتهم وتأمين سعادتهم.
- توضيح موارد المنع لهم والإشارة إلى أسبابه حد الإمكان مثلاً: وضح لهم بأن لمس سيم الكهرباء الفاقد للغلاف خطر عليهم أو اللعب بالسكين أو الزجاج المكسور.

- اهتموا بإعطائه فرصة للتعبير عن رأيه وتبيان ما يجول في خاطره لأن هذا قد يدفع عنه الكثير من الأخطار.

- فتح مجال العمل أمامه في نفس وقت السيطرة والنظاره، ودعه يتنفس الصعداء في جو حر.

- من الممكن أن تكون هناك ضرورة لاستعمال أسلوب الإلقاء معه عن طريق إظهار ما نريده على لسان الطفل وانطباق عمله مع الرغبات المفيدة له.

- يجب أن نتعامل معه بالصورة التي لا يشعر معها بالعبودية والخطر على مصالحه.

- من المحبب أن تتدخل بأعماله بصورة غير مباشرة لكي لا يتثاقل من ذلك.

- مع جميع الألطاف والاحترامات للطفل ولتقريبه منك حاول الاحتفاظ بشخصيتك وحرمتك أمامه ولا تسمح له التلاعب بها.

الفصل الثاني

المعلم

المقدّمة

المعلم والمربي دليل للبشر، وفي عاتقه مسؤوليات كبيرة ومصيرية، شخصية المعلم وسلوكه ورقابته ونوع إلقاءاته وتربيته مؤثر في استحكام البناء الأخلاقي للطالب أو في تهديمه. تتغير مقاييس الطالب في ظل هذه الفرص مما يجعلها مستقيمة أو منحرفة.

لاشك أن المعلم يستهلك نفسه لتربية أفراد يتصفون بالرشد والكرامة والأمن في سبيل إنجاز واجباتهم وكذلك يمتلكون الإمكانات اللازمة لتفتح أفكارهم وتجلي استعداداتهم ونموّهم وتربية شخصياتهم وحفظ تمام وجودهم لكي يستقر في مسير التعالي.

قدرات المدرسة والمعلم

للمدرسة دور مهم في بناء أو هدم العائلة لأن الآثار التي تتركها دروس المعلم وأقواله وسلوكه وحتى أفكاره مؤثرة جداً وكبيرة والسبب يعود إلى أن الأطفال يعتبرون مقام المعلم عظيماً وطاعة أوامره واجبة(١).

---

(١) حسب التجارب إن الأطفال ينظرون إليه بمقام أعلى من أبويهم وحتى وإن كانوا من ذوي الشهادات.

وظيفة المدرسة لا تقتصر على تعليم الدروس كالرياضيات والعلوم الطبيعية وإنما نعتقد بأن بناء الطفل وإنزاله إلى ميدان العمل ووضعه على سبيل الوظائف الاجتماعية الآن وفي المستقبل لكي يصبح عضو مفيد للمجتمع هي من ضمن الوظائف.

تستطيع المدرسة وعن طريق استخدام الأساليب الخاصة من هداية الأطفال بدون اللجوء إلى أسلوب إعطاء المكافآت أو العقوبات القاسية، وتوجيههم إلى النظام الفكري والسيطرة على رغباتهم من خلال إعطائهم الحرية الإيجابية والمثمرة. ومن الممكن هنا أن يكون لها دور أكثر تأثيراً من البيت.

المدرسة مركز مناسب للتمرين على الحريات وهذا المركز منطقي وعقلي أكثر من البيت في هذا المجال لأن الطفل مجبور أن يراعي الضوابط في السؤال والجواب والحديث وأنه يأخذ أمر المعلم ونهيه بصورة أكثر جدية وملاحظاته على ذلك أقل ومتأصلة الجذور أكثر.

لا يشعر الطفل بين معلمه ورفاق درسه بالضياع وإنما يعتبر نفسه عضواً في ذلك المجتمع بالإضافة إلى أنه لا يتأثر سلبياً من أمر المعلم ونهيه ويقوم بإجراء تلك الأوامر.

ضرورة تنسيق المدرسة في تنظيم الحرية

يجب أن يكون للمدرسة والمؤسسات التربوية هدف وبرنامج لتطور وهداية الطلاب، وأن تمتلك القواعد والضوابط المنطقية والمبرمجة سابقاً في موضوع تنظيم الحرية وحدودها والعمل بها في وقتها المناسب.

من الأخطاء التربوية هي أن بعض أولياء المدرسة يعتقدون بوجوب ترك الطفل لحاله في البعد الانضباطي ويقولون بأن عبىء التربية لا يقع على عاتقهم، في حين أن أول درس يفترض أن يشمل على توضيح رسمية هذا المكان وعدم استطاعة الفرد أن يتهور ويتحلل فيه.

يجب أن تخضع جميع حالات وأخلاق وأقوال وأعمال الطفل إلى الرقابة على أساس الضوابط التي أعدها مسبقاً أولياء المدرسة، وعلى المدرسة تفهيم الطالب بأن هذا المكان لا يحتمل دلال العائلة والبيت وإنما يجب على الجميع الالتزام بالضابطة المقررة، وهذا الأمر يحتاج إلى تكرار خلال فترة متقاربة.

تعيين الضابطة

من الممكن أن تكون أفضل الضوابط هي التي تخرج من فم الطالب والتي تؤطر بإرشاد وهداية أولياء المدرسة، وعادة من المهم جداً مراعاة الأصول الشرعية والأخلاقية فيها بالإضافة إلى ذلك يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار الضوابط العلمية والتجريبية.

يجب الاهتمام بالنكتة التالية في تعيين الضوابط والتي تشتمل على مواصفات منها الجو الجماعي للمدرسة وعدم وحدة الرغبات وتنوع الثقافات والسلوك. واختلاف أعمار الطلاب وانهم ينشأون من عوائل متنوعة الثقافات والأخلاق بالإضافة إلى ذلك يُفترض أن تكون الضوابط المعيّنة قابلة للدرك والإجراء من قبل الطلاب بحيث لا تؤدي إلى ابتعادهم وفرارهم عنها.

والأمر المهم في تحديد أو إعطاء الحرية هو أخذ المدرسة بنظر الاعتبار

للموارد التالية وهي: حاجة ونمو الطلاب والظروف الزمانية والإمكانات وقدرات وميزان تحملهم ووسعهم.

الجزء الأعظم لقساوة الطفل وكذبه واحتياله نابع من ضعف الضوابط والمقررات في المدرسة أو على الأقل الضعف في إجرائها وهذا ما يجب الاهتمام به من قبل أولياء المدرسة.

المراقبة في الأجزاء

كما ذكرنا سابقاً ان أفضل القوانين لا يكون لها اعتبار ما دامت خارج حيز التنفيذ وأن الأساس في ذلك هو حسن إجراء الضوابط ولهذه المسألة أهمية كذلك في الجانب السياسي للدول.

ليس مشكلة أغلب المجتمعات هي فقدان القانون أو قلته وإنما ضعف قدرة إجرائه والحفاظ على حرمته.

يجب أن يبتعد محيط المدرسة عن تربية الأطفال والشباب بالشكل السابق بحيث تجعلهم يتحايلون على أولياء المدرسة ويعملون ما يشاؤون، وأن لا يكون كذلك كالقفص يريدون التخلص منه بسرعة.

أساس الضبط قائم على رعاية العدل والانصاف والمسامحة بحيث تجعل الطفل يشعر بأن المدرسة هي البيت الثاني له، ويقوم ذلك الأساس كذلك على إعطاء الحرية المقبولة والمنطقية لهم.

يجب أن تكون ظروف المدرسة مؤطرة بضوابط منصفة ومقبولة من الجميع.

أما في مرحلة الإجراء فإن الأساس المهم فيها هو رعاية مبدأ التساوي

والعدالة للجميع ولا يفترض أن يتمتع البعض بحرية أكثر بحجة كونه قريباً على أحد الأولياء، ويختنق الآخر من الضغوط الموجودة لأن هذا التبعيض سوف تُرتب آثاره من هؤلاء على الآخرين.

صفاء المدرسة ومودتها

نعتقد أن أقسى الضوابط في الأجواء المملوءة مودة وصفاء قابل للتحمل ببساطة.

والمهم هو وجود العلاقة الروحية بين الطالب والمعلم وحالة الجذب والانجذاب بينهما. يحاول المعلم الذكي وعن طريق الاهتمام بالظروف الفكرية والنفسية للطفل أن يتفق معهم ويوجِد حالة الرفاقة والمداراة، وعن طريق التعامل بالمحبة والمكافأة بدلاً من العقوبة والخشونة سيجعل منه صديقاً ويتغذى من سلوكه وأخلاقه.

بشاشة وجهه وابتسامته اللطيفة والظريفة ومواساته لهم وعطفه عليهم وأخلاقه تجعله مسيطراً على أقسى الطلبة وتصيره فرداً مطيعاً لأوامره.

عموماً إن تجارب السابقين تشير إلى عدم إمكانية إدارة المدرسة عن طريق الديكتاتورية والاستبداد، بل إن المحبة والصفاء والصميمية في العلاقات قادرة على ذلك وتجعلهم يندفعون إلى تطبيق الضابطة.

آثار السيطرة

سيطرة الأولياء على المحيط تمكّن من إدارة المدرسة وتطبيق البرامج

وتعدّل الرغبات وتضعها تحت الضابطة وهذا يساعد على فهم المطالب وعلى الدراسة الأفضل، وسيتعلمون درس ضبط النفس، وبناء الأرضية اللازمة لنموّهم ورشدهم وسيعطي معنى للإنسانية والأخلاق ويتحرر الطلاب من الأخلاق البذيئة ويقتربون من طريق السعادة.

سيطرة المدرسة عامل جيد لاختيار الحياة الاجتماعية والدخول إلى عالم الجمع والمجتمع. تطبيق ذلك يؤدي إلى ورود دنيا المسؤولية والتكليف وتجعله متحملاً لظروف المجتمع وأصول الحياة الاجتماعية والإنسانية وثابت عليها.

السيطرة

هناك نكتة مهمة نذكرها في موضوع السيطرة وهي أن المعلم يجب عليه أن يكون قدوة الخط والفكر والمدافع عنه كما اشار الإمام علي عليه السلام إلى ذلك في كلماته القصار المدونة في نهج البلاغة (رقم الحديث ٧٠).

عندما يرتكب المعلم خطأً واحداً أو يخرج عن الضوابط مرة واحدة فإن ذلك لا يقوّمه مئة حديث او قول من قبله مع العلم بأنه ذا مرتبة ومقام علمي عال لكن ذلك لا يساوي زلة واحدة يُغطي على عدم تجاوزه للضابطة.

الغاية الأساسية من السيطرة هي إصلاح حالات وأخلاق وسلوك الطلاب وليس الانتقام منهم أو تصفية الحسابات الشخصية معهم ومع عوائلهم، يجب أن تكون جميع أعمال المعلم دروساً وعبراً لهم.

الفصل الثالث

الدولة والمجتمع

المقدّمة

لو تمعنا في كثير من حالات وسلوكيات وحركات الطفل وخصوصاً الشباب سنراها انعكاسات لما يدور في المجتمع مثل: طريقة الحديث ونوعه، والخصام والنزاع، والاستهزاء، والغناء، والصراخ، والتعري من الملابس وفي أماكن أخرى السقوط و...

الأفراد الذين يعيشون في المجتمع ابتداء من السوقيين والتجار والشرطة ورجال الدين والأفراد الطاهرين وغير الطاهرين ينقلون ثقافاتهم إلى المجتمع بصورة مباشرة أو غير مباشرة. وخصوصاً إلى الأجيال الجدد الذين يتميزون بقابليتهم على جذب الظواهر التي تؤدي إلى سعادتهم أو تعاستهم.

يمكن للمجتمع أن يُحرف أهواء ورغبات الحرية أو يجعلهم يتّبعون القانون والعيش بظل الضابطة والمقررات.

ويمكن كذلك أن يهمل حالاتهم وسلوكياتهم ومواقفهم في الأزقة والشوارع أو يوجد لهم الضوابط المحددة له ولحرياتهم.

دور العوامل الاجتماعية

لكل مجتمع حالات وحركات وسلوكيات خاصة يمكن اعتبارها جميلة أو قبيحة، أفراد ذلك المجتمع وبتبعية ذلك يتكون لديهم هذا التقييم وينعكس على افعالهم.

ويستنتج الطفل من خلال المجتمع حسن الأمور أو قبحها ويسعى وفق هذا تطبيق ظروفه وضوابطه. وعلى هذا الأساس يمكن أن تكون الحرية مانعاً في طريق المجتمع وتطور أفراده، في حين ان الكثير من المواقف الاجتماعية يمكنها أن تخلق موجاً من التحرك والبناء الاجتماعي لهذا لا يمكن اعتبار الطفل مقصراً على طول الخط وإنما من الضروري محاكمة المحيط في بعض الموارد.

ومن العوامل التي تؤدي بالكثير من الافراد الى تغيير خطهم وسبيلهم هو التوقعات المبالغ فيها واللوم الشديد وتقديم الآراء بصورة حادة مصحوبة بالغضب والسخط، وتعتبر هذه الحالة من علامات تأثير المجتمع في الفرد.

وعلى العكس من ذلك فإن عدم الاعتناء بالأخطاء والانحرافات والتسامح والإهمال في هذا المجال والتساهل في السلوك يؤدي إلى تجروء الأفراد في أعمالهم وسبيلهم. المجتمع يعلم أفراده ماذا يلبسون وكيف يعينون أنفسهم وما هي الأعراف التي يتمسكون بها وما هي الأشياء التي تُظهر الرشد والكمال وما هي الحالات التي يجب الابتعاد عنها، من الممكن أن يعلم المجتمع افراده طريق الطغيان والعصيان والصراخ أو حالة الاستسلام وكل ذلك مصيري بالنسبة له.

الأقرباء

للأقرباء دور أساسي في حياة الطفل ويمكنهم التأثير على الحريات

المعقولة والمتحللة لهم.

يرتبط الاطفال وحسب ظروف ومقتضيات مرحلة الطفولة مع أقربائهم ويمكن أن يكون للعم أو العمة أو الخالة والخال وأبنائهم دور أساسي في انحرافهم أو استقامتهم.

هناك الكثير من الأطفال نشأوا في أجواء مضطربة وعوائل غير مستقرة ولكن الاهتمام العاطفي لأحد الأقرباء كان السبب في نجاته واستقامته وصلاحه.

وعكس ذلك صحيح ايضاً، نعرف بعض الأفراد ترعرعوا في أوساط طاهرة ونظيفة ولكنهم انحرفوا بسبب مجالستهم للمنحرفين وحتى أن البعض تنكر لسلالة النبوة التي ينحدر منها.

الاختلاط والمعاشرة مع الأقرباء الذين يراعون الأصول والتقوى له تأثير على أبنائنا ويترك حديث الخالة أو العمة أثراً ثابتاً في ذات الطفل أحياناً تعجز عن مثله أقوال ونصائح الأب والأم.

في ظل ذلك يكنهم تشخيص طريقهم وتغيير مسيرهم بقوة.

الناس والمعاشرون

يوجد في كل مجتمع مجموعة من الناس لهم تأثير على الأطفال اكثر من غيرهم مثلاً الناس الذين يرتبطون معهم تحت عنوان الصديق أو المعاشر أو الناس الذين يعملون في الدكاكين ويتردد يومياً الأطفال عليهم كالخباز وبائع القرطاسية أو الخضروات والفواكه... وخصوصاً عندما ينال قبولهم واحترامهم. كل هؤلاء لا يؤثر في سلوكهم وأخلاقهم خصوصاً إن كانوا صادقين.

يزداد دور وتأثير هؤلاء الناس خصوصاً عندما يعاني الطفل من تخلخل العلاقة في البيت ومع الولدين، فهو يلجأ وفق ظروف عمره إلى ملجأ، ومن يتمكن من كسب قلبه فسيكون قادراً على التأثير عليه.

نود الإشارة إلى أن النصائح الخيّرة أحياناً لأحد البقالين حول سيطرة الحرية وتحديدها قد تعادل تأثير مئات أوامر الوالدين.

من الطبيعي أن هذا الأثر يُترك متى ما كان الناس أهل حياء وطهارة وتقوى ولم يكونوا مستبدين في آرائهم.

القدوات الاجتماعية

القدوة حسب رأى الطفل وحتى الشاب هو الذي يبدي مظاهر البطولة والشجاعة وتكون أعماله بالنسبة لهم باعثة على السرور والتحيّر. لاشك أن الوالدين هما القدوة المهمة في بداية حياة الطفل، ولكن الأمر سيتوسع حسب اتساع العلاقات ويزداد عدد القدوات الذين يقعون أمام رؤية الطفل مثل المعلم، رجل الدين، الرياضي، البطل، الشرطي، الطيار، و...

هناك نكتة مهمة وهي أن الأشخاص الذين لهم قابلية أداء دور القدوة كالذين ذكرناهم يفترض بهم أن يهتموا بالضوابط الاجتماعية أكثر من غيرهم وأن يلتزموا بالمقررات المذهبية. ولكونهم في معرض الرؤية يجب عليهم أن يكونوا نموذجاً لتعاليم ذلك النظام الذي يتحدثون عنه والطريق الذي ينتخبونه ويؤمنون به كلياً.

ويفترض على الآباء أن يضعوا في طريق الطفل قدوة صالحة أثناء فترة

مراقبتهم لسلوكه وحالاته. وهذا تحذير للجميع وهو إن لم نستطع انتخاب قدوات عالية القدر للأجيال فإنه من الممكن أن يسيطر على زمام أمورهم الفكرية أناس خائنين ومنحرفين وملوثين ويسوقون الطفل إلى عاقبة وخيمة(١). وهناك يجب ملىء فراغ التظاهر بالبطولة بصورة جيدة في ذوات النسل والجيل.

مراقبة الناس

للناس دور في مجال السيطرة والتحديد للحرية وهذا مهم في بُعد المراقبة.

يجب على كل شخص السعي لإبعاد الضرر عن حدوده. فإن كانت لسكّان المحلة رقابة حول محلتهم وكذلك في السوق والأماكن الباقية ويحاولون منع التحلل والفوضى بلاشك فإن مساحة الجريمة والانحراف ستتقلص أو على الأقل يمنعون انتشارها. الناس من وجهة نظر الإسلام وكذلك حسب التجارب موظفون برعاية مسؤولياتهم في المجتمع، ومن مسؤولياتهم المهمة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي تمتد حدوده إلى مراقبة الآخرين وحتى التدخل بأعمالهم وحالاتهم وتحديدهاً وفق الضابطة الإسلامية.

نظرات اللوم التي توجه صوب أولئك المتحللين، والتأسف لأولئك الذين يتخلقون بالانحراف وحتى الحيلولة دون وقوع الانحراف كل ذلك له دور مؤثر واساسي في السيطرة والمنع وهذا الأمر يحتاج إلى انسجام الناس.

---

(١) نهج البلاغة ٤٧.

دور الدولة

للدولة دور الراعي والمحافظ عن الحريات المشروعة والشريفة والمانع للفوضى والإضرار[1]. مأمورون الدولة (الشرطة) لهم دور الحافظ لخير وصلاح المجتمع. والمجتمع الإسلامي له وظيفة أيضاً في أداء فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. من الخطأ أن يكون الشرطة متفرجين فقط ولا يؤدوا أي دور مقابل مخالفة الضوابط فعليهم الاصطدام مع عوامل الفساد، ومنع بعض الأفعال التي تنضوي تحت اسم الحرية والوقوف أمام من يحاول سلب حرية الناس المشروعة.

تستطيع الدولة إلقاء القبض على المخطئين والأطفال والشباب المنحرفين عبر مأموريها ومطالبتهم بتوضيح أسباب الانحراف ومطالبة أولياءهم بذلك أيضاً. تستطيع عن طريق القواعد الموجودة كالتعزير والحد والقصاص والدية، السيطرة على المجتمع والدفاع عن حدود الحرية المشروعة.

الحاجة إلى التنسيق

في موضوع السيطرة على الحريات هناك حاجة للتنسيق بين جميع الأجهزة والمنظمات والأفراد المؤثرين.

يجب على الناس التنسيق فيما بينهم وكذلك وسائل الإعلام ودوائر التبليغ يجب أن يخطوا خطوة منسقة مع الناس وتكون الدولة لهم عوناً في ذلك للدفاع

(١) والأمير مسؤول عن رعيته ... ألا كلكم راعٍ. المجلسي بحار الأنوار ج ٧٥ ص ٣٨.

عن الأصالة. وكذلك بالنسبة للأشخاص الذين يعيشون في المجتمع ولهم دور في الأمر والنهي والتنفيذ والإجراء مثل أجهزة رجال الدين الذين لهم دور القيادة الفكرية[1] وأجهزة الدولة والشرطة الذين يتمتعون بدور إجرائي والمنظمات وابطال الألعاب الرياضية الذين لهم بعد من أبعاد القدوة وبالتالي كلّ فرد وبالشكل الذي يؤثر فيه على الآخرين وخصوصاً الأطفال والشباب، لهذا فالواجب هو إصلاح طريقهم وخطهم. والتفكير بمصلحة المجتمع لأن الحرية المشروعة والحرية المتحللة كلّ منها سيترك اثره على الاجيال.

(١) خصوصاً العلماء باعتبارهم قادة الفكر والأمراء باعتبارهم قادة التنفيذ.

الفصل الرابع

دور الفرد في السيطرة على نفسه

المقدّمة

يمكن أحياناً الاستعانة بنفس الشخص في أمر السيطرة وتحديد حرية الطفل والانضباط. يجب أن يكون نظامنا التربوي بالشكل الذي يجعل الطفل يسيطر على نفسه تدريجياً. وهذا الأسلوب أفضلها، حيث يصبح الشخص ضابط نفسه ومراقب حدود أعماله وسلوكه. من الممكن أن يكون هذا صعباً في فترة الطفولة لأنه لم يصل إلى تلك المرحلة من الرشد والإدراك لكي يستطيع تشخيص مصلحته والتقدم باتجاه رشده. فهو تحت ظروف من الضعف تجعله لا يشعر بلذة الحريات دون قيمومة أبويه، فلديه دافع ذاتي باتجاه ولاية الأب والأم خصوصاً وأنه اعتاد على ذلك من نعومة أظفاره وعندما فتح بصره فرأى نفسه في حضن أبويه(١).

سيطرة الذات

ذُكرت آراء عديدة حول كيفية السيطرة على الأفراد والسبل التي يجب

(١) فإنهم يظنون أنكم ترزقونهم، المجلسي، بحار الأنوار ج ٤ ص ٧٧.

مستعدة. من الممكن أن لا يصدق هذا الحديث على الأطفال ولكن نود أن نقول أن الإسلام في آخر مراحل إرشاده يطمح أن يصل الفرد إلى مرحلة السيطرة الذاتية ويدفع عن نفسه الأخطار الناشئة من الحرية المطلقة.

يسعى الإسلام إلى تجليل الباري تعالى في القلوب وفي جميع الموارد ويثبت حبه في النفس والروح[1] وهذا سيجعله يفكر بأنّ الله مراقبه في كل الأحوال ويشاهده على جميع أفعاله وهنا سيتمكن من السيطرة الأكثر على نفسه.

الكثير ممن يعمل في الإدارات عندما يشعر بغياب المفتش عنه يلجأ إلى الحيلة وإتلاف الوقت في حين أن الفرد المؤمن بالله تعالى لا يعتقد ولو للحظة الواحدة بغياب المراقب له، في جميع الأحوال وحتى في الخلوات والوحدة فهو يشعر بأن الله ناظر أعماله وسلوكه ولهذا يقوم بضبط نفسه ويحفظها من الاشتباه.

في طريق السيطرة الذاتية

لوصول الفرد إلى مرحلة السيطرة الذاتية تلزمه الشروط التالية:

١ – الوعي: تحتاج السيطرة الذاتية إلى الوعي وتشخيص الحسن عن القبيح والواجبات وعدم الواجبات و... إلخ.

إن الجزء الأكبر من سلوك الطفل وحتى كبير السن ناشئ من الجهل. يقوم الطفل بعمل ولا يعلم بعدم صحته، وقد يرتكب الفرد ذنباً ولا يعلم أنه عمل قبيحاً[2].

---

(١) ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ البقرة: ١٦٥.
(٢) النوري، مستدرك الوسائل ج ٣ عن الإمام الصادق عليه السلام.

كانت الخطوة الأولى للأنبياء في كسب الناس تتمثل في التوعية، لجأوا إلى تعليم لناس[1] ووضحوا لهم الحسن من الأمور والقبيح ومن ثم طالبوهم في أداء التكليف. وكانت تذكيرات الأنبياء كذلك للسبب التالي: (ويذكروهم منسي نعمته)[2].

لهذا أن منعنا شيئاً عن الطفل يجب توضيح السبب قدر الإمكان وتوضيح عواقب ذلك الفعل، الأطفال يستقبلون القاءات وتلقينات الآخرين ببساطة خصوصاً إن كان هناك ودّ وصفاء بينهم وبين الأولياء فسيقعون تحت تأثيرهم بشدة.

لهذا يجب زيادة التوعية بزيادة عمر ورشد الطفل.

٢ ـ الإيمان[3]: وهو الشرط الثاني للسيطرة الذاتية، ويعني الإيمان هنا أن كل أمر يعرفه حق وصحيح وصائب وهو خال من الخطأ والزلل، ومن الطبيعي أن هذا الإيمان يجب أن يكون صحيح وحقيقي وعميق ونافذ إلى عمق الفرد.

إيجاد الإيمان في الطفل ليس أمر معقد بحكم فطرته النظيفة والسليمة والمصانة من النفاق والخديعة والغش هذا أولاً،

وثانياً أن الأبوين ركنين صادقين أمينين وكل ما يلقوه في ذاته سيكون الطفل مؤمناً به. يمكن للأولياء ومن خلال القاءاتهم المتكررة أن يبيّنوا آيات الله[4] بلغة بسيطة ويوضحوا تدريجياً مسألة نظارة الإله ومراقبته له ويفهموه بأن الله

---

(١) الجمعة ٢.

(٢) نهج البلاغة، خطبة ١.

(٣) يُقصد به الإيمان الحقيقي، ﴿يا أيها الذين آمنو آمنوا﴾ ـ النساء ١٣٦.

(٤) ﴿سنريهم آياتنا...﴾ ، فصلت: ٥٣.

تعالى ناظر وسامع وشاهد لأموره[١] .... وحتى في الخلوات واثناء الاعمال[٢]. وهكذا يستمر الحال حتى يصل إلى العمر المناسب لتقديم الاستدلال والبرهان على ذلك.

٣ ـ **عزة النفس:** يجب أن تكون إلقاءات وتذكرات الأبوين إلى الطفل وكذلك أسلوب التعامل معه بالصورة التي يشعر معها بالكرامة والعزة ويؤمن بأنه ذا قيمة واعتبار.

وهذا بلا شك ينتج من أسلوب التعامل الجيد والتذكير المستمر.

يأمر الإسلام باحترام الأولاد: (أكرموا أولادكم)[٣] ويبدأ هذا الاحترام من الطفولة ويتجلى ذلك باهتمام بأسئلة وأحاديث الطفل، ومواساته ومرافقته في حياته والالتفات إلى رغباته والاعتناء بآرائه في بعض الأمور، ورعاية حقه و....

يجب ان يشعر الطفل بأنه محترم من قبل أبويه وان وجوده في البيت باعث على البهجة، وأنه محبوب منهما ومن الآخرين ايضاً، وهم يعتمدون عليه[٤].

ولهذا فإنه سيحاول الحفاظ على ذلك الاحترام والاعتزاز من خلال العمل وفق آرائهم ومن خلال ضبط نفسه والسيطرة عليها.

٤ ـ **الثقة بالنفس:** لكي يستطيع أن ينمّي السيطرة الذاتية تلزمه الثقة بالنفس والتسلط عليها، هناك حقيقة لا بأس من ذكرها: وهي أن البعض يعترف بقبح عمله ويرغب بالتخلص منه أو السيطرة على حريته ولكنه يفتقر إلى جراءة ذلك. البعض

---

(١) الصفات الثبوتية للإله.

(٢) ﴿والله على كل شيء شهيد﴾ ، البروج : ٩.

(٣) مكارم الأخلاق الطبرسي ما يتعلق بالأولاد ص ٢٥٥.

(٤) انتشارات مركز تربية العلم، علم النفس التربوي ص ١٧.

يُشككك في قدراته وعظمته وقابليته على القيام بهذا العمل أو ذاك. ولا يعلم أي الأفعال يفترض القيام بها هذا أو ذاك أي انه يتواجد على مفترق الطرق وكأنه توجد في داخله قدرة أخرى تأمره بفعل هذا أو ترك ذاك.

الثقة بالنفس تسبب الشخصية القوية وتنقذ الإنسان من الضعف والذل الذي سيصبح في المستقبل مصدراً لكثير من المفاسد والاستسلام للانحرافات.

الثقة بالنفس التي يعنيها الإسلام هي تلك التي تنبع من الثقة بالله تعالى[1] وهذا ما يجب أن يفهمه الطفل وجميع الأشخاص الذين هم في حالة عمل وسعي وفعالية.

دائماً يجب أن يُلقّن الطفل بأن الله تعالى موجود، ومرافق له[2]، ويحبه[3] ويعينه، ولا يتركه حائراً في دنياه، فهو مقتدر وان إتكل عليه سيصبح شجاعاً جريئاً، لا يهمه من هو دونه، لذا فإنه سيقدر على النهوض ورفض الانحرافات.

التأييد والتشجيع

يحتاج الطفل إلى التأييد من بداية حياته لأجل الحركة والتقدم، ويشكل العامل الخارجي أغلب أنواع التشجيع أي من الآخرين ويبقى القسم البسيط جداً متعلق بالعامل الداخلي وهو رضىٰ الطفل عن نفسه.

كلما تقدم عمر الإنسان وإدراكه كلما كان من الأفضل أن يكون التشويق

---

(١) بحول الله وقوته أقوم وأقعد.

(٢) ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ ، الحديد : ٤ .

(٣) ﴿إن الله يحب ....﴾ ، البقرة : ١٩٥.

والتشجيع ذاتي وهذا ما يطمح له الإسلام للمسلمين.

وما دمنا في اتصال مستمر مع الطفل، فعندما نشعر بالتوفيق والنجاح في ضبط جانب معين، يُفترض بنا أن نشجعه على ذلك ونطري عليه بكلمات التأييد وضخ الطاقة في معنوياته ونوضح له الهدف لاستمرار ذلك.

الحقيقة أن الطفل ينتظر منا ذلك التشجيع والتأييد على أعماله الحسنة.

ويؤكد الإمام علي ﷺ على هذه الظاهرة وهي وجوب عدم تساوي المحسن مع المسيء لأن المحسن سيشعر بالغبن والمسيء تزداد جرأته على الإساءة(١).

تأييد جميع الناس للطفل مؤثر ولكن الأب يتقدم في ذلك على الأم والمربون على الوالدين ويشعر الطفل بطعم خاص من خلال تشجيع المربين.

وذلك سبب جيد لتحديد الحريات والسيطرة على الطفل.

---

(١) نهج البلاغة، عهد الإمام علي ﷺ لمالك الأشتر، خ ٥٣.

الفصل الخامس

قواعد الرقابة

المقدّمة

تعتبر التربية فن ظَريف ولكنها معقدة وفيها دقائق الأمور المعنية، وأنْ لم تؤخذ تلك بنظر الاعتبار ستؤدي إلى عواقب وخيمة، كما ذكرنا أن مبدأ السيطرة مقبول ولكنه يجب أن يكون علمي ومنطقي.

ومن الأمور المهمة هي أن الطفل يجب أن لا يشعر بأنه تحت نظارة الأبوين دائماً لأن ذلك سيدفعه إلى التصنع والاعتياد عليه، وأن ترْك هذا الأمر وإهماله سيؤدي إلى ما يلي: أولاً: يقوم الطفل بتنفيذ أعماله سراً ليصبح فرداً مكاراً ومحتالاً. ثانياً: يتشائم من الحياة ويصبح البيت له كالسجن.

ثالثاً: يتوقف نموه وابتكاره من كل جانب. رابعاً لا ينضج إدراكه وشعوره بالمسؤولية.

مبدأ الهداية

تُعتبر الهداية مبدأً قبل الرقابة والسيطرة، يجب على الوالدين الأخذ بيد

الطفل ووضعه في النقطة التي يجب ان يقف عندها مبدعاً ويسوقاه الى الهدف المعني.

وتعتبر الكثير من الأفعال الإنسانية غير صحيحة وغير مرغوبة بسبب عدم اشتمالها على الهداية.

والأمر المهم هو عندما يشاهد الأبوان انحرافاً من الطفل يُسارعان إلى إرجاعه إلى الطريق المستقيم بعد أن يشرحوا له الانحراف الحاصل. وكذلك يمكن للأولياء أن يقوموا بهدايته على أساس المحبة والصفاء وأن يستعملوا الأسلوب المناسب لكي يهتم بذلك.

المهم في هداية الطفل هو السيطرة على رغباته الطفل ولكن رعاية جميع المقررات مئة بالمئة وتطبيق القانون الانضباطي عليه كاملاً يُعتبر من الأخطاء لأن ذلك يحرفه عن سبيل الرشد والصلاح العام وأن رقابتنا له ستكون غير مفيدة. الطفل حر في انتخابه وقراره وحركته إلى الأمام ولكن بمساعدة رقابة الآباء.

الابتعاد عن الاستبداد

الاستبداد مرفوض من قبل المذاهب التربوية المعاصرة والإسلام، لأن ذلك يؤدي إلى تخلف الطفل وهذا بحد ذاته سيكون درساً لانحراف الطفل في المستقبل.

يضغط بعض الأولياء ويهدّد ويسلب حرية الأطفال وهو غافل عن أن هذا الأسلوب غير بنّاء ويجعله في خط المكر والخداع بالإضافة إلى عشرات الانحرافات الأخرى.

نحن لا نمنع استبداد الأولياء فقط وإنما نطلب منهم تحديد أنفسهم وإثبات تطور شخصيتهم من خلال ذلك. عدم السيطرة على النفس يؤدي إلى الفاجعة بالنسبة للطفل ويكون أرضاً خصبة للمفاسد الأخلاقية والسلوكية لهم.

محيط التفاهم

في موضوع الرقابة وتحديد الحرية من الضروري أن ينمو الأطفال في جو مملوء بالتفاهم والصفاء، وقد تطرقنا لهذا الموضع في الفصل الأول من الباب العاشر (فصل الوالدين). تثبت التجارب إلى أن إيجاد محيط التفاهم والجو السلمي يكون سبباً للحضور الدائمي للوالدين في ميدان الذهن وحياة الطفل.

يجب أن تكون العلاقة مع الأبناء حميمة وهذا ما يسهل أمر السيطرة وتحديد الحرية. يمكن إجراء التحديدات في سلوك وقول وفعل الطفل بشرط أن يكون الأولياء أصدقاء للأطفال ويُهيئون الظروف المناسبة لكي لا يشعر بالقلق أو الضغط.

ونوصي هنا بفتح باب الأنس والصفاء أمام الطفل قبل أي أمر أو نهي، حاولوا إبراز صداقتكم لهم، وجعلهم يستذوقون لذلك بصورة عملية، لأن لذلك تأثير بنّاء وإيجابي وقطعاً سيكون أكثر تأثيراً من أسلوب الحقد والإضرار.

المنع المنطقي

مع كل الفوائد الموجودة من الاعتناء والأنس والمودة والتفاهم في

السيطرة على الحريات وإجراء الرقابة يبقى هناك أمر مهم هـو مـنطقية الرقـابة وعقلانيتها بالنسبة للطفل والشاب بالشكل الذي يستطيعون فهمه وحتى وان كانوا قاصرين عن فهم سره ولكنهم سيطلعون لاحقاً على منطقيته ويعطون الحق لعمال الرقابة.

يجب أن يكون هناك توضيحاً لكل إقدام ومسير وهذا ما يتفق عليه جميع المربين سواءً في البيت أو المدرسة لكي يكون الإصلاح أو الرقابة والهداية قائمة على أسس فكرية ومنطقية بالصورة التي يستطيع الفرد جذبها وهضمها ومن ثـم الدفاع عنها. الإفراط والتفريط مضر بنفس مقدار الإهمال والفوضى.

ومن جوانبه العقلية أيضاً رعاية التدرج فيه لأنه يؤدي إلى نفوذ ورسـوخ المسألة في النفس والروح البشرية. عادة يكون سر بقاء التعليم في نفس الطفل هو إلقاء الأمر المراد تلقينه بصورة تدريجية يتناسب مع ظروف نمو ووسع الطفل.

الإخلاص في العمل والصدق

ومن الأمور المهمة هي سيطرة الآباء على عواطفهم في موارد المنع والنهي وإقناع الأطفال بحسن نواياهم، ويجب ان يكون الاب صادق بقوله وفكره، وان منعوه عن شيء فإن ذلك لصلاحه وخيره ومنع الأضرار عنه.

من المؤسف حقاً عدم صدق بعض الأولياء في أقوالهم وسلوكهم، فـهم لا يستطيعون تطبيق ما يقولون له أي فعلهم يختلف عن قولهم. يأمرون الطفل بالهدوء وهم فاقدون له بحيث تصل نزاعات الأبوين إلى أسوأ مستوى.

عين وأذن الأطفال متوجهة إلى سلوك وحالات الأبوين ومـواقـفهم وان

شخّصوا تفاوتاً بين أعمالهم وأقوالهم فإنهم سيهملونهم وتصبح شخصياتهم مكسورة عندهم وعديمة القيمة، ومن الأسباب التي تدعوا إلى إهمال الأطفال لأوامر ونواهي الوالدين والمربين وغض النظر عن تذكراتهم ونياتهم الخيّرة هي انهم أناس غير صادقين.

وما نعنيه هو الاهتمام بمشاعر وعواطف الأطفال وعالمهم المملوء بالصفاء والمودة وكذلك العناية بلطافة روحهم وحساسيتها لأن بناء شخصية الوالدين في ذات الطفل أمر عسير جداً بعكس التهديم فانه يسير جداً.

نكات أساسية في الرقابة

من النكات التي يلزم رعايتها هنا هي:

ـ يجب أن لاتكون جميع القواعد المقررة من قبلنا لازمة الإطاعة من قبلهم لأنه لا يعلم مدى انطباقها مع رغبات الطفل ومستواه الفكري.

ـ الابتعاد عن الشدة المبالغ فيها لأنه سيشعر بثقلها على عاتقه.

ـ لا ندعه حراً في كل ما يريد ولكننا نهتم بعلاقاته وحاجاته المشروعة.

ـ لا نحاول رقابة جميع أفعاله الجزئية لأن ذلك سيعسر الحياة علينا وعلى الطفل.

ـ يجب عدم الاستسلام إلى بكاء الطفل من أجل كسب حرياته غير المشروعة وبنفس الوقت لا نلجأ إلى أسلوب العقوبة لإسكاته.

ـ يجب أن لا تكون أساليب السيطرة بالشكل الذي يؤدي إلى التربية السيئة أو تسبب فسادها من جانب آخر عندما نريد إصلاحها من جانب.

ـ الأوامر والنواهي المبالغ بها تكون فاقدة للقيمة وستكون واجدة للعقد في مجال السيطرة وهذا ما سيسبب الأضرار الكثيرة.

ـ التهديد باستعمال الضرب في حالة عدم السكوت ليس العلاج الحقيقي لهذا.

يجب التقدم في بعض الموارد عن طريق التغافل وغض النظر لأن الطفل لا يصدر منه إلا الأفعال الطفولية، ومع ذلك فإن الإفراط بالعفو والتغافل يؤدي إلى التحلل والضعف الأخلاقي.

الباب الحادي عشر

التوجيه إلى الحرية المشروعة

ونعرضه في فصول اربعة:

ـ الفصل الأول: إعطاء المسؤولية وتبيان رابطة ذلك مع الشخصية ويبدأ ذلك من فترة الطفولة بشرط الاهتمام بنوعية المسؤولية. ويجب من خلال ذلك الاستفادة كذلك من طريقة العيش والحدود في الحرية.

ـ الثاني: ويحمل عنوان إظهار الاستحسان والرضى، وعُرضت فيه مسألة التشويق والتحسين في الوقت المناسب، وإظهار الحب والعطف والرضى حين إنجاز الواجب بصورة جيدة، وفي تحديد كل ذلك له دور مهم فى الحرية.

ـ الثالث: المكافأة وجاء فيه، بعد التزام الطفل بالأوامر والنواهي الصادرة له يجب مكافأته بصورة مادية ومعنوية.

ـ الرابع: وبحث فيه الأساليب الملائمة والبناءة للسيطرة على الحرية، بالإضافة إلى تفهيم وبيان النظام والتقاليد العائلية مع الاستفادة من المراعاة والمواساة وإبراز المحبة.

الفصل الأول

إعطاء المسؤولية

المقدّمة

الإنسان فرد متعهد ومسؤول وموظف ومكلف بأداء الواجبات والمسؤوليات التي وضعها الباري تعالى في ذمته. ويوجد ذلك فطرياً في الإنسان والدليل هو إحساس الطفل أحياناً بوجوب التقدم إلى الأمام لأخذ بعض الأشياء والاستفادة منها ويشعر كذلك أنه من الواجب أن يقوم ببعض الأعمال في البيت وخارجه.

قبول المسؤولية وتطبيق الحريات المحدودة يحتاج كل ذلك إلى تمرين، ويا حبذا أن يبدأ هذا التمرين في محيط البيت ومن ثم يُطبّق في المدرسة لكي لا يتعرض إلى صعوبات. هذا الأسلوب يُساعد الطفل على معرفة المسؤوليات من طرف ويُساعده على أداء تمرين الحرية ومعرفة حدود ذلك من طرف آخر.

المسؤولية والشخصية

الجد وقبول المسؤولية لها علاقة بشخصية الفرد. عادة إعطاء المسؤولية إلى

الطفل في جميع أشكالها وعناوينها يؤدي إلى استقامة الطفل ووضوح معالم شخصيته. لأنه مجبور على التوفيق بينه وبين ظروف ونوع تلك المسؤولية وهذا ما سيعتاد عليه مستقبلاً. عندما تختار الطفل مراقباً في الصف فإنك في الحقيقة سعيت إلى ضبط شخصيته لأنه يسعى خلال ذلك إلى وضع شخصيته في مسير الضابطة المعنية والانصراف عن كثير من الحريات، أو عندما يقبل الطفل رئاسة مجموعة الأطفال في اللعب فإن ذلك بالحقيقة يجعله ملتزماً بضوابطها وهذا يحدد تدريجياً ويوضح معالم شخصيته.

وهذا ينطبق كذلك على الكبار لأن الفرد عندما يصبح رئيس دائرة ما أو إمام جماعة للمسجد أو مبلغ خطيب فإنه سيحاول بصورة إرادية أو غير إرادية إلى حفظ مكانته ومسؤوليته وهذا بحد ذاته سيدفعه إلى الالتزام بالضوابط والانضباط، ويُعتبر هذا الامر من احد اساليب السيطرة على الحريات.

بداية تحويل المسؤولية

ونقصد بذلك تحديد السنين المناسبة للسيطرة على حرية الأفراد ووقت إعطائه المسؤولية، يبدأ ذلك من تاريخ فهم الطفل للغتنا ويكون قادراً على التحرك والانتقال وذلك تقريباً من نهاية السنة الثانية وبداية السنة الثالثة.

نستطيع تحويل المسؤولية إلى الطفل في السنة الثالثة والرابعة بدون أن تُثقل عليه، ويمكننا تحفيزه على عمل ما دون استجوابه على نتائجه بصورة رسمية ويُعتبر ذلك بالإضافة إلى كونه تمريناً لتحمل المسؤولية فهو نوع من أنواع السيطرة على الحرية.

والمبدأ في ذلك هو تصور الطفل أن تلك المسؤولية أحد اللعبات لأن ذلك سوف لا يؤدي إلى وجود أي مانع من قبله أو يعتقد بأنه سيؤثر على نومه واستراحته.

يجب متابعة هذا الموضوع بجدية ودقة في جميع مراحله حتى يتمكن الطفل من الوصول إلى عمر معين ويصبح فيه قادراً على أداء أعماله وأعمال المجتمع ويكون قد اعتاد عليه وأعطى ذلك ثماره بالإضافة إلى أنه يكون واعياً الى نفس مبدأ قبول المسؤولية وحذراً كذلك، وفي تلك الحالة فإنه سوف لا يشعر بالثقل والتعب وكل ذلك يعتبر ارضية مناسبة للرشد وعاملاً مهماً للسيطرة.

نوع المسؤولية

في موضوع تعيين نوع المسؤولية يجب القول، أن وسع الطفل وقدرته من الأمور المهمة التي يجب أخذها بنظر الاعتبار وكذلك الاهتمام برغبته وذوقه في سنينه الأولى، ومن الأمور المهمة كذلك في هذا الأمر هي إعطاؤه المسؤوليات وتحفيزه على التمرين عليها.

يرغب الطفل أحياناً وهو بعمر الثلاثة سنين بغسل ملعقته ومنديله بنفسه، أو يتناول طعامه بنفسه وبدون مساعدة الآخرين، أو ارتداء حذائه .... كل ذلك يمثل فرصة جيدة لممارسة مسؤوليته وعندما يبلغ الثمان سنين من المناسب أن يقوم بتحضير سرير نومه للنوم أو تنظيمه بعد النهوض، أو يغسل جورابه، أو يساعد أمه في أعمال البيت، أما في المناطق القروية فإن الاعتناء بالحيوانات والاهتمام باحتياجاتها من المسؤوليات المناسبة للطفل.

لابأس ان نذكر هنا أن المسؤولية الهادئة تختلف عن المسؤولية المتشعبة.

الأطفال الذين هم في حركة دائمة يجب أن تُعطى لهم مسؤولية تناسب خصوصياتهم بحيث تشغل أغلب وقتهم. يجب أن نضع برنامجاً مناسباً له يملأ فراغه لكي لا يسبب الإزعاج للآخرين وهذا الأمر لا يخص عمراً محدداً وإنما يعتمد على الوضع الروحي والسلوكي للطفل.

الدعم والتذكير

يجب على مشرفي التربية الاهتمام في هذين الجانبين:

١ ـ الوقوف إلى جانب الطفل في مسؤوليته وخصوصاً عند بداية تحمله إياها بالإضافة إلى كونه صغير السن وعديم التجربة.

٢ ـ التدريب اللازم للقيام بأمر الرقابة على الحرية وحدودها وهذا ما سنتناوله هنا:

لو طلبنا من الطفل ذي العشر سنوات شراء حاجة من الدكان المجاور يجب ان نوصي البقال بتقديم المساعدة اللازمة أيضاً لإنجاح مهمته.

ولو قلنا له انقل هذا الشيء يجب علينا مساعدته في ذلك خصوصاً ان كان الشيء ثقيلاً.

نعم يحتاج الطفل إلى الدعم في قبوله مسؤوليته وإلى المساعدة الفيزيائية في أداء مهامه لكي لا يصاب بالفشل، ويحتاج أيضاً الى النصيحة والهداية لكي يعلم بوظيفته في كل مرحلة ومقدار سعيه اللازم لذلك. وأن شعر بالتعب في مهمّة ما فسيكون بحاجة إلى المواساة والتعاطف وإلى من يستمع الى معاناته.

إعطاؤه الجرأة

عندما نحمله مسؤولية يجب تشجيعه وإعطائه الجرأة للقيام من مكانه وأداء واجبه ويجب تلقينه بأنه قادرا على ذلك، وعليه القيام بذلك أولاً وسيكون موفقاً بلا شك. ولا بأس تحديد هدية له في بعض الموارد، وإن نجح بذلك سينال هذه الجائزة، أما تشخيص الجائزة لا يلزم أن تكون فوق طاقتنا بحيث نعجز عن إعطائها له إن نجح فعلاً وبالإضافة إلى كون قيمتها وحجمها مناسبين تكون في نفس الوقت جذابة ولطيفة بالنسبة له لكي نستطيع الاستمرار بذلك في المستقبل.

من النكات المهمة هي ان اعتياد الطفل على الهدية قد يجعل منه رجلاً قابلاً للارتشاء في المستقبل وهذا خطأ تربوي، يضاف إلى أنه قد يزيد من طلباته بصورة مستمرة، لعله من أفضل وأحسن الجوائز هو اقترابه إلى محبة واحترام الوالدين.

الاستفسار

ذكرنا سابقاً ان الطفل البالغ من العمل سبعة سنين معفيٌّ من الاستجواب في قبوله لمسؤولية ما وهو في مأمن من الضغط والجبر أيضاً وهذا ما بحثناه في موضوع السيادة.

يقوم البناء التربوي على هذا الأساس وهو عدم اعتبار السن الصغير عائقاً في إعطائه المسؤولية ولا يكون سبباً لاستعمال الشدة في الاستفسار عن عدم أداء ذلك العمل أو النقص في هذا.

أما بعد مرحلة السبع سنين يمكننا تحميله مسؤولية ما مع الاستفسار منه

عن متعلقاتها، ويتعلق هذا الأمر في الحقيقة بمرحلة الطاعة وعلى الطفل فيها معرفة الحسن والقبيح والجميل والرديء بالإضافة إلى اطلاعه على أوليات الحياة الاجتماعية.

نكات حول المسؤولية

- تبدأ نوعيتها من الصغيرة وتتدرج نحو الجوانب الأكثر صعوبة.
- توضيح حدود الحريات ونوعية تلك الحدود خلال إجراء برنامج خاص للطفل.
- الالتفات إلى قدرة تحمله وحجمه قبل تحميله المسؤولية، وعدم فرض برنامج ما عليه بحيث تجعله يهرب من المسؤوليات القادمة.
- يجب أن لا تكون المسؤوليات معقدة بحيث يعجز عنها لأن ذلك سيترك أثراً سلبياً عليه.
- عدم تحميله عدة مسؤوليات في آن واحد لأن ذلك يشغل باله ويضعف تركيزه وأحياناً يؤدي إلى إتعابه.
- تكليفه بوظائف عائلية تحت عنوان المشاركة في الحياة العائلية وهذا سيجعله يشعر بالارتباط العائلي وإنه عضو مفيد فيها.

الفصل الثاني

إظهار الرضى والاستحسان

المقدّمة

حمّلنا الطفل المسؤولية ووضحنا له حدود الحرية، أو حاولنا تشخيص حدودها بأسلوب آخر وطلبنا منه رعاية ذلك، والآن نحاول تقييم النتائج فإن كانت أعماله مرضية نشجعه ونشوقه وإلا فسيكون لنا موقفاً آخر.

على أي حال المبدأ في ذلك توضيح طريق الحياة وتوجيهه إلى الأساليب المناسبة لتطوره الآن وفي المستقبل. نحن بحاجة إلى العمل معه في سبيل هدايته وإصلاحه في جميع الحالات، ويحدث ذلك عن طريق إظهار الرضى أو عدمه أو استعمال التعامل الطيب معه والمزاجي، أو الاستفادة من بعض الأمور كالمحبة والمراقبة المستمرة والتشويق والاستحسان، والمواساة والتعاطف في سوقه إلى السبيل الذي نريد.

التشجيع بالوقت المناسب

عندما يصدر سلوك معين من الطفل وشاهدنا في نفس الوقت الذي يتوقع

الاستحسان يسعى إلى غض النظر عنه والاستمرار في إدارة نفسه وسيطرة حريته وضبطها وانتخاب أسلوب مؤدب، فهنا سيكون للاستحسان والتشجيع أثر فعال في إدامة طريقه للوصول إلى السعادة.

الاستحسان يبعث في قلب الكبير أيضاً الأمل والجرأة والمعنوية وهذا ما سيجعل الطفل يعمل للحصول على هذا التشجيع مجدداً.

على أي حال فإن أسلوب الاستحسان يعتبر من عوامل التقوية الإيجابية ومن الطرق المهمة لتعديل السلوك وحذف الجوانب السلبية ودعم الجوانب الإيجابية.

يؤثر الاستحسان في إحياء روحية الطفل الميّتة وتُعطيهم الدافع القوي لإدامة الأعمال المحببة، ويشع في قلبه نور الأمل والراحة الباطنية، وتزيد من جرأة وهمة الأفراد في الإقدام على أمر ما.

قد يفيد أحياناً ذلك إلى إشعار الآخرين بأفعالهم وسلوكهم، وهذا بمعنى أننا نشير إلى الآخرين بأننا نرضى من هذا الفعل، بعبارة أخرى فإن الثناء على الأعمال الحسنة للأفراد يعتبر وسيلة لتربية أبنائنابصورة غير مباشرة.

الترغيب والتشويق

رعاية حدود الحرية من الأمور التي تستحق التوشيق، لكي تنمو الرغبة الباطنية لتلك الأمور وإبعاد النفس عن الخطأ. الثناء والمديح من أساليب التقريب إلى البرامج لأنها توجد الرغبة في ذات الفرد لكي يرضى عن نفسه في أعماله ويسعى للاستمرار به. التشويق يشابه الاستحسان في إيجاد عوامل الجرأة

والشهامة عند الأبناء وإحداث أسباب السعي لغرض حفظ الكرامة وجلب المحبوبية الأشد.

الأطفال في آخر سنين طفولتهم وأوائل شبابهم يتميزون بالحياء والخجل مع كل الجرأة وأحياناً الوقاحة التي يحملونها.

يرغبون في حفظ كرامتهم وسط الجمع ولهذا يغض النظر عن الكثير من رغباته هنا ويقل كلامه أو يحدد سلوكه أو بعبارة أخرى يحدد حريته.

إن وجود قيد باطني وروحي للإنسان يعتبر عامل قوة في مجال السيطرة على النفس ويمكن لهذا العامل أن يحصل من خلال التمرين. وباعتقادنا أنه من الأفضل أن يظهر هذا القيد عن طريق البصيرة ويحصل عليه الطفل بحدود إدراكه ووسعه ويشخص أنه من الواجب إطاعة هذا الأمر وغض النظر عن ذاك.

إعلان المحبة

الطفل الذي تمكن من السير إلى الأمام في حدود الحرية واستطاع السيطرة على رغباته فإنه سيكون محبوباً بلاشك، وهنا يجب إبراز هذا الحب وإظهاره، يجب إخباره بأنك كنت تحبه وسيزداد حبك له في المستقبل.

المحبة تُزيل الكراهية الناشئة من الجبر والتثقيل وصعوبات تحمل الحدود وتقضي على الآلام والأتعاب المرافقة لذلك. الطفل يتعطش للمحبة ولهذا نراه يتشبث بكل شيء لاستحصالها، وهذا الشعور موجود أيضاً لدى الشباب ولكنه أشد[1].

---

(١) تشير التجارب إلى أن احتياج الشاب (١٤ ـ ١٦) سنة إلى المحبة تزيد على احتياج الطفل لها (٣ سنة).

أبناؤنا إن عصونا في بعض الموارد أو يصابون بالتحلل في استعمال الحرية فإن ذلك ناتج عن عدة أسباب منها: عدم نجاح الأولياء في ربط الأطفال بهم بالصورة التي يجب أن تكون فيها، ولم يوفّقوا في إظهار الحب الواقعي لهم[1]، تثبت التجارب أن لإظهار المحبة آثار إيجابية تفتقر لها العقوبة والمجازاة، على سبيل المثال يمكن لموقف عاطفي واحد أو مواساة، واحدة للطفل أن تغير مسيره بصورة كاملة وتحوله إلى جهة أخرى.

نوع المحبة

لها دور مهم في مستقبل الطفل ولهذا يجب الاهتمام بها جيداً.

الطفل بحاجة لها بحيث يستذوقها وينجذب لها. بعبارة أخرى يمكننا القول بأن المحبة اللفظية كتكرار عبارة (أحبك) لا يمكنها أن تكون مفيدة أحياناً، أبناؤنا مع صغر عمرهم يعرفون المحبات المصطنعة للآباء والسلوكيات غير الحقيقية لهم، وهنا سوف لا تصدق أقوالهم.

يجب أن يكون الحب صريحاً وواضحاً وقائماً على صفاء القلب والمودة والرغبات الهادفة وأن يتحسس الطفل بذلك. عندما تقبّل الأم ابنها أو يمسح الأب على رأسه فهذا الفعل يجب أن يكون نابعاً من كل وجوده وقائم على الصفاء والإخلاص.

فما ألذ بعض المحبات المخفية والجميلة للأب أو الأم وما اجمل عواطفهم باتجاهه ويا حبذا أن يكون ذلك في نومهم ويقظتهم وفي مشاكلهم وآلامهم وعندما يسعون إلى قضاء حوائجهم وعند الحاجة ومع الاحترام الكامل لهم.

---

(١) محبتهم غير محسوسة بالنسبة للطفل.

إعلان الرضا

عندما يكون الطفل ملتزماً فترة من الزمن ومراعياً للضوابط حتى أنه أحياناً يضغط على نفسه للاستقامة والحفاظ عليها، هنا يُفترض بنا أن نعلن رضانا عنه، يجب ن نقول له نحن راضون عن أخلاقه وسلوكه وعمله خلال هذه المدة لكونه جيداً طيلة هذه الفترة.

إعلان الولي عن رضاه وخصوصاً الأب سيملأ روح الطفل فرحاً وسروراً وكذلك الحال بالنسبة للعاملين والمربين. رضا الأم شيء عظيم أيضاً ولكنها بالنظر لإبراز عطفها الدائم له فإن الابن لا يشعر بحلاوة ذلك مقارنة مع الباقين.

النكتة المهمة في إعلان الرضا عن الطفل هو وقت ذلك. في بعض المدارس أو من قبل المعلمين تُعطى ألواح تقديرية للطفل، إن هذا الأسلوب خاطىء لأنه يشير إلى الرضا والتقدير المطلق[1]، في حين أن الأفضل يُكتب فيه أن أخلاق وسلوك الطالب إلى هذا التاريخ مرضية ونتمنى أن يستمر هذا الرضا في المستقبل. ولهذا يجب على الطالب السعي لاستمرار ذلك والاهتمام بالمستقبل.

مبادىء في الاستحسان

من أمورها المهمة يلزم رعاية الموارد التالية:

ـ إعلان الرضا والاستحسان يجب أن يقوم على الحقائق والأعمال التي تصدر من قبل الفرد وليس على أساس الأمور التي لم يقم بها لحد الآن.

---

(١) تُشير التحقيقات الى ان حاجة الفتى من عمر ١٤ الى ١٦ سنة للحب اشد من حاجة الطفل البالغ من العمر لثلاث سنين.

ـ يجب أن تصدر من القلب ولا تكون صورية.

ـ في بعض الموارد الضرورية يمكن أن لا نتابع بعض الأعمال الحساسة، ولكننا لو شاهدنا أمراً ولو بسيطاً إيجابياً منه فلا بأس أن نثني عليه ونمدحه.

ـ الاستحسان والتشويق أمر صحيح ولكن لا يجب أن يقوم على الرشوة لأن لذلك عاقبة وخيمة.

ـ كن دقيقاً في اختيار عبارات الاستحسان والتشويق، ولا تستعمل جميع لغات الثناء والمديح، وادخر بعض العبارات للأعمال الكبيرة.

ـ الشيء المهم في هذا الأمر هو رعاية العمل وليس الشخص، أي الثناء على العمل لكي يضطر الى القيام به وان مقاومته لأمر صعب ومقلق يستحق الثناء عليه لكي يحافظ على ذلك الفعل ويكرره في المستقبل[1].

ـ يجب أن لا يكون مستوى الثناء والاستحسان بالقدر الذي يكون معه مضطراً أن يقارنه مع حرمانه من الحرية لأن ذلك خسارة أخرى له.

---

(١) مثلاً نقول: أحسنت لمقاومتك هذا الذنب.

الفصل الثالث

المكافأة

المقدّمة

المكافاة أمر مهم جداً ومفيدة بالنسبة لمن يتقبل الأعمال الشاقة أو يتحمل الحرمان لأجل الوصول إلى المقصد وهذا ما اعتاد عليه العالم بالنسبة للأفراد وأحياناً للموظفين. ويمكن أن يسري هذا الأمر في المدارس والبيوت وسيترك بلا شك آثاراً حسنة في مجال التربية. الطفل المطيع لأوامر الأولياء والذي يسعى إلى تأطير أعماله بضوابطهم فإنه يستحق التقدير، ويستحق المكافأة كذلك عندما يغض النظر عن بعض اللذات لجلب رضا الكبار ويتحمل بعض الحرمان قياساً إلى الآخرين. إن إعطاء المكافأة التي يتمناها ويقبل عليها الطفل سيزيل جميع الأتعاب والآلام التي تحملها ويجعله راضياً عن نفسه، وفي المستقبل سيحافظ على إدامة ذلك وحتى إن كان لا يطمع بالمكافأة.

الفرق بين الجائزة والمكافأة

لا بأس هنا أن نطرح نكتة تربوية وهي تبيان الفرق بين المكافأة والجائزة.

عادة تكون الجائزة مشخّصة من قبل ومعيّنة وموضوعة أمام بصر الأفراد ويسعى الافراد الى نيلها من خلال بعض الاعمال المحددة.

في حين أن المكافأة لم توضع من قبل. يتحمل الإنسان في مسير حياته عملاً أو وظيفة ملقاة على عاقته ويعمل لإنجازها. المشرف على العمل يقرر بعد إتمامها على تقديره وتثمين جهوده ولهذا يحدد مكافأة معينة ويعطيها له.

هناك جائزة نوبل العالمية، محددة المقدار والغرض، كل من يسعى عالمياً يحصل عليها. من الطبيعي ان من بين عشرات الذين يحاولون خطفها يرشح نفراً أو أكثر حسب تلك الجائزة.

تُعيّن أحد المدارس أو المؤسسات جائزة معينة لأفضل مقالة أو اختراع جهاز، على سبيل المثال، الفائز الأول إلى الثالث ينال هذه الجائزة وتلك وهكذا. فمن الممكن هنا أن يتقدم لذلك مئات الأفراد ولكن الفائزين هم ثلاثة فقط.

أما مسألة المكافأة ففيها فرق، لأن كل من عمل في دائرة معينة له وظيفة خاصة يسعى لإنجازها دون أن ينتظر شيئاً مقابل حسن إجرائه لها. وهنا يقرر المدير صاحب العمل فجأة وبعنوان إعلان رضاه بتقديم مكافأة تتناسب مع الوضع ولم تكن قد أعلن عنها وعن مقدارها سابقاً ولا لأفراد معينين.

مكافأة الالتزام

بما أنه يخضع الطفل لنظام تربوي مدرسي أو منزلي فمن الطبيعي أن يكون للأولياء أوامر ونواهي لهدايته وإرشاده، فهم يقومون بفتح طريق له في بعض الموارد ويمنحونه الحرية اللازمة لذلك، وفي موارد أخرى يضعون سداً في طريقه

من أجل مصلحته ونفسه ويمنعونه عن بعض الأعمال، نعلم بأن الطفل وبشكل غريزي طالب للذة ومبعد ودافع للمعاناة والآلام، يميل إلى المكافاة العاجلة أكثر من المؤجلة، ومن طرف آخر يعشق الشكليات الملونة والجميلة والجذابة ولهذا فمن الصعوبة جداً أن يغض النظر عن تلك المظاهر الخداعة وخصوصاً أن الأطفال والشباب يمرّون بظروف استثنائية في طلباتهم ورغباتهم.

عندما يطرد الطفل لذة عن نفسه من أجل كسب رضا الوالدين (وليس بسبب إدراكه وفهمه ومصلحته) أو يلتزم بالضوابط من أجل ذلك، يجب في هذه الحالة تمييزه عن الطفل الذي يظهر الوقاحة وعدم الاهتمام بأمر والديه أو نهيهم، وهنا توجب المكافأة له ويستحقها.

نوع المكافأة

المكافآت المأخوذة بنظر الاعتبار متعددة ومتنوعة، ويمكننا اختيار بعضها حسب تناسبها مع الطفل. يمكن أن تكون المكافأة عاجلة أم آجلة، مادية أو معنوية. أو أي صورة أخرى يعتبرها الطفل مكافأة وتدفعه إلى إدامة طريقه.

فإن كانت مادية فيجب أن تكون ممتعة للطفل، من الخطأ أن تكون هدية الطفل المدير لنفسه والمتسلط عليها والمنضبط (مجموعة دائرة المعارف الأمريكية أو البريطانية) لأنها باهضة الثمن أولاً ولا تعود بفائدة عليه ثانياً. وأما ما يناسبه فعلاً هو اللباس الجميل أو الغذاء اللذيذ أو الأشياء التي يستفيد منها وتبعث على سروره وفرحه أو اللعبة الجميلة التي تملأ قلبه فرحاً أكثر من دورة تفسير الميزان، لأن هذه الهدية العلمية العظيمة تناسب الأعمار المتقدمة.

المكافآت غير المادية

لا نؤكد على اقتصار المكافأة على الماديات وإنما هناك صور كثيرة ليس لها أية ثمن سوى استعمال اللسان أو السلوك ومن هذه الموارد هي:

١ ـ الاحترام: يميل الطفل بصورة فطرية وذاتية إلى الاحترام ويطمح إلى أن يكون له اعتبار وقيمة لدى الآخرين. غالباً ما تكون علاقته مع من يحترمه ويكرمه ويعطيه مكانته الحقيقية أكثر خلوصاً وصميمية ولهذا يعتبر الاحترام الفائق من طرق المكافأة على حسن الانضباط مع توضيح ذلك له.

٢ ـ إظهار الاعتماد عليه: إن بعض العبارات التي تُدلل على هذا الأمر كقولنا له: نحن نثمن آراءك ونعتبرها، أو إنك حر في ما تشتري، أو أن الأبواب مفتحة لك، أو إننا نعلمك بأسرارنا ونحيطك بها علماً...، كل ذلك يمكنه أن يكون أفضل مكافأة ويحفزه إلى الالتزام الأكثر، وهنا يمكننا الاستفادة من سلوكه المعقول والمنطقي عن طريق هذا الأسلوب.

٣ ـ تمجيد سلوكه: تمجيد المعلم أو الأب لسلوك الطفل والثناء على أعماله يعتبر نوعاً من أنواع المكافأة خصوصاً إن وقع ذلك بحضور الآخرين. يطمح الطفل عادة إلى أن يكون شاخصاً بين أقربائه وأصدقائه، ويا حبذا أن يُثني الأب على أعمال وسلوك وانضباط الطفل وهو بين أصدقائه وفي حضور الجميع.

٤ ـ التقريب: يمكن للأولياء استعمال أسلوب تقريب الطفل إليهم بعنوان مكافأة لأعماله الحسنة من قبيل:

إجلاسه إلى جانبه، ومرافقته والاحتفاظ بالأسرار معاً. وطرح بعض المسائل عليه، الأكل سوية في المدرسة واللعب معه وإشعاره بأنه قريب جداً وهذا

سيؤدي إلى سروره وإدامة طريقه.

٥ ـ **إعطاء المساحة للحرية:** من مظاهر مكافأة الطفل زيادة مساحة حريته بالشكل الذي يتناسب مع استعداده في استعمالها. يجب أن يكون ذلك بالشكل الذي يلمسه الطفل ويحس به. مثلاً، نسمح له بالخروج والدخول بصورة اكبر، والسماح له بالذهاب إلى بيوت أصدقائه أو مجيئهم إلى بيته بصورة أكثر من ذي قبل ونوضح له أن كل ذلك نتيجة استعداده في ضبط نفسه والحفاظ عليها.

٦ ـ **غض النظر عن أخطائه:** نفترض أن فرداً كان محافظاً على حريته ويسعى لأن يكون منضبطاً وملتزماً بالقواعد ولكنه ارتكب الآن خطأ يستحق العقاب أو أهمل شيئاً أو قصر فيه على الوالدين هنا تذكيره وإفهامه عن سبب غض نظرهم عن هذا الخطأ وهو التزامه السابق والضبط الموجود لديه.

٧ ـ **المكافآت الأخرى:** منها:

- إظهار رشده وتعاليه وتوضيح أنه واجد للكمال.
- حمايته في الضائقات والمشاكل التي تصادفه.
- العطف عليه في مرضه ومواساته في مصائبه ومصاعب حياته.
- تجديد ثيابه ولباسه بالشكل الذي يناسب عمله.
- إعطائه حق الرأي في الأعمال المتعلقة بالبيت او المدرسة.
- إعطائه حق الانتخاب الأوسع في الملابس والأشياء التي يرغب بها.
- حفظ اسراره وكرامته في الموارد القلقة له.

الفصل الرابع

الأساليب الملائمة والبنّاءة

المقدّمة

للسيطرة على حريات الطفل أو تدريبه على الحرية المنضبطة هناك أساليب مختلفة يحتاج تنفيذها إلى مستوى من الإدراك والثقافة والاستيعاب والظرافة خاصة. من الأساليب المهمة في هذا المجال هو استعمال الأساليب الملائمة والبنّاءة.

ما نعنيه في الأساليب الملائمة والبناءة هي التي لا تبعث على القلق والانكسار حين استعمالها مع الأفراد ولا يشعر منها بالخجل والتأثر. توضيح ذلك أن بعض الأولياء يلجأ إلى أسلوب الملامة والاستهزاء أو الأسلوب المؤذي في مجال هداية وسيطرة الطفل وقد يصل أحياناً إلى مستوى العقوبة في حين أن الطبيعة البشرية تميل إلى الأنس والصفاء والعفو والإغماض والمحبة والرحمة. إن استعمال أسولب التفهيم والإرشاد والملاحظة والعطف والرقة يُعتبر من الأساليب المؤثرة جداً ويا حبذا يستفيد منه الأولياء.

هناك العديد من الأساليب المستعملة في هذا المجال نعرض بعضها:

التفهيم والإرشاد

قد لا يكون أسلوب أكثر تأثيراً من التفهيم والإرشاد في موضوع البناء ورشد الأفراد وكذلك في التحديد والضبط.

إن اتضح للفرد بأن هذا الأمر يصب بمصلحته وخط سعادته وخيره فإنه سيوافق عليه بالكامل وكما قلنا سابقاً إن التوعية هو أساس كل الفضائل[١].

المهم أن يشخص الفرد العمل الصائب من الخطأ، وكذلك معرفة نتائج فعل هذا العمل أو ترك ذلك العمل، وما هي فوائد الأول وأضرار الثاني، وفهم هذا الأمر في باب سيطرة النفس له آثار ودور مهم.

نعتقد أن أغلب التهورات أو عدم النظام ناتج من عدم فهم العواقب السيئة والغفلة عنها. ومن الضروري أن يعلم الأولياء القوانين وقواعد الحياة وتشخيص طريقها.

التجارب اليومية للحياة تشير إلى أن تأثير التوعية يكون اشد بمئات المرات من الضرب والشتم ومن الجدير ذكره أن المعلمين الذين يطبقون ذلك يجب أن يتصفوا بالصدق بالنسبة للاطفال وان يدرك هؤلاء بان الاولياء يبغون الخير لهم وكذلك يجب ان يكون منطقهم مقبول من قبل اولئك الاطفال.

الاستفادة من الإيمان

الاعتقاد بالله تعال والمعاد والإيمان بهما في السعبة الثانية من عمر الطفل أو في أواخرها لها نفوذ نسبي ورسوخ في ذات الطفل، وأما في مرحلة الفتوة

---

(١) سير الحكمة: ج ١ قول سقراط.

والشباب فإنه من الممكن أن تصل تلك الاعتقادات إلى حد الإيمان الأكثر من المرحلة السابقة ويكون العالم بالنسبة لهم ذات صبغة إلهية[١].

يمكن الاستفادة من هذه المراتب الإيمانية والاعتقادية في باب الحرية وتحديدها أو في طرح الأوامر الإلهية ونواهيه اللازمة.

بعد السنة الثامنة من عمره يمكننا القول له بأن عملك هذا يحبه الله تعالى[٢] أو أن الله لا يرضى بعملك هذا ولا يحبه وهو يريدك أن تفعل هذا[٣] و....

وتشير التجارب إلى تحويل الأوامر من الوالدين إلى الله تعالى يكون أكثر تأثيراً في هذه السنين لأن ذلك مناسباً بالنسبة لما هو دون السبع سنوات فهنا يمكننا قول: ان أباك لا يحب هذا الفعل أو ذاك.

هذا الأسلوب بناء ومفيد في هداية الأفراد إلى الحريات المحدودة والمنضبطة.

ويمكننا الاستعانة بالمؤاخذات الإلهية أو الحساب على الأعمال غير الصحيحة في السنين التالية للثانية عشر[٤].

التذكير بقوانين العائلة

يميل الطفل أحياناً إلى الحريات اللامنضبطة وهنا يمكن للأب والأم القول أمامه بأن هذه الأعمال ليست من شأن عائلتنا. على سبيل المثال يرغب بشراء

(١) تستيقظ الفطرة في هذه المرحلة.

(٢) آل عمران ٣٢.

(٣) البقرة ١٩٥.

(٤) الإنذار.

ملابس أو أدوات أو السير في طرق غير مقبولة من نظر العائلة، ويمكن في هذه الحالة القول له بان شرائك لهذه الأشياء لا تنسجم معنا ونحن لا نؤيّدها.

من الممكن أن يطرح الطفل افراداً آخرين للاستشهاد بهم وفي رغباتهم وشرائهم للأشياء ولكننا يجب الرد عليه دون المساس بهؤلاء: إن هؤلاء لهم طراز خاص في حياتهم ولا يتفق النظام العائلي لنا معهم وأن لهم طريقة خاصة في الحياة ونحن لنا طريق آخر، ونحن لا نتسطيع المشاركة بتلك المجالس أو ذكر عيوب شخص، ولا يمكننا الذهاب إلى السينما لمشاهدة أي فيلم كان و....

الاستفادة من أسلوب التساهل

هم أبناؤنا وتحت كل الظروف وإن كانت لهم وقاحة في أساليبهم أحياناً، لكن مع ذلك يطغي عليهم الحياء امام الوالدين ولهم التزامات معهم ومع المحيطين بهم تتصف من قريب أو بعيد بالأخلاقية والعاطفية. وبالنظر لرعايتهم لتلك الجوانب نراهم يغضون النظر عن بعض رغباتهم ويأخذون عواطف الآخرين ومحبتهم بنظر الاعتبار ويحسبون لهم حساباً خاصاً.

من جانب آخر فإن بيان أولياء الطفل المصحوب بالصفاء والأنس لبعض الأمور بقولهم: أنا أتوقع منك كذا، أو أن تترك هذا الفعل وتكون في ذلك الخط، سيكون بلا شك ذا تأثير في استقامته وخصوصاً لو رافق ذلك هداية أو تبيان لعواقبه الحسنة أو السيئة. بلا شك إن تأثير ذلك حاصل إن كان باب الاهتمام والتساهل بين الوالدين والابن مفتوح وكذلك بين المربين والطفل أو كل من يشعر بوظيفته في هذا الباب.

إن المواساة وحفظ الكرامة والإحسان والحماية كل ذلك سيكون مفتاح باب هذا الجانب ومثبت للعواطف والمشاعر.

من الشروط المهمة والمؤثرة جداً في السيطرة على الأفراد وتحديد حرياتهم إظهار العطف وحرقة القلوب على حالات الأطفال وسلوكياتهم الموجودة، يجب على الوالدين إظهار حبهما له وأنهما قلقان جداً من أن يصاب بمشكلة أو مخمصة.

يجب إفهامه بأن تركه في هذا السبيل سيؤدي به إلى الضرر والصدمات وهذا ما يسبب حرقة القلب والآلام. يجب القول للطفل بأن هذا الفعل يسبب ذهاب ماء الوجه لا يمكن تحمّله، أو ان رفاقتك مع هذا تشوّه سمعتك وهذا ما لا يعجبنا..

يجب أن يشعر الأطفال بأنهم محترمون لدى آبائهم وأمهاتهم وأنهم يتمنون سعادتهم وخيرهم وأن قلوبهم محترقة عليهم وعلى مستقبلهم ولهذا فإنهم يحاولون توجيههم إلى جهة أو منعهم عنها.

تغيير احتياجات الطفل

تعتبر من الأمور المهمة في مبدأ الحرية وإطلاق اليد في العمل ولا يمكن الضغط عليه دائماً، فهو بحاجة إلى الحركة والقفز والعبث بالأشياء، وأن اللعب والحركة هي جزء من مراحل حياته لا يمكننا سلبها منه.

إن عطّلنا أمراً يجب علينا إعطاؤه البديل، على سبيل المثال لو منعناه عن الركض في غرف العمارات السكنية (الشقة) فيُفترض بنا أخذه إلى المتنزه أو ساحة اللعب ونسمح له هناك باللعب والقفز وتفريغ جميع شحناته.

وبما إننا نمنعه من العبث بالساعة والراديو والتلفزيون يجب علينا وضع شيء آخر مقابله لممارسة تلك الرغبة، نمنعه عن الكتابة على الحائط ولكن البديل عنها نعطيه قلماً وورقة وندعه يكتب ما يشاء مع إعطائه النصائح اللازمة.

نكات في هذا المجال

يجب مراعاة بعض النكات المهمة منها:

ـ إثبات أمنياتك الخيرة له ونياتك الناصحة.

ـ اثبت له عملياً صدقك بحيث يصدقك بالكامل.

ـ يجب أن تحمل نصائحكم له طابع الاقتراح وإياك والجبر والتسلط.

ـ يجب أن تجعل نور الأمل يشرق في قلوبهم وأن تصور لهم المستقبل الجميل في ظل رعاية أوامر الوالدين ونواهيهما.

ـ يجب الثبات على الرأي في مجال توضيح واجراء القواعد الانضباطية.

ـ لا ننسى مبدأ التوعية ويجب على الأفراد ان يعلموا ما يفعلون وما لا يفعلون.

ـ يجب أن يكون الأولياء قدوة في خط العلم والتطبيق والبرنامج الذي يدعون الطفل له.

ـ اثبت له بأنه موضع ثقة الجميع. ونذكر مرة أخرى أن الشرط الرئيسي لسعادة الطفل وقبول أوامر والديه هو اعتماد الجميع عليه والاطمئنان إلى وعوده وعهوده.

الباب الثاني عشر

أسلوب المنع

يشمل الباب الأخير للكتاب فصول ستة نعرضها باختصار.

ـ الفصل الأول: التذكير والأمر والنهي، وجاء فيه: يجب الاستعانة بالتذكير والأوامر والنواهي لأجل السيطرة على حريات الآخرين في بعض الموارد وعدم الافراط فيه ونكات أخرى.

ـ الفصل الثاني: يتناول موضوع التقبيح، ونعلم أن تقبيح عمل ما يعلم الطفل بحسنه أو قبحه يُعتبر من الأساليب البنّاءة في تحديد الحريات وكذلك يتناول هذا الفصل أسلوب السيطرة الذي يُمنع فيه الفرد عن بعض الأعمال أو تحفيزه إلى سلوك معين وسيتم ذكر موضوع التحديد والحرمان.

ـ الفصل الثالث: وهو بعنوان التوبيخ واللوم، وعرض فيه التحذير والانذار والمقابلة بالمثل والشروط والضوابط اللازمة في هذا السبيل.

ـ الفصل الرابع، ويتناول أسلوب القهر والتهديد والحساب في التربية والذي يُعتبر عامل لأجل التحديد والتخلف وفق الضوابط. وتم التطرق فيه إلى الشروط والنكات اللازمة في هذا الطريق.

ـ الفصل الخامس: وفيه مسالة التعزير والعقوبة وبمعنى الضرب، وهو أمر حساس وله شروط وأبعاد مهمة. وذُكر فيه السعي في رعاية الضوابط ونكات أخرى.

ـ الفصل السادس: ويتناول الأسلوب الاستبدادي وجوانبه المنفية والإيجابية، ونُذكّر أن الأسلوب السابق لا يمكنه أن يكون مطلوباً في التربية وعلى الوالدين والأولياء الابتعاد عن ذلك.

الفصل الأوّل

الأمر والنهي والتذكير

المقدّمة

هناك طرق عديدة لتحديد حريات الطفل لا يسعنا ذكر جميعها هنا. والمهم بالنسبة لنا هو تشخيص الأسلوب الأمثل والأعقل الذي يستعمله الأولياء.

وما هو مربوط بتوجيه الفرد هناك بحوث ذكرنا بعضها في الفصول والأجزاء السابقة. وهنا سنذكر أبسط وأمثل الأساليب في إطار الأمر والنهي والتذكير.

ضرورة الأمر والنهي

هذا الموضوع ضروري لحياة الطفل لكونه غير واعٍ بالمسائل والتيارات الموجودة في هذا العالم. وبالنظر لجهله الذاتي عن رمز وسر حياة هذا العالم والضوابط الضرورية له، بالإضافة إلى كونه طالباً للحرية بذاته وهذا ما يحفزه إلى الانتخاب الحر والكرامة في الحياة على أساس الرغبة والميل غير المجربة وهذا ما يجعل الأولياء أن يحذروا من العواقب الوخيمة لذلك. وعلى هذا الأساس المهم يلجأ الأولياء إلى أسلوب الأمر والنهي ليضعوهم على الطريق المستقيم ويعيّنون

الحدود لهم ويطلبون منهم السعي داخلها.

الطفل يمر بظروف خاصة بحيث أنه يعجز حتى عن معرفة الوسائل الخطرة، فنراه يضع الأشياء الوسخة في فمه أو تكون أعماله مضرّة له وللمجتمع ولكنه لا يعلم عواقب ذلك.

الطفل مستعد لقبول الأوامر من أوليائه لأنه يحاول كسب رضاهم[1]. أما حول مسالة انتخاب أسلوب التطبيق فإن كلّ أم أو أب يعلم جيداً ماذا يعمل وكيف ينفذ تلك الحدود وما هي الطرق التي يجب السير فيها لكي تكون قابلة للتحمل من قبل الطفل.

موارد الأمر والنهي

ما هي موارد الأمر والنهي؟ نجيب على ذلك بما يلي مع رعاية الاختصاص.

تفرض الضرورة العقلية الأمور التالية: الهدف الفكري في طريق حفظ الطفل والآخرين، ووجود الأرضية الملائمة لقبول الطفل الأوامر والنواهي التى تصب في مصلحته، وأن تكون نتيجة تلك الأوامر بالشكل التي يلتذ معها الطفل وبالتالي تؤدي الى نجاته من الأخطار والأضرار المحتملة مثل الحرق، والغرق والسقوط الذي يؤدي الى كسر أحد الأعضاء أو التكهرب و....

مبدأنا هو منع السلوك الخاطىء له في ظل تلك الأوامر والنواهي، ونعد له الأرضية المناسبة لحياة مصحوبة بالسلامة والكرامة، وعدم السماح لأعماله أن

---

(١) الأب والأم هم عالم الطفل.

تؤدي إلى أضرار حيثية ومال ونفس الآخرين.

من الممكن أن يقل تأثير الأوامر والنواهي بالنسبة لبعض الأمور التي يتعلق بها الطفل بشدة كالألعاب مثلاً ولهذا يجب علينا استعمال أساليب أخرى نشير لها في الفصول التالية.

شروط وخصوصيات الأمر والنهي

- يجب أن لا يتصف بالاستبداد لأن التجارب تشير إلى أن الأطفال لا يخضعون لتلك الأوامر والنواهي وحتى إن كانت أعمارهم أربعة أو خمسة سنوات.
- لا يجوز أخذ رأي الطفل في الموارد التي تُعرض فيها الأوامر، ولهذا يجب أن لانسأل منه هل يرغب في هذا أو ذاك؟ خوفاً من كون الجواب سلبياً وهذا سيؤدي إلى طريق مسدود.
- يجب أن تنسجم مع وسع الطفل وامكانية تنفيذها.
- يجب أن تكون غير منحازة وقائمة على طلب الخير والمصلحة وتكون بعيدة عن الحسابات الشخصية والانتقام والأيذاء.
- يجب أن تكون مصحوبة بحب الخير والنصيحة بالشكل الذي يمكن للطفل لمسه وقبوله.
- يجب أن تكون بعيدة عن كل الوان التحقير والملامة وأن لا تسبب آلاماً مضاعفة لا يحتملها.
- يجب الاهتمام برغبات الطفل كذلك لأنه يتمتع برغبات مشروعة وعلى الأبوين مراعاتها.

نكات مهمة في مجال الأمر والنهي

ـ يجب على الوالدين الاعتناء بهذه النكتة وهي أن الأمر والنهي ليس السبيل الوحيد للنفوذ إلى الروح. بعض الأحيان يمكن الحصول على النتيجة المطلوبة عن طريق الموافقة والتعاطف.

ـ يجب تحديد الهدف الأساسي في الأمر والنهي لكي يتضح المكان الذي نريد إيصال الطفل له.

ـ إن أعطيت أمراً يجب الثبات عليه وعدم التزلزل في الموقف والقدرة.

ـ لا تشمل الأوامر والنواهي عطاء الطفل لأنه من الخطأ أن تنتظر البذل من الطفل، الطفل لا يعطي وإنما يأخذ.

ـ الأمر والنهي صحيح ولكنه من غير الصحيح أن يعتقد الوالدان أنهما منبع الفضائل والكرم على الدوام وعلى الطفل اتباعهما على طول الخط.

ـ قبل صدور ذلك يجب تفهيم الطفل بأنك تحبه وتطلب سعادته وخيره.

ـ لا تكرر أوامرك لكي لا ينظر إليك الطفل في صيغة الأمر والنهي فقط.

ـ أصدر أمرك له ولكن لا تكسر شخصيته لأن جميع الأوامر غايتها إحياء الروح والجسم.

ـ لا تصل الأوامر إلى محطة استقلال الطفل مثل الألعاب غير المضرة.

ـ أصدر أوامرك له حول المسائل التي إن راعاها الطفل ستكون في صالحه وهي مهمة لمستقبله.

ـ في جميع الأحوال يكون المبدأ التعاطف معه ومرافقته إلى خط السعادة ويجب أن توضّح له بأنك ستتألم جداً لآلامه وأتعابه.

أسلوب التذكير

الطفل كغيره من الموجودات يتعرض إلى النسيان لا بل إن نسيانه أكثر لأنه يغرق أحياناً بالألعاب وبهذا سينسى كل شيء، ولهذا يجب تذكيره بما تعلّمه سابقاً. أصل التذكير مهم جداً إلى المستوى الذي يخاطب به الله تعالى نبيه ﷺ ﴿بالمذكّر﴾[1] و ﴿إن الذكرى تنفع المؤمنين﴾[2] و ﴿ذكر مبارك﴾[3].

مع أن الأطفال سماعون للأوامر من الأولياء إلا أنهم ينسونها أحياناً وذلك ينطبق على النظم والضابطة أيضاً. وهنا يُفترض أن يُعيدها الأبوان عليه ويعيدونه إلى سبيل الصلاح والإصلاح. وذلك عبر بعض الجمل مثل: إن الله لا يحب هذا الفعل، وعدم رضا الإله يؤدي إلى الطرد من الجنة والخلود في النار، وفي الموارد التي يفهمها الطفل ستكون درساً تعليمياً له أو عاملاً للمنع وأحياناً يمكنه إبداء رأيه متأثراً في أسلوب الإلقاء.

ضرر الإفراط

يجب الابتعاد عن الإفراط سواء في جانب الأمر والنهي أو جانب التذكير وكذلك اجتناب التفريط أيضاً. التذكير المكرر يؤدي إلى إهمال الطفل له.

الإكثار بالقول من العوامل التي تؤدي إلى المواقف غير الصحيحة في الأعمال والسلوك. الأفراد الذين يشعرون بالملل والتعب من الأمر والنهي

---

(١) ﴿إنما أنت مذكر﴾، الغاشية: ٢١.
(٢) الذاريات ٥٥.
(٣) الأنبياء ٥٠.

والتذكير سوف لا يقتصر رد فعلهم على إهمالها فقط وإنما قد يصل إلى اتخاذ مواقف مخالفة ومضادة. أو إنه سيعتبر ذلك الأمر تدخلاً في شؤونه وهذا ما يدعوه إلى السير في الاتجاه المعاكس.

نكات مهمة في التذكير

- يجب أن لا يكون الأمر والتذكير أرضية للتدخل في عمل وبرنامج الطفل حسب اعتقاده.
- أخذ عقل وعمر الأفراد بنظر الاعتبار في تحميل الضوابط لكي لا يشعر بالعبىء الثقيل.
- التذكير في الخفاء وبصورة لا تسبب له الإحراج.
- الأوامر الصادرة له تتابع بلطف حتى مرحلة إحرازها.
- عندما لا تؤثر أوامرك فيه يجب بحث العلة دون اللجوء إلى العصبية والغضب.
- إن قاوم الطفل أوامرك يجب السؤال منه عن السبب.
- توضيح علة الأمر إليه بالحدود الممكنة.
- إن تدخلت في شؤونه يجب توضيح الهدف من ذلك إليه.

الفصل الثاني

التقبيح

المقدّمة

يجب الوقوف أمام المتجاوز، هذه رؤيتنا في التربية ومن المبادىء الأساسية لحركة الإنسان داخل الإطار الذي يحدده العقل بحيث لا يؤدي إلى الضرر ولا هو يتضرر[1] منه، ولا يظلم ولا يُظلم.

تبدأ المراقبة من بداية مرحلة الطفولة ومن الخمسة والستة أشهر الأولى عندما يكون الطفل قادراً على الارتباط مع أمه، وحتى فترة عض الطفل لثدي أمه بسبب بداية ظهور أسنانه يجب النظر إليه بحدّة نسبية وسحب الثدي من فمه وإفهامه بأن عمله هذا خطأ.

تتطور مراحل هذا الأسلوب وتصبح أشد قسوة عندما يحاول الطفل من مساس احترام وعظمة الوالدين عن طريق التجاوز والتطاول وهو يعلم ما يفعل، أو إصدار كلمات بذيئة بحقهم وهو واعٍ أيضاً لها أو التأثير على هدوء الآخرين بصراخه.

---

(١) مبدأ لا ضرر ولا ضرار.

أسلوب التقبيح

لا نسعى ابتداءً وعن طريق استعمال العقوبة والضرب من منعه عن عمل ما. وإنما نحاول أن نجلب انتباهه الى قبح ذلك العمل[1] وإفهامه بواسطة لغة التفاهم حول خطأه وصعوبة تحمل ذلك.

الطفل الذي يسيء استغلال الحرية كالتطاول باليد على أبيه أو الاعتداء على طفل آخر بالاعتماد على والده كأخذ ألعابه وطعامه أو يوجد الضوضاء الشديدة بحيث يختل هدوء الآخرين كل ذلك يجب تقبيحه.

نسعى في البداية هنا إلى تفهيمه خطأ فعله هذا وقبحه، وأنه لا يحق له التجاوز على حرمة الآخرين، إضرار الآخرين شيء غير محبب كما يكره هو الضرر في نفسه، فإن لم يعد عن هذا يجب اللجوء إلى أساليب أخرى سنعرضها لاحقاً.

أسلوب التحكم

أساسه يقوم على جبر الفرد (بدون العقوبة البدنية) بالقيام بعمل أو منعه عن عمل آخر. الطفل الذي لا يحدّه شيئاً في افعاله ولا يعتبر ضوابط الأوامر ولا تؤثر فيه النصائح ففي مثل هذه الحالة يمكن إعادته عن طريق أسلوب التحكم.

فعندما يأخذ بيده عصى ويحاول ضرب حيوان أو إنسان ما، هنا يجب المسك على يده بقوة لكي يلقي بالعصى ويعود إلى رشده، أو يمسك بقدح

---

(١) ذم وتقبيح.

ويحاول كسره لعدم استجابة الأولياء لرغباته، وهنا يجب منعه بالجبر مع أن لا قيمة لهذا القدح. عندما تُحدِدث تكليفه بهذه الصورة وسوف يجابهك بالعصبية والعصيان ويجب هنا جبره على فعل ذلك، وما دام يمتنع عن إطاعتك فإنه سيحرم من وضعه الطبيعي كالمعاشرة واللعب مع الأطفال والجلوس على السفرة والتنزه والسفر.

اللحن القاطع

المبدأ الأساسي في الأوامر الصادرة من قبل الأولياء هو النظر إلى ضرورة ذلك. قياس تحمل الطفل للأوامر، مناقشة جوانب وأبعاد القضية من ناحية الحدود والظروف والمصلحة وفي حال القطع يصدر الحكم.

عندما يصدر الأمر بعد دراسة جوانبه يجب تطبيقه من قبله وأن يكون الأولياء قاطعين بذلك، يجب عدم إهمال استخفافه بها وإهماله لها لأن ذلك يؤدي إلى استبساط الأمر وعدم تقييمه رغباتهم وهذا سيكون مقدمة للتحلل.

لا يحق له إلغاء أوامر والديه أو يفعل ما يرغب عن طريق عناده ولجاجته، أو يضرب بالقواعد عرض الحائط لأن ذلك يؤدي الى التعليم المنحرف والذي يصعب السيطرة عليه بالمستقبل.

التحديد

لا يمكن أن تكون الموعظة والنصيحة مؤثرة في جميع الأحوال، لأنها تعبّر

عن الضعف في بعض الموارد عندما تكون الاسلوب الوحيد للأولياء، في حين أن القاطعية هنا لازمة جداً. يمكن أن نضع الطفل داخل إطار ونحدد حركته فيه ولعبه ونزهته، ولكن يجب أن لا تكون تلك الأساليب فاقدة للحنان ومصحوبة بالعقوبة وإنما يجب تفهيمه علة تحديده، وأن السبب الحقيقي هو لتجاوزه الحدود والمقررات ولحفظه من الأضرار والأخطار.

وفي ضمن أسلوب التحديد يمكننا توضيح مسألة إمكانية استعمال الحريات المشروعة متى ما كان لائقاً ومناسباً لذلك وحينها سيتمكن من استعمالها بأحسن وجه. وكل ذلك يتطلب منه عرض استعداده وكفاءته في تغيير سبيله المنحرف.

أسلوب التحريم

لمنع انحراف الطفل في بعض الموارد نبدأ بتحذير اولاً وإن استمر على نفس الحال سيتعرض إلى التحريم. ويستوجب ذلك أن يعلم بأن هذا العمل الخاطىء تكون عقوبته كذا، وأن عاقبته ستكون وخيمة بلا شك.

يمكن أن تكون مساحة التحريم واسعة كمنع الخروج من البيت ومنعه عن المعاشرة أو اللعب مع ذلك الشي وقد يمتد الأمر ليصل إلى الغذاء والنوم والراحة أو أي أمر يرغب فيه. الهدف من كل تلك المحروميات هو إخراجه من الثبات على الانحراف وضبط سلوكه والسيطرة عليه. وإن أعطت تلك الأساليب نتائج معكوسة يجب علينا الانصراف عنها بسرعة والانتقال إلى أسلوب آخر يصب في مصلحة الفرد.

سد الطريق أمام الطفل

تستوجب بعض الحالات قطع الطريق أمامه للحيلولة دون تجاوزاته، وإيقافه داخل الحدود المقصودة. فمثلاً يمكنه الاستفادة من قدراته في عض الأيادي ففي هذه الحالة نضغط تحت أسفل حنكه إلى الأعلى لسد فمه.

يحاول السب والشتم وهنا يجب وضع اليد على فمه لإخماد صوته و... وبهذه الأساليب نظهر عدم رضانا عن بعض افعاله، بالإضافة إلى ممارسة بعض الحركات للتعبير عن ذلك أيضاً كوضع الأصابع في آذاننا لنوضح له أننا لا نرى سماع كلامه، أو نخرج من الغرفة التي هو فيها لنعبّر له عن عدم تأثرنا بضوضائه وصراخه وبكائه وعويله.

الأمر المهم هنا أن هذه الحركات يجب أن لا تنم عن ضعف وعجز الأولياء لأن ذلك سيحفزه إلى اتخاذ أساليب أخرى لن تكون بصالحه. يجب أن تنبع تلك الأساليب من العطف والحنان وحب الخير بالإضافة إلى علمه بأن الوالدين إن أرادا الشدة والقسوة فهما يستيطعان ذلك.

نكات مهمة

يجب الالتفات إلى النكات التالية في موضوع ضبط الطفل وتحديد حرياته:

ـ يجب أن لا يقع التحديد بالشكل الذي يقضي على استعدادات وميول الطفل.

ـ لا يؤدي ذلك إلى شعوره بالخطر أو عدم إحساسه بالأمن.

ـ التوقعات الزائدة عن الحد المعقول لا تقتصر على عدم بناء الطفل وإنما تجعله لا يرضى عن أي شيء.

ـ لا ننسى هذه النكتة وهي عدم إمكانية الطفل على تحمل الضغوط في جميع الموارد، لأن ذلك يؤدي إلى العصيان والمخالفة والسلوك غير المرغوب.

ـ القضاء على جميع رغبات وميول الطفل تؤدي إلى تدهور وضعه النفسي وإلى الكآبة وهذا خطر على مستقبله.

ـ لا ينظر إلى التحديد على أنه حرمان كامل من محبة وعلاقة الأبوين، لأن اليأس من ذلك يؤدي إلى الصدمات المختلفة.

ـ لو قررنا منعه عن شيء فيجب ملىء فراغه بشي آخر.

ـ لا ننسى أن التحريم أو التسلط ليس هو الأسلوب الوحيد للإصلاح، بل هناك طرق أخرى.

الفصل الثالث

التوبيخ واللوم

المقدّمة

المبدأ الحقيقي لتحديد الحرية هو استعمال الأسلوب المصحوب بـالمحبة والملاطفة لهداية الطفل إلى السبيل المنتخب، وعندما يكون هذا الأسلوب لا يفي بالغرض نلجأ إلى سبيل التذكير والأمر والنهي والتسلط والتقبيح كما عرضنا ذلك سابقاً.

والآن نحن بصدد الجواب عن السؤال التالي: لو عجزت الأساليب السابقة فما هو العمل؟

هناك أسلوب آخر يسمى أسلوب التوبيخ واللوم ويحتاج تطبيقه إلى ظرافة خاصة نحاول الإشارة إلى جزئيات ذلك كما يلي:

التحذير

يمكننا أحياناً استعمال التحذير لتنبيه الطفل. يذوب الطفل أحياناً مع العابه بحيث يفقد السيطرة على نفسه وسلوكه ويخرج عن ضوابطه بصورة إرادية أو غير إرادية.

المهم هنا إرجاع الاطفال حدودهم عن طريق التحذير وتحفيزهم إلى

مراعاة الضوابط والعودة إلى ما كانوا عليه وهذا ضروري للتربية والرشد.

ويمكن أحياناً وبنظرة حادة إرجاع الطفل إلى حدوده أو بعبارة تحذيرية واحدة يمكن منعه عن السبيل الذي هو سائر فيه، وفي بعض الموارد نعمل بعض الحركات أو نتظاهر ببعضها كعدم الارتياح والتأسف أو تحريك الرأس لنشير إلى عدم رضانا عن أفعاله وسلوكه، وكذلك تنبيهه إلى أخطائه وغفلته ونسيانه.

كما لاحظنا أننا في جميع تلك الموارد لم نعاقب الطفل ولكننا عبّرنا له عن خروجه من طريقه وعليه العودة اليه، ووضحنا له قبح عمله وحاولنا هدايته إلى الصحيح.

التوبيخ

عندما لا يجدي التحذير واللوم لا تنفع النظرات الحادة لإرجاعه إلى السابق، نستعمل عبارات حادة ومصطلحات تجرح عواطفه وشعوره وتوجب رجوعه.

طبيعي أن استعمال التوبيخ الجارح للعواطف والشامل للالفاظ الحادة يكون في موارد خاصة فقط، وعندما يغلق سبيل العطف والملاطفة والتذكير والوصول إلى طريق مسدود.

القرآن الكريم يستعمل هذا الأسلوب مع هؤلاء الذين لا ينفع معهم ذلك السبيل:

﴿مثل الذين حُملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً﴾[1]،

---

(١) الجمعة ٥.

وفي بعض الموارد يستعمل أسلوب التشبيه القاسي: ﴿فمثله كمثل الكلب﴾[1].

الإنذار

يمكن استعمال أسلوب الإنـذار حسب أهـمية المـوضوع والخـطر الذي يحدق به. مثلاً نذكره أن الحالة الخاملة التي يمر بها والاسترخاء والتحلل وضياع الوقت ستجعل عاقبته مخجلة، وأن الغفلة عن حدود المعاشرة والارتباط اللامقيد مع الأفراد سيؤدي إلى مستقبل مؤلم وصعب وتكون النتيجة هي الفشل والذل.

يمكننا أن نقول له أن التطاول على الآخرين يؤدي إلى بروز المشاكل وان العبث بالأشياء يسبب الخطر، وعدم رعاية الأوامر في الأمور سيخلق المشاكل والعوارض و... كل هذه الإنذارات ستجعله بلا شك ينصرف عن إهماله وتجاوزه حدوده، واتخاذه طريقاً معقولاً.

أسلوب المقابلة بالمثل

يتجاوز الطفل أحياناً حدود الحريات المـجازة إلى الحـريات المـمنوعة والتي تؤدي إلى ضرره وضرر الآخرين والتجاوز على حقوقه وحقوق الآخرين، وإلى السير في طريق كله أضرار وصدمات، مثلاً ضرب الطفل الآخر بالاستفادة من قواه، أو يجر شعر الآخر أو يخطف حاجة من يد طفل ما ويـهرب، أو يـثير الضوضاء، ويسبب الإخلال في أعمال الآخرين.

في مثل هذه الحالات عندما يعجز التذكير والنصح والتحذير وحتى التوبيخ

---

(١) الأعراف ١٧٦.

والإنذار يجب علينا استعمال أسلوب القصاص أو المقابلة بالمثل لكي يتذوق طعم الآلام بصورة عملية ليدرك ما يعاني منه الآخرين من هذا الأسلوب والأذى الذي يتحملونه منه.

لا يحق له ضرب الآخرين، وإن فعل ذلك يجب ضربه لكي يفهم شعور الآخرين. والأولياء مكلفون بتهيئته للقبول بالقصاص والمقابلة بالمثل وهنا يمكن استعمال أسلوب التسلط ويعتبر القرآن القصاص هو الحياة[1]. وكذلك جزاء الإساءة هي الإساءة[2] وإن كان في بعض موارد الإصلاح تقابل الإساءة بالإحسان[3].

أسلوب اللوم

وهو أسلوب بنّاء مهم وتربوي ومحدد للحرية.

وهو عبارة عن ضغط هادىء لأجل السيطرة ويستفاد منه عادة عند عدم انتفاع الفرد من نصائح الآخرين أو لم يستثمر حرص الآخرين عليه أو وقع بفخ ما وابتلى فيه. لا شك أنه في هذه الصورة قلق متعب ومهموم ويلوم نفسه على عدم سماع كلام الأكبر منه ولم يهتم به، المربي الواعي في هذه الحالة يحاول زيادة اضطرابه وقلقه ورفع آلامه ومعاناته ومن ثم يقوم بإلقاء اللوم عليه. من الطبيعي ان يكون اللوم هنا أشد وقعاً من التعذيب والسوط والسجن وأكثر ألماً، وتبقى روحه ونفسه في حالة عذاب حتى أنه يقرر على أمور قاسية جداً وخطرة.

---

(١) البقرة ١٧٩.

(٢) الشورى ٤٠.

(٣) ﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة﴾ فصلت ٣٤.

عدم الإفراط في اللوم

اللوم في بعض الموارد يكون سبباً إلى التشاؤم والقول الفاحش والهجوم المقابل وأحياناً يصل إلى حد الانتحار، ولهذا يمكن أن يكون خطراً، وما نوصي به هنا هو عدم الإفراط باللوم لأن: (الإفراط في الملامة تشب نيران اللجاج)[1].

نعم اللوم سبيل جيد لتعديل سلطة الأطفال، بشرط أن لا يكون مستمراً ويؤدي إلى تفتيت شخصية الطفل ويدفعه إلى اتخاذ قرار خطير. يمكن أن يولد اللوم أحياناً عقدة لدى الطفل وهذا يؤدي إلى الكآبة والعزلة أو يدفعه إلى الانتقام أو يُزيد من انانيته.

لأن الطفل يعتبرها إهانة قاسية له.

ولهذا كل لوم يجب أن يصحب بالحنان والملاطفة لكسب قلبه وتجديده لكي يستقبل الحياة والطريق الجديد. لا بأس أن نتذكر بهذه النكتة وهي (لو انعدم اللوم لما قام فرد بفعله وأدى حقوق الآخرين)[2].

الشروط والحدود

ـ كما ذُكر أن اللوم لازم ولكنه غير مستمر أو يُفرط فيه.

ـ لو وقع بالخفاء لزاد تأثيره وكان أنفع لمستقبله.

---

(١) الحديث. قول فلسفي ج ١ و ٢.

(٢) تعبير عن المعصوم عليه السلام.

ـ هناك تصور خاطىء للبعض هو كلما زاد اللوم زاد التأثير.

ـ يقع اللوم في الموارد التي يخطأ الفرد وهو عالم وواعٍ بخطأه وليس ناتج من جهله وعدم وعيه.

ـ لا يكون اللوم ضعيف وغير قائم على أساس لكي لا يهمله الطفل ولا يكون قاسياً أو مفرطاً فيه لكي لا يقابله الطفل بالعصيان والمقابلة.

ـ اللوم يجب أن يتناسب مع العمر والجنس وقابلية الطفل لكي لا يصدمه.

ـ يقع من فرد واحد وفي اتجاه واحد، وليس من الكل.

ـ اللوم في الحقيقة نوع من العقوبة، ولا يجب اضافته بنوع آخر من العقوبة كالضرب أو القول البذيء.

ـ نسعى في نفس الوقت إلى إعادة الطفل إلى الطريق والسير الأصلي لأن الهدف الحقيقي للوم هو البناء.

أخذ التعهد

في بعض الموارد يمكن بعد لومه أخذ التعهد منه على عدم تكرار تلك الأخطاء وعدم السير بذلك الطريق والتصديق بأن ذلك الطريق قائم على الخطأ وأن يعمل بوعده من الآن فصاعداً وان كرر ذلك سيعاقب.

إن كان هذا التعهد مقروناً بالفهم والإدراك والصحة سينال قبول الأطفال حتماً ويبقون إلى حد ما ثابتين عليه، مع أنهم ينسون ذلك بسرعة ويذهبون إلى طريق آخر ولكن ذلك المقدار من عودته إلى الحدود يعتبر توفيقاً بلا شك.

عندما يُعطي أحد الأساليب ثماره، نؤكد له بأن ذلك كان ممكناً بالنسبة له

من قبل لكي لا يصل الأمر إلى هذا الحد من الضرر والزلل. وهذه التذكرة لكي يعود ثباته على الضوابط ولكي تكون مواقفه الآتية في السيطرة على نفسه وتحديد حريته أنفذ وأشد قاطعية.

على أي حال نبدي اهتمامنا بهذا المبدأ وهو احترامنا لشخصية الأطفال ولا ننسى أصل ارتباطه بنفسه ولا نسمح أن يُقطع حبل اتصاله بنا.

الفصل الرابع

التهديد وقطع الرابطة

المقدّمة

ضمن التوعية التدريجية للطفل حول اسرار الحياة نسعى إلى استثمار عوامل الهداية وعوامل المنع في مجال التربية ونلزمه رعاية أصولها وضوابطها. حقاً هو أن الأفراد يحتاجون إلى معرفة الهدف لحركتهم في المسير ولهذا فأن هذا العامل يلعب دور باديء الحركة[1]. ولأجل الحيلولة دون عن عمل ما يحتاجون إلى موقف معين[2]. وهذا الأمر يقع في إطاري التشويق والعقوبة بمعناهما العام.

الطبع المتحرر والمتطفل للطفل لا يجعله يستسلم أمام المسائل والتيارات المخالفة والأوامر، وكذلك لا يمكننا أن نجعله بالخط الذي نبغيه في جميع الموارد عن طريق اللسان الطيب واللغة اللطيفة. وهنا يجب أن يلعب المربي دور الجراح، يجري العملية الجراحية من جانب ومن جانب آخر يضع المرهم.

---

(١) المفهوم الكلي للتشويق.

(٢) المفهوم الكلي للعقوبة.

مسألة قطع الرابطة

من العوامل المفيدة هنا استعمال أسلوب قطع الرابطة، وهو قطع العلاقة العاطفية وصلة الحنان لمدة قصيرة. الطفل يعيش عالمه في كنف أبيه وأمه ومع المحيطين به وهو مستأنس فرح بذلك.

يرغب أن يقبله أولياؤه دائماً وأن يشبعوه من حنانهم وعطفهم، ينتعش بخطابه في حضورهم ويتلذذ من سماع تأييدهم ورؤية حسن استماعهم.

الصد عنه يعني قطع العلاقة معه لفترة قصيرة لكي يشعر بأنه لا يمكنه أن يكون حر كما يشاء ويفهم بأن الأولياء لا يقبلانه مع أعماله الخاطئة ولهذا يجب عليه أن يعيش ساكتاً معزولاً، وهنا سيشعر الطفل لا محال بثقل ذلك عليه.

في النظام التربوي الإسلامي يُستعمل هذا الأسلوب قبل مرحلة الضرب لأنها أكثر ملاءمة من هذا.

جاء رجل إلى الإمام موسى بن جعفر عليه السلام. يشكو أخلاق ابنه وقال أنا أضربه فقال له الإمام عليه السلام (لا تضربه واهجره ولا تطل)[1].

ومثال ذلك أيضاً في مسألة علاقة الزوجين في البيت[2].

موارد وشروط قطع الرابطة

أصل موضوع قطع العلاقة مقبول في الإسلام ولكن بشرط أن يكون لذلك

(١) المجلسي بحار الأنوار ج ١٠٤ ص ٩٩ نقل عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام.
(٢) النساء ٣٤.

تأثير، أي يستعمل لصرفه عن الخطأ. وإلا فإن كان في ذلك تحقيق أمنيات الطفل وزيادة حدود حريته من خلال هذا القطع فانه يصبح من غير المناسب استعمال هذا الأسلوب. يجب أن لا يستمر القطع فترة طويلة، أي يجب أخذ بنظر الاعتبار الحجم النفسي له وقدرته على التحمل. أقصى فترة للطفل الصغير ساعة واحدة والكبار ثلاثة أيام حسب الأوامر والسنن الإسلامية[1] والباقين تتراوح مدة قطع الرابطة بين هذين الفترتين.

عند لزوم ذلك يكون القطع مع الطفل من قبل نفر واحد وعلى الأكثر نفرين وأما الباقين يحافظون على علاقتهم به، الرؤية القرآنية تؤكد على الأولياء في المبادرة في فتح باب تلك العلاقة مع الطفل الأصغر، وكما نعلم أن الباري تعالى هو المبادر الأول في فتح باب العودة والرجوع إلى عبده[2]. وأن طلب العفو وأعلن ندمه فيجب علينا قبول ذلك[3] وكذلك الحال إن أناب عن خطأه وتاب لأن الله تعالى تواب غفور[4].

المؤاخذة

في بعض الحالات يمكننا عرض الطريق المناسب والحل للفرد وكذلك كيفية رعاية الضوابط ومن ثم نطلب منه تطبيق ذلك وبعدها نراقب الوضع ونرى هل يُقدم على ذلك أم لا، وعند تخلفه نستفسر منه عن ذلك ونحاسبه، هذا

(١) أحد مفاهيم سورة الشورى ١١٨.

(٢) البقرة ٣٧.

(٣) الأعراف ٢٣.

(٤) النساء ١٦.

الأسلوب مناسب بالنسبة للطفل المميز والبالغ إلى الحد الأدنى للسبعة الثانية من عمره وما بعده، ويفهم معنى الأمر والنهي ويشخص الحسن من القبيح ويُمضي مرحلة العبودية والطاعة[1].

المؤاخذة أو الحساب له موقعية خاصة في النظام التربوي الإسلامي وهي من أساليبه المهمة وقد ورد في مواضع متعددة في القرآن. يؤاخذ الباري تعالى الناس بذنوبهم[2] وأحياناً يبتليهم بأنواع العذاب[3] ولا يستجيب دعاءهم[4].

التهديد

يمكن استعماله لتنظيم حرية الطفل وأساسه قائم على تخويف الطفل من وقوع أمر يخشاه، التهديد يُعجّل من الوصول إلى الهدف وكذلك من المنع عن الطريق الذي يسلكه وعدم السماح له بالتحلل والفوضى، ولكن لهذا الأسلوب عوارض جانبية تدعوا الأولياء من التقليل في استخدامه. قُبل هذا الأصل أيضاً في النظام التربوي الإسلامي[5] ولكن استعماله يقتصر على الأفراد الذين يميلون إلى الرذيلة ويرفضون الحق والقانون.

التهديد يؤدي بهم الى الوقوف عند مفترق الطرق، طريق يحقق رغباته وأمانيه ولكنه يؤدي به إلى العذاب الشديد والطريق الآخر هو تحقيق الأماني

(١) وعبد سبع سنين، الطبرسي، مكارم الأخلاق ص ٢٥٥.
(٢) آل عمران ١٨.
(٣) الأنفال ٤٢.
(٤) البقرة ٢٦٨.
(٥) آيات الوعيد والعذاب.

تحت شعار لا نبالي من وقوع أي شيء أو حدوثه، عادة الأفراد الذين يتعرضون إلى تهديد شديد سوف ينتخبون الأول بلا شك.

بعض النكات في التهديد

يجب السعي لاستعمال أسلوب آخر غير التهديد لإصلاح سبيل الطفل، وفي نفس الوقت لا ننكر آثاره المفيدة في ذلك.

ـ يجب الالتفات إلى عمر الطفل والقدرة الفكرية له وإلى ماضيه العاطفي والنفسيى لأن الأطفال يختلفون في درجة تحملهم.

ـ يهدد الأبوان بشيء أحياناً غير قابل للوقوع مثل: قطع الإذن، ولهذا يجب الاجتناب عن تلك التهديدات التي لا اساس لها.

ـ بعض التهديدات قاسية جداً مثل حبس الطفل في غرفة مظلمة مع علمنا بأنه يستوحش من ذلك.

ـ يجب أن لا يؤثر على الرابطة الصميمية، وأن يعلم الطفل بأنه مستحق لهذه العقوبة.

آثار الخوف

إن التخويف غير المناسب يترك آثاراً رديئة على الطفل وفي بعض الأحيان يؤدي إلى ما لا يمكن إصلاحه أو جبره. كالتخويف من الأماكن المظلمة أو الحيوانات المؤذية ولكن بشرط وقوع ذلك حتماً.

يمكن أن يؤدي الحبس في الغرفة المظلمة إلى توقف قلبه أو أن إلقاء شيء يشبه الأفعى في عنق الطفل يسبب أضرار كثيرة منها تحطيم الوضع الروحي والنفسي للطفل.

تؤدي بعض أساليب التخويف إلى تحطيم شخصية الطفل وإلى الكآبة وإلى القضاء على جميع قواه الدفاعية وكذلك استعداداته وخصوصاً إن كانت ضعيفة بالأساس ولاتساعد على مقاومة المشاكل التي تواجهه.

قد ينتج من هذا الأسلوب التربية المنحرفة والطغيان والعصيان وفي بعض الأحيان يؤدي إلى القسوة والانتقام الذي يترك آثاراً وخيمة على مستقبل الطفل.

أغلب أنواع القساوة والخشونة نابع من التخويف المستعمل في فترة الطفولة وكذلك الحال بالنسبة للهروب من البيت أو التشاؤم واليأس...

ترك المحيط

من أجل سد الطريق أمام تحلل أو وقاحة واستهتار الطفل نلجأ إلى إفراغ المحيط في بعض الموارد. ويحصل ذلك عن طريق قطع روابط المحيطين واعتراضهم عليه وإشعاره بعدم رضاهم على أعماله وأنه ناقص الأدب والأخلاق.

ترك المحيط وإفراغه من قبل المحيطين به يمكن أحياناً إجراؤه بأسلوب ملائم وطيب بحيث لا يقترن مع السخط وقطع الرابطة من جهة ومن جهة أخرى يؤدي الغرض بوعيه وفهمه لأخطائه مثلاً نقول له: لكوننا لا نرغب سماع حديثك غير المؤدب لهذا نترك الغرفة ولا نعود لها حتى تُصلح أفعالك الخاطئة.

الفصل الخامس

العقوبة والتعزير

المقدّمة

كما لاحظتم أن أسس التربية تقوم على غض النظر، والعفو والرفق، والمداراة والاهتمام، وترجيح التشويق على العقوبة، بالإضافة إلى ذلك فإن المبدأ الأساسي يقوم على استعمال المحبة والأنس والصفاء والأخلاق الكريمة لتوجيه الفرد.

في حالة فشل الأساليب السابقة يجب علينا تجربة أساليب أخرى أكثر شدّة كالتحول من المداراة إلى الخشونة أي تكون العقوبة إحدى خياراته.

هل أن مبدا العقاب موجود في النظام التربوي الإسلامي؟ الجواب: نعم[١]، ولكن بحثنا هنا يدور حول شروط وضوابط وموارد وكيفية العقاب، نعرض ذلك مع الاختصار:

الإنسان والعقوبة (التنبيه)

السؤال هل أن الإنسان جدير بالعقوبة أم لا؟ الجواب: لو أخذنا المعنى

(١) ايات الحدود والقصاص.

اللفظي للتنبيه بنظر الاعتبار فإننا سنقول: بما أن الإنسان يولد جاهلاً في مجالات الحياة لذا فهو بحاجة إلى التوعية والتعليم.

ولو أخذنا المعنى العرفي لها بنظر الاعتبار والذي يعني الضرب فنقول هنا، الإنسان موجود منضبط ومتمسك بالمقررات والحضارة والقانون وهنا لا تجدر به العقوبة، ولكن عندما يكون متجاوزاً للحدود الإنسانية ومتخذاً للأسلوب الحيواني وسائراً في سبيله فهنا يجب القول نعم إن العقوبة والتنبيه سيكون من شأنه وهو منطقي في حقه وقد وضعه الإسلام في إطار القصاص والحد[1]. وجودها ضروري للحياة والرشد لأن بعض الأفراد يسلكون السبل الشريرة والمنحرفة ويحققون رغباتهم بطرق لا يمكن الرجوع منها إلا بواسطة العقوبة.

العقوبة مؤثرة ولكن حسب رأينا أن الخوف منها أكثر تأثيراً، أي يجب إظهار شيء يجعله يخاف ويخشى العقوبة ويفكر دائماً في اجتنابها ولحفظ كرامته.

نرى بعض الأولياء يلجأون إليها والسبب يعود إلى سرعة تأثيرها ومفعولها.

موارد العقوبة

أما موارد العقوبة فهي كالآتي:

- عندما يعلم الطفل بقبح وخطأ أمر ما ويفعله.
- عندما تفشل سبل الإصلاح الأخرى ولا تؤثر به النصيحة والموعظة.
- عند تحذيره من هذا الفعل أو حتى تم تهديده ولكن بدون فائدة.

---

(١) حد الزنا والسرقة.

ـ عندما يكون عالماً وفاهماً.

ـ عند صدور الأخلاق الحيوانية منه ويبقى مصراً على مخالفة القانون والانضباط.

شروط العقوبة

ـ يجب أخذ قدرته على التحمل بنظر الاعتبار.

ـ اجتناب الأغراض الشخصية والعقد التي تجبر على العقاب.

ـ لا تكون لها صبغة مخجلة أو انتقامية ولا يضاعف مقدارها المحدود والمعقول.

ـ لا تؤدي إلى الجرح ونقص في الأعضاء.

ـ يجب أن يكون الولي مسلط على أعصابه أثناء العقوبة.

ـ تتناسب مع نوعية الجريمة أو الخطأ وتقع ضمن الضوابط الشرعية والعقل.

ـ قدر الإمكان تكون ملائمة وبالمستوى الذي تجعله يلتفت إلى وضعه وظروفه.

ـ التفكير بآثارها وعوارضها المستقبلية وبشرط أن يكون نفعها أكثر من ضررها.

حدود العقوبة

حدها يتحدد برجوع الطفل عن الانحراف والعودة من طريق الخطأ.

ـ يجب أن لا تكون بالمستوى الذي يقضي على استقلاله.

ـ يجب إشعار الطفل بأن جزاءه هو هذه العقوبة ولن يظلمه أحد بذلك.

ـ لا تؤدي إلى تحطيم روح الرفض والمقاومة لديه وتجعله فرداً مستسلماً.

ـ لا تؤدي به العقدة بحيث تجعل منه فرداً متربصاً لتفريغ عقدته هذه على الآخرين.

ـ لا يمكن إجراؤها على الطفل الصغير وإنما على الفرد المميز.

ـ لا حدّ على الأطفال ولكن يؤدبونه أدباً بليغاً(١).

الآثار الجانبية للعقوبة

لها آثار سلبية ترافق الإيجابية منها:

ـ العقوبات وحتى التهديدات والشدة تؤدي إلى قتل ثقة الطفل بنفسه.

ـ يمكن أن تخلق روح الطغيان والعصيان لدى الطفل.

ـ ان تكررت العقوبة فإنها ستفقد غرضها لأن الطفل سيعتاد عليها.

ـ العقوبة الجسدية تحفّز الفرد على الاستمرار بالمخالفة من خلال اعتقاده بأن جزاء عمله هذا هو العقوبة فقط ولهذا فانه سيعتاد عليها.

ـ تجعله فرداً ذليلاً ومستسلماً بالكامل.

ـ تؤدي أحياناً إلى الشعور بالضياع وهذا له خطر مضاعف.

ـ يؤثر على علاقته مع والديه ويفقد الصميمية والشعور بالارتباط معهم.

---

(١) النوري ـ مستدرك الوسائل ج ١٨ ص ٤٧، نقل عن الإمام الكاظم عليه السلام.

ضوابط العقوبة

- يجب أن نؤمن بأنها غير لازمة في جميع الحالات ويمكن الاستعاضة عنها بالغرامة أحياناً أو تقليل العطاء.
- الالتفات إلى عمره وخصوصاً فترة الشباب التي يقوى فيها النمو الجسدي والعاطفي وقد تؤدي إلى تحطيم غروره.
- لا ننسى الهدف من العقوبة وعدم تأثره بالانفعالات والأغراض الشخصية.
- يجب أن يعلم الطفل سبب العقوبة، مثلاً سبب ضربه من قبل الأب أو المربي لكي يبتعد عن الأعمال الخاطئة والاستعاضة عنها بالحسنة.
- الأفضل أن تكون بالخفاء وخصوصاً بعيداً عن أصدقائه والأفراد الذين يخجل أمامهم.
- تتناسب مع الخطأ وأن تنبع من التفكير والتخطيط.
- أن تكون بعد وقوع الخطأ مباشرة ولا نسمح بأن يمضي عليها زمن طويل.
- لا يتجاوز حده المعقول بحيث تتضاعف العقوبة مثلاً، فإن ضربته فلا يمكن أن تتعامل معه بشدة أو قسوة أو تجرحه بالكلام لأن هذه الأساليب قد تكون مضرّة للقلب والروح (حسب البحوث والتحاليل).

الموارد التي يجب اجتنابها

- يجب أن لا تكون بسبب قوله الحقيقة وإن كانت مرة وقاسية.
- أن لا تطغى العقوبة على التشويق والتشجيع في البيت.

- لا تحصل العقوبة دون الفكر بعواقبها وتقييم نتائجها.

- الخطأ المكرر لا يحتاج إلى العقوبة المتكررة ويجب إيقاف الضرب، ويجب البحث عن علة تكرار ذلك الخطأ.

- إن حاولت الأم التشفع له فلا تكسر ذلك واصرف النظر عن العقوبة.

- العقوبة بعد أخذ العهد منه على عدم تكرار ذلك الفعل اشتباه وخطأ.

- تنفيذ العقوبة يكون من قبلك ولا تدع الأمر لشخص آخر كالأخ أو الصديق.

- لا تتجاوز العقوبة حد الضرب خلف اليد أو المؤخرة ولا يجوز تعذيبه.

- يجب اجتناب العقوبة المفاجئة وعليك إخباره بنية العقوبة الموجودة لديك.

- لا تؤدي إلى نقص الأعضاء أو تعريضه للصدمات.

- لا تُجمّع الأخطاء وتعاقب عليها مرة واحدة.

الفصل السادس

كلام حول الاستبداد

المقدّمة

يعتمد الأولياء على بعض الأساليب التربوية الخاطئة حسب اعتقادنا حتى وإن كانت ناتجة عن قصد الخير. يستعملون الأساليب الحادة جداً ويبدلون البيت إلى منطقة عسكرية وأحياناً يتحول إلى سجن ويعتقد بأن الأطفال هم ملك خاص له.

تقترن تربيتهم مع الضرب والشتمْ والقوة والاستبداد. تنعدم بيوتهم من العطف والصفاء والمودة أو هناك تشابه كثير بين ثكنات الجيش وبين المدرسة، ويتعامل معهم معاملة الأسير التائه والواقع في قيدهم وعليه التبعية المطلقة والعمياء للمربين. ما أكثر القرارات غير المناسبة والتوقعات غير المنطقية للأولياء والتي تفرض على الطفل.

نحاول هنا توضيح بعض الأساليب الموجودة في التربية ونبحث أشكال الاستبداد وطرقه وسنذكر كذلك فوائده واضراره.

أساليب التربية

هناك ثلاثة أساليب تربوية أساسية. ولكل منها خصوصياته ومزاياه.

١ ـ أسلوب إعطاء الحرية المطلقة:

وهو الأسلوب الذي يعتمد على إعطاء الحرية للطفل يفعل كل ما يريده (Laisses - Fair) ويطبق هذا الأسلوب في بعض العوائل، وحسب البحوث[1] في بعض المجتمعات الأولية أو البدائية.

إن كان القصد من ذلك هي الحياة الحيوانية أو المهملة للضوابط والحضارات فإنه لا يسعنا بحث ذلك وإما إن كان الغرض هو حفظ الإنسانية والحضارة من السقوط والانحطاط فإن هذا الأمر صعب جداً تحت هذه الظروف.

٢ ـ أسلوب الاستبداد: ويُجري فيه المربي برنامجه ويطبق أسلوبه التربوي بالاعتماد على الضرب والشتم وإيجاد محطى خانق يطغي عليه ضغط السوط والحرمان. يجبرون الأفراد على التبعية التي هي نوع آخر من انواع الحياة الحيوانية والعبودية. قد يكون الأفراد هنا في حالة استسلام لفرد قوي ولكن ذلك سوف لا يدوم على خير له ولا يستمر لصالحه.

٣ ـ الأسلوب المعتدل: وهو الذي يتوسط الأسلوبين السابقين أي لا يعطي الحرية المطلقة ولا يقيّد الفرد بقيود الأسر والعبودية وهذا ما يؤيده العلم والعقل والإسلام الذي هو دين الاعتدال[2] و..

الفوائد الظاهرية للاستبداد

بالنظر للآثار السريعة التي يتركها هذا الأسلوب في الوصول إلى المقصد لهذا نرى البعض يعتبره مفيداً ويعتمدون عليه في تربيتهم. لو اعتبرنا الموارد التي

---

(١) اتو كلاين برگ: علم النفس الاجتماعي: فصل الغاية.

(٢) البقرة: ١٣٧.

سنذكرها فوائداً من قبيل:

ـ وصول المربي إلى غرضه بسرعة فائقة وغير متوقعة أحياناً.

ـ لا يحتاج معها إلى المجادلة والاستدلال للإقناع في انتخاب خط المشي.

ـ أعصابه في راحة من البحث والجدال لغرض الإقناع.

ـ نتيجته قطعية وخالية من الأسباب والعلل والتخلف أو عدم الاطمئنان إلى أمر ما.

ـ الأفراد الذين يخضعون لسيطرته في حالة استسلام كاملة وكلامه واجب الطاعة.

ـ تطبيق النظم والانضباط بصورة كاملة وقطعية.

الأضرار

لهذا الأسلوب أضرار وعوارض جانبية تكون سبباً لعواقب وخيمة ولهذا يعتقد البعض بخطأ هذا الأسلوب ويعتبره أصحاب الرأي أنه خارج عن دائرة الانصاف والعقل. ومن أضراره هي:

ـ الاعتياد على الطاعة العمياء والاستسلام والذلة.

ـ تخريب شخصية الطفل بحيث سيكون في المستقبل فرداً ذليلاً وعديم الحيلة.

ـ يؤدي أحياناً إلى الطغيان والعصيان ويرفض جميع الضوابط والرقابات.

ـ يؤدي به إلى الانزواء والسكوت والتسليم والكآبة وعدم الارتياح.

ـ سيصبح فرداً ضائعاً لا ملجأ له وسيقف عن التقدم باتجاه الرشد والنمو.

- ما دام الضغط مسلط عليه فهو في حالة استسلام ولكن ما أن يبتعد عنه لحظة نراه يعود إلى حالته الطبيعية كالنابض.

- يؤدي الاستبداد إلى تعلّمه والتطبع عليه ولهذا فإن المربي يعتبر شريك هذا الذي يستبد الآخرين اليوم.

التربية والاستبداد

الرؤية الإسلامية تؤدي إلى عدم إمكانية إعطاء الأساليب المستبدة ثمارها وستكون عاجزة عن إيصال الفرد إلى السعادة ولا يمكنها ضمان أسباب السعادة له. تشير التجارب العلمية إلى استحالة الوصول إلى المقام الإنساني الرفيع والكامل من خلال الاستبداد والظلم ولا يمكنه الحصول على الكمالات المعنوية من خلالها. وحتى وإن كانت الصلاة والصوم ناتجة من الضغط والإجبار فإنها سرعان ما ستزول وستكون فاقدة لأي اعتبار من ناحية الأجر، الأسلوب الديكتاتوري للتربية لا تؤيده المذاهب ولا الأنظمة التربوية الموجودة لعدم إمكانية مشاهدة الآثار الإنسانية عليه لأنه طُمرت تحته جميع الاستعدادات والرغبات وحتى الأهداف الإنسانية السامية.

يحتاج الطفل إلى الأجواء السليمة والآمنة في سبيل القيام بأموره كالدقة والتخطيط والبرمجة وإظهار النفس وإثبات الوجود والامتناع وحب الاطلاع ومعرفة العلل وإفراغ ذاته من الانفعالات والقوى الإضافية.

يعتقد علماء التربية أنه لا يمكن ظهور قاعدة معينة في الأجواء المتحررة بالكامل أو المحاطة بالاستبداد من كل جانب وكذلك لا يمكن أن تتخذ الملاكات والضوابط شكلها الطبيعي.

كل فرد فيها يسعى إلى التكيّف مع الظروف المحيطة به بدون أن يـلاحظ وجود الضابطة الأخلاقية والإنسانية أو عدم وجودها وكذلك دون أن يملك أي مبرر للاستبداد أو الديكتاتورية.

من هو المستفيد ؟

من هو المستفيد من الاستبداد؟ حسب اعتقاد المستبدين هـم الأوليـاء والأطفال كذلك، ونقول بقطع أن الأطفال لا يستفيدون إلا نادراً جداً من ذلك من قبيل تعريضهم لخطر مؤكد لا يمكن إبعادهم عنه إلا بالجبر والقوة.

الأولياء يستفيدون منه لمدة قصيرة جداً لا تتجاوز اللحظات وفي النهاية سيلحق الضرر بهم أيضاً لأن الضغط المستمر يستلزم السيطرة على مفتاح تنظيمه لأن الغفلة عنه لحظة واحدة سيؤدي إلى بداية التعاسة والانفلات[1].

يستنتج الأطفال تدريجياً طريق خلاصهم من ذلك الضغط وذلك عن طريق الشر والأضرار وبهذا سيصبحون بخط والأولياء بخط آخر.

وهناك تحذير شديد اللهجة من التلاعب بهم وتحطيم شخصيتهم وحرمتهم والاستهزاء بها وهتكها لأن ذلك سيضعف من قدراتهم.

ومن الأخطاء الأخرى تفاخر الأولياء أو يكون الدافع إرضاء النـفس أو الجهل من تسليط الضغوط على أطفالهم والتسلط عليهم بقساوة وشدة ولا شك أن العاقبة ستكون وخيمة وعكسية.

---

(١) القسر لا يدوم.

انفجار العقد

لابأس ان نذكر هنا، أن أصحاب الأزمات النفسية هم جزء من المـرضى والمعقّدون والمصابون بالاختلالات العصبية لا علاج لهم سوى إيذاء الآخـرين وكذلك أزواجهم وأطفالهم أو الأفراد الذين يقعون تحت أمرهم ويفرغون جميع إحباطاتهم وعقدهم فوق رؤوس الأبرياء، وان تسلقوا هؤلاء إلى أعالي السلطة فنراهم يصبون الغضب والنقمة على رؤوس الناس[١].

يرى هؤلاء شخصيتهم ووجودهم في إطار الظلم والقوة ولا تعرف حياتهم معنى للعفو والمسامحة، ولا يقبلون خطأ من يكون تحت يده إطلاقاً ويـعتبرون العفو والصفح من أنواع الضعف. يضفي على حـياتهم الكـلام البـذيء والإيـذاء والخشونة والقسوة والأمر والنهي المستمر. الحياة مرة بالنسبة لجميع وجوده ولا يفكّر لحظة بمستقبل الظلم الموحش. ولا يعتقد باستحالة إدارة المجتمع بـالظلم والجور في حين يمكن ذلك مع الكفر. ف(الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم).

إعطائه إلى دور الحضانة

البعض لا طاقة له في تربية الجيل او الجدال معه لتربيته وقد يعتقد البعض بأنه أعظم من هذا الفعل وأكبر من أن يقضي وقته في تربية الطـفل أو الاعـتناء بالعجوز الكهل كالأب والأم اللذين وقعا في قبضة الكبر والعجز. ولهذا يذهبان بهم جميعاً إلى دور الحضانة إن وجود هذه المؤسسات وهذه الأخلاقيات تحكي عن

---

(١) محمد خان القاجاري وعقدة العصبية المستعصية.

تخلف حضارتنا ويشير ذلك إلى انه لا زال هناك أفراد في عصر الذرة وانفجار العلم لا يمتّون إلى الانسانية والأخلاق بصلة وهؤلاء لا يفكرون إلا بأنانيتهم ومملحتهم الشخصية ولذاتهم ومنافعهم.

يُعبر هؤلاء عن عواطفهم المتزلزلة والهشة، لا أُمّ ترقّ قلوبهم ولا مرضعة. فيودعونهم في أجواء غير عاطفية وقاسية ومغلقة، لا اهتمام مناسب بالطفل ولا بكبار السن، رغباتهم مهملة قد يؤدي ذلك إلى تشاؤمهم من الحياة ويأسهم منها. ولا يعلم ما هو مستقبلهم وان وجد فإنه وخيم ومرّ.

نكات مهمة

يجب أن يتذكر الأولياء:

- الأسلوب الاستبدادي أسلوب جاهل ومصيره إلى الزوال.
- يجب أن تكون هناك أوامر ونواهي وقدرة ولكن بالشكل الذي يكون قابلاً للفهم والقبول.
- يجب أن لا نتوقع تنفيذ الأمر دائماً بسبب السؤال عن العلة ومعرفة السبب لأن الطفل إنسان وله رأي في بعض الأمور.
- لا يجوز التدخل في شؤون الطفل الخاصة لأنه نوع من أنواع القضاء على الاستعداد والرشد.
- السيطرة ضرورية ولكن لا تجرح عزة نفس الطفل لأن ذلك يؤدي إلى الذل والخضوع.
- يعتبر حفظ أمن وهدوء الطفل من المبادىء الأساسية ويجب عدم سلب لذاته.

الخاتمة

نلقي نظرة في آخر المطاف على أجزاء وفصول الكتاب ونمر على بحوثه لكي نستخلص منه تصوراً صغيراً ومجملاً.

كان الكلام عن الحرية وحدودها في التربية. وكنا نبغي فيه الإجابة على الأسئلة التالية:

هل أن بحث الحرية في التربية ممكن أو أنه لا يجوز التحدث عنه. وإن كانت هناك رغبة بإعطائها في التربية فما هي حدودها إذن.

تطرقنا إلى معنى ومفهوم الحرية والآراء المطروحة في هذا المجال، وذكرنا رأي الإسلام في هذا المورد وقلنا أن الحرية هي مبدأ دعوة جميع الأنبياء ودعوة الإسلام كذلك، وأن العقاب والثواب قابل للطرح في ظل الحرية(١).

الحرية وفق رأي الإسلام وعلماء النفس امر فطري وذاتي، وعرضنا رغبة الحيوان والإنسان في إبراز ذلك وان وجودها ضروري للحياة الفردية والاجتماعية، وذكر أن للأفراد مواقف خاصة أمام الحرمان منها كالسخط والمقاومة والانزواء والتسليم والحيلة والخداع(٢).

لأجل رفع الاحتياجات الأساسية للإنسان يلزم النظم والضابطة في الحياة ومن خلالها يتحمل الإنسان المسؤولية ويؤدي وظيفته والأعظم من كل ذلك فإنها مهمة جداً للتعالي الفردي والاجتماعي(٣).

---

(١) الباب الأول.

(٢) الباب الثاني.

(٣) الباب الثالث.

ذكرنا أن هناك آراء مختلفة حول الحرية، بعضها يميل إلى الأخلاق ويعتقدون بأن الطبيعة البشرية هي افضل دليل هادٍ للتربية، والبعض الآخر يقول بالمحدودية المطلقة وطرد جميع أنواع الحريات عن الأفراد ويعتبروها غير مفيدة له، والقسم الثالث والذي يقع في دائرة الإسلام يقولون بالحرية المشروطة والمقيدة ويعتبرونها شرطاً أساسياً للحياة الإنسانية والرشد[١].

قلنا بأن لحدود الحريات شروط قائمة على الرؤية الإسلامية وهي: لا تضر الشخص نفسه، ولا الآخرين، ومبنية على القانون والضابطة، ونابعة من الشريعة والمذهب، وهناك أصول مطروحة في إعطاء الحرية تقوم جميعها على الأسس السابقة[٢].

لا تقتصر الحرية على القول فقط وإنما تشمل أعضاء الجسم والفكر والعقل والبيان والسلوك والانتخاب، وأن الإنسان حر في اختياره، وحكمه ودوره وانتقاده وفي الرقابة الاجتماعية[٣].

استعمال الحرية كباقي الموارد والأعمال الانسانية قابلة للتعليم والتمرين وطلبنا أن يعلم الأولياء أطفالهم الحرية عن طريق القدوات، واللعب والمعاشرة والقصص والروايات، وحتى عن طريق الإلقاء والتفهيم[٤].

أعطينا أهمية لإعطاء الحرية ومنعها بالنسبة للأفراد من الناحية الفردية والجماعية ووضحنا أبعاد ذلك وطرحنا الأصول والضوابط في هذا المجال

---

(١) الباب الرابع.

(٢) الباب الخامس.

(٣) الباب السادس.

(٤) الباب السابع.

مثل مبدأ عدم التدخل : ومبدأ الاهتمام بعزة النفس، ومبدا المصلحة والمعرفة[١].

وقلنا: أن الحرية تتفاوت في مراحل الطفل المختلفة حسب عمره ودركه وفهمه ووسعه وتحمله. ذكرنا أن الحرية في السبعة الأولى لها مواصفات خاصة والثانية لها شروط أخرى والثالثة تختلف عن المرحلتين السابقتين. وتطرقنا إلى مجموعة من الأصول مثل السيادة والعبودية.

لا شك في ضرورة وجود الرقابة للسيطرة على الأفراد في استعمال الحرية ورعاية الضوابط لكي يؤدي وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسيطرة والرقابة. وقلنا أن أهم تلك العوامل هم الآباء والأمهات لأن لهم حضور في البيت قبل غيرهم وأن الطفل يراهما في أول لحظات حياته. ومن ثم المعلمين والمجتمع والدولة. وبعد مضي السنين ووصول الأفراد إلى مرحلة التمييز والتكليف فإنهم سيقدرون علي رقابة أنفسهم ورعاية الضوابط، من الطبيعي أن يكون أصول خاصة مطروحة مثل مبدأ الهداية والتفاهم والصداقة ومنطقية الرقابة[٢].

ولأجل هداية الجيل ولفت أنظار الطفل إلى رعاية أصول وضوابط الحرية نرى من المناسب تحويل مسؤولية ما إلى الطفل وعند أدائها بنجاح نشجعه ونشوقه. ويمكن استعمال أساليب المحبة والمكافأة وإظهار الحب والحرص[٣].

---

(١) الباب الثامن.

(٢) الباب العاشر.

(٣) الباب الحادي عشر.

من الممكن أيضاً أن يتجاوز الطفل أو الشاب الحدود المعينة له في بعض الحالات، ويلزم هنا الاستفادة من عوامل المنع والتي تشمل: التذكير، والأمر والنهي، والتقبيح، والتحكم لأجل المنع أو العطاء، والتوبيخ والإنذار، وأسلوب المقابلة بالمثل كالقصاص، وقطع الرابطة والتهديد والتعزير والعقوبة و.... وذكرنا ذلك باختصار لأن توضيح ذلك يحتاج إلى كتاب آخر[1].

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

---

(١) الباب الثاني عشر.

المحتويات

المقدّمة ٧

الباب الأوّل
الحرية

الفصل الأوّل: مفهوم الحرية ومعناها ١٥
المقدّمة ١٥
تعريف الحرية ١٦
ماهية الحرية ١٦
رابطة الحرية بالاختيار ١٧
أساس وأنواع الحرية ١٨
ضرورات وفوائد الحرية ١٩
الفصل الثاني: آراء حول الحرية ٢١
المقدّمة ٢١
مفاهيم الحرية ٢١
رؤية علماء الغرب ٢٢
بناء الحرية ٢٤
الفصل الثالث: رؤية الإسلام ٢٥

المقدّمة ٢٥
فلسفة دعوة الانبياء ٢٦
الحرية والاختيار ٢٦
الحاجة إلى الحرية ٢٨
نوع الحرية في الإسلام ٢٨
ماهية الحرية الإسلامية ٢٩
الفصل الرابع: مظاهر وظواهر الحرية في الأفراد ٣١
المقدّمة ٣١
السعي في طريق الحرية ٣٢
ظواهر الحرية في الإنسان ٣٢

الباب الثاني
أهمية الحرية وضرورتها

الفصل الأوّل: جنبته الفطرية ٤٣
المقدّمة ٤٣
عمومية الحرية ٤٤
تفاوت الحرية في الإنسان والحيوان ٤٥
ميول الإنسان إلى الحرية ٤٦
الحرية والهدفية ٤٧
النشاط الناشيء من الحرية ٤٨
الفصل الثاني: ضرورة الحياة الفردية ٤٩
المقدّمة ٤٩
الحرية وتكوّن الشخصية ٤٩

ضرورتها في نمو الأبعاد ٥٠
ضرورتها في الابتكار والخلاقية ٥١
ضرورتها في الأخلاق ٥٢
ضرورتها في الانتخاب ٥٣
ضرورتها في مجالات أخرى ٥٣
الفصل الثالث: ضرورة الحياة الاجتماعة ٥٥
المقدّمة ٥٥
الانضباط في الحياة ٥٦
الحرية في العلاقات ٥٦
في مجال الحياة الاجتماعية ٥٨
الفصل الرابع: الموقف أمام الحرمان ٦٣
المقدّمة ٦٣
الموقف الدفاعي ٦٣

الباب الثالث
استثمار الحرية في التربية

الفصل الأوّل: سدّ الاحتياجات الأساسية ٧٣
المقدّمة ٧٣
الحاجة إلى الحرية ٧٤
الفصل الثاني: النظم والضوابط والانضباط ٧٩
المقدّمة ٧٩
مفهوم الانضباط ٧٩
ضرورة وأهمية ذلك ٨٠

الانضباط والحرية ٨١
نوع الانضباط ٨٢
أسلوب تطبيق الانضباط ٨٢
البداية والعاقبة ٨٣
بعض النقاط المهمة في تطبيق الحرية والانضباط ٨٤
الفصل الثالث: الحرية والشعور بالمسؤولية ٨٥
المقدّمة ٨٥
التعهد ومسؤولية الإنسان ٨٥
تمرين المسؤولية ٨٦
الوقت والعمر المناسب لهذا التمرين ٨٧
في حل المسائل ٨٨
السيطرة والتعليم ٨٩
الفصل الرابع: الحرية لأجل التعالي والكمال ٩١
المقدّمة ٩١
البعد المحوري للحرية ٩١
استثمارات الحرية ٩٦
الفصل الخامس: الحرية والنموّ الاجتماعي ٩٧
المقدّمة ٩٧
التربية الاجتماعية للفرد ٩٨
الأخلاق والحرية ٩٩
الحرية والمدنية ١٠٠
الحرية والعمل ١٠١
الحرية والسياسة ١٠١

الحرية والاهتمام بالقيم........ ١٠٢

الباب الرابع
آراء حول الحرية

الفصل الأوّل: الحرية المطلقة........ ١٠٧
المقدّمة........ ١٠٧
رأي أصحاب الحرية المطلقة........ ١٠٧
أدلة طلاّب الحرية........ ١٠٨
مناقشة الحرية المطلقة........ ١٠٩
ألف: الأضرار الفردية........ ١٠٩
نتيجة البحث........ ١١٢
الفصل الثاني: التحديد المطلق........ ١١٥
المقدّمة........ ١١٥
أدلتهم........ ١١٥
مناقشة الرأي........ ١١٦
اضرار التحديد المطلق........ ١١٧
ب ـ الأضرار الاجتماعية........ ١٢٠
النتيجة........ ١٢١
الفصل الثالث: الحرية المشروطة........ ١٢٣
المقدّمة........ ١٢٣
النظرية البينية........ ١٢٤
حل التناقض........ ١٢٤
أدلة أصحاب هذا الرأي........ ١٢٥

الحرية المشروطة التطور ١٢٦
كلام حول التعقيد ١٢٧
النتيجة الكلية ١٢٨

الباب الخامس
حدود الحرية

الفصل الأوّل: عدم إضرار النفس ١٣٥
المقدّمة ١٣٥
لزوم التحديد ١٣٥
فوائد الرقابة ١٣٨
نوع وحدود السيطرة ١٣٩
نتيجة البحث ١٤٠
الفصل الثاني: عدم إضرار الآخرين ١٤١
المقدّمة ١٤١
ضرورة التحديد ١٤١
ضرورة الأخذ والعطاء ١٤٣
النتيجة الكلية ١٤٤
نكات مهمة ١٤٥
الفصل الثالث: رعاية الضابطة ١٤٧
المقدّمة ١٤٧
ضرورة تعيين الضابطة ١٤٧
أهداف تعيين الضابطة ١٤٩
شرح الضوابط ١٤٩

إجراء الضابطة ١٥٠
موارد المنع ١٥١
الرقابة اللازمة ١٥٢
الفصل الرابع: مصدر الضوابط (الملاكات) ١٥٣
المقدّمة ١٥٣
آراء حول الموضوع ١٥٣
نظام التربية الإسلامية ١٥٧
الفصل الخامس: شروط إعطاء الحرية ١٥٩
المقدّمة ١٥٩
اصل الإباحة ١٥٩
الشروط اللازمة ١٦٠
الأصول الإسلامية ١٦٣

الباب السادس
نشر الحرية

الفصل الأوّل: الحرية في أعضاء البدن ١٦٩
المقدّمة ١٦٩
نشر الحرية ١٦٩
مساحة نشر الحرية ١٧٠
في عدم التدخل ١٧٣
كيفية التدخل والمنع ١٧٣
الفصل الثاني: نشر الحرية في فكر وعقل الفرد ١٧٥
المقدّمة ١٧٥

حرية العقل ١٧٦
الحاجة إلى التفكر وحرية الفكر ١٧٧
الحرية في الابتكار والخلاّقية ١٧٨
الحرية في الارتباط ١٧٨
الفصل الثالث : الحرية في البيان ١٨١
المقدّمة ١٨١
البيان والحرية ١٨١
جوانب هذه الحرية ١٨٢
فوائد حرية البيان ١٨٣
في الرقابة الاجتماعية ١٨٤
المنع ١٨٥
الأمور التي يجب اجتنابها ١٨٦
الفصل الرابع : الحرية في السلوك ١٨٧
المقدّمة ١٨٧
حرية الإرادة ١٨٨
الاستقلال في السلوك ١٨٨
الاستقلال في اللعب ١٨٩
طلب الحرية ١٩٠
موارد المنع ١٩١
نكات حول أرضية السلوك ١٩٢
الفصل الخامس : الحرية والانتخاب ١٩٣
المقدّمة ١٩٣
تمرين الانتخاب ١٩٤

مساحة التمرين ١٩٤
موارد منع الانتخاب ١٩٧
بعض النكات في موضوع الانتخاب ١٩٧

الباب السابع
تعليم الحرية والتدريب عليها

الفصل الأوّل: بُعد القدوة في تعليم الحرية والتدريب عليها ٢٠٣
المقدّمة ٢٠٣
التقليد والاقتداء ٢٠٤
بعد الوالدين كقدوات ٢٠٤
القوة الجاذبة للوالدين ٢٠٥
التمرين وتهيئة الأرضية المناسبة ٢٠٦
تطبيع السلوك ٢٠٧
المراقبة والتحذير ٢٠٨
الفصل الثاني: في إطار اللعب والمعاشرة ٢٠٩
المقدّمة ٢٠٩
مسؤولية الوالدين ٢٠٩
التربية عن طريق اللعب ٢١٠
اللعب الجماعي ٢١١
اللعب والإلقاء ٢١٢
بعض النكات في اللعب ٢١٣
في المعاشرة ٢١٣
الفصل الثالث: في إطار القصة ٢١٥

المقدّمة ٢١٥
فوائد القصة ٢١٦
تأثير القصة ٢١٦
القصة والتشبيه ٢١٧
تحضير القصة ٢١٨
بيان القصة ٢١٩
نكات تتعلق برواية القصة ٢٢٠
الفصل الرابع: الإلقاء والتلقين ٢٢١
المقدّمة ٢٢١
استقبال الأطفال ٢٢١
حاجة الطفل إلى الهداية ٢٢٢
النكتة المهمة في الإلقاء ٢٢٣
تقوية الإرادة ٢٢٤
الصراحة ٢٢٤
تلقين النفس ٢٢٥
الفصل الخامس: التفهيم والإرشاد ٢٢٧
المقدّمة ٢٢٧
الحاجة إلى الرشد والتوعية ٢٢٨
التربية العقلية ٢٢٨
تفهيم الحدود ٢٢٩
توضيح العلل ٢٣٠
توضيح العواقب ٢٣١

الباب الثامن

ضرورات التقييد ومنح الحرية

الفصل الأوّل: الضرورات الفردية ٢٣٧

المقدّمة ٢٣٧

الضرورات اللازمة ٢٣٧

النتيجة ٢٤١

أدلة منح الحرية ٢٤٢

الفصل الثاني: الضرورات الجماعية: ٢٤٥

المقدّمة ٢٤٥

مساحة الضرورات ٢٤٥

الفصل الثالث: أصول المنع والعطاء ٢٥١

المقدّمة ٢٥١

ضرورة رعاية الأصول ٢٥٢

حديث حول الاستبداد ٢٥٥

منطقية الانضباط ٢٥٥

الباب التاسع

الحرية في المراحل المختلفة

الفصل الأوّل: السبعة الأُولى ٢٦١

المقدّمة ٢٦١

مظاهر الحرية ٢٦١

فترة السيادة ٢٦٢

سلبيات إطلاقه ٢٦٣

ضرورة السيطرة ٢٦٤
موقف الطفل ٢٦٥
قواعد المنع ٢٦٦
الفصل الثاني: فترة الطفولة ٢٦٩
المقدّمة ٢٦٩
خصوصيات السبعة الثانية ٢٦٩
فوائد المراقبة ٢٧١
مساحة السيطرة ٢٧٢
في باب المعاشرة ٢٧٣
نوع السيطرة ٢٧٤
قواعد السيطرة في سنين الطفول (السبعة الثانية) ٢٧٥
الفصل الثالث: الفتوة والشباب ٢٧٧
المقدّمة ٢٧٧
خصوصيات العمر ٢٧٨
سلوكهم ٢٧٩
حاجات هذه المرحلة ٢٨٠
أساس الروابط ٢٨١
نوع السيطرة على الشباب والفتيان ٢٨١
قواعد السيطرة ٢٨٢

الباب العاشر
المشرفين على الحرية

الفصل الأوّل: الوالدين ٢٨٧

المقدّمة ٢٨٧
الحرية المفرطة ٢٨٧
تعيين الضوابط ٢٨٨
مراقبة التنفيذ ٢٨٩
حدود التوقعات من الطفل ٢٩٠
قواعد الإشراف ٢٩١
الفصل الثاني: المعلم ٢٩٣
المقدّمة ٢٩٣
قدرات المدرسة والمعلم ٢٩٣
ضرورة تنسيق المدرسة في تنظيم الحرية ٢٩٤
تعيين الضابطة ٢٩٥
المراقبة في الأجزاء ٢٩٦
صفاء المدرسة ومودتها ٢٩٧
آثار السيطرة ٢٩٧
السيطرة ٢٩٨
الفصل الثالث: الدولة والمجتمع ٢٩٩
المقدّمة ٢٩٩
دور العوامل الاجتماعية ٣٠٠
الأقرباء ٣٠٠
الناس والمعاشرون ٣٠١
القدوات الاجتماعية ٣٠٢
مراقبة الناس ٣٠٣
دور الدولة ٣٠٤

الحاجة إلى التنسيق ٣٠٤
الفصل الرابع: دور الفرد في السيطرة على نفسه ٣٠٧
المقدّمة ٣٠٧
سيطرة الذات ٣٠٧
في طريق السيطرة الذاتية ٣٠٨
التأييد والتشجيع ٣١١
الفصل الخامس: قواعد الرقابة ٣١٣
المقدّمة ٣١٣
مبدأ الهداية ٣١٣
الابتعاد عن الاستبداد ٣١٤
محيط التفاهم ٣١٥
المنع المنطقي ٣١٥
الإخلاص في العمل والصدق ٣١٦
نكات أساسية في الرقابة ٣١٧

الباب الحادي عشر
التوجيه إلى الحرية المشروعة

الفصل الأول: إعطاء المسؤولية ٣٢٣
المقدّمة ٣٢٣
المسؤولية والشخصية ٣٢٣
بداية تحويل المسؤولية ٣٢٤
نوع المسؤولية ٣٢٥
الدعم والتذكير ٣٢٦

إعطاؤه الجرأة ٣٢٧
الاستفسار ٣٢٧
نكات حول المسؤولية ٣٢٨
الفصل الثاني: إظهار الرضى والاستحسان ٣٢٩
المقدّمة ٣٢٩
التشجيع بالوقت المناسب ٣٢٩
الترغيب والتشويق ٣٣٠
إعلان المحبة ٣٣١
نوع المحبة ٣٣٢
إعلان الرضا ٣٣٣
مبادىء في الاستحسان ٣٣٣
الفصل الثالث: المكافأة ٣٣٥
المقدّمة ٣٣٥
الفرق بين الجائزة والمكافأة ٣٣٥
مكافأة الالتزام ٣٣٦
نوع المكافأة ٣٣٧
المكافآت غير المادية ٣٣٨
الفصل الرابع: الأساليب الملائمة والبنّاءة ٣٤١
المقدّمة ٣٤١
التفهيم والإرشاد ٣٤٢
الاستفادة من الإيمان ٣٤٢
التذكير بقوانين العائلة ٣٤٣
الاستفادة من أسلوب التساهل ٣٤٤

حرقة القلوب ٣٤٥
تغيير احتياجات الطفل........ ٣٤٥
نكات في هذا المجال........ ٣٤٦

الباب الثاني عشر
أسلوب المنع

الفصل الأوّل: الأمر والنهي والتذكير ٣٥١
المقدّمة ٣٥١
ضرورة الأمر والنهي........ ٣٥١
موارد الأمر والنهي........ ٣٥٢
شروط وخصوصيات الأمر والنهي ٣٥٣
نكات مهمة في مجال الأمر والنهي ٣٥٤
أسلوب التذكير........ ٣٥٥
ضرر الإفراط........ ٣٥٥
نكات مهمة في التذكير........ ٣٥٦
الفصل الثاني: التقبيح........ ٣٥٧
المقدّمة ٣٥٧
أسلوب التقبيح ٣٥٨
أسلوب التحكم ٣٥٨
اللحن القاطع ٣٥٩
التحديد ٣٥٩
أسلوب التحريم ٣٦٠
سد الطريق أمام الطفل........ ٣٦١

نكات مهمة ٣٦١
الفصل الثالث: التوبيخ واللوم ٣٦٣
المقدّمة ٣٦٣
التحذير ٣٦٣
التوبيخ ٣٦٤
الإنذار ٣٦٥
أسلوب المقابلة بالمثل ٣٦٥
أسلوب اللوم ٣٦٦
عدم الإفراط في اللوم ٣٦٧
الشروط والحدود ٣٦٧
أخذ التعهد ٣٦٨
الفصل الرابع: التهديد وقطع الرابطة ٣٧١
المقدّمة ٣٧١
مسألة قطع الرابطة ٣٧٢
موارد وشروط قطع الرابطة ٣٧٢
المؤاخذة ٣٧٣
التهديد ٣٧٤
بعض النكات في التهديد ٣٧٥
آثار الخوف ٣٧٥
ترك المحيط ٣٧٦
الفصل الخامس: العقوبة والتعزير ٣٧٧
المقدّمة ٣٧٧
الإنسان والعقوبة (التنبيه) ٣٧٧

موارد العقوبة ٣٧٨

شروط العقوبة ٣٧٩

حدود العقوبة ٣٧٩

الآثار الجانبية للعقوبة ٣٨٠

ضوابط العقوبة ٣٨١

الموارد التي يجب اجتنابها ٣٨١

الفصل السادس: كلام حول الاستبداد ٣٨٣

المقدّمة ٣٨٣

أساليب التربية ٣٨٣

الفوائد الظاهرية للاستبداد ٣٨٤

الأضرار ٣٨٥

التربية والاستبداد ٣٨٦

من هو المستفيد ؟ ٣٨٧

انفجار العقد ٣٨٨

إعطائه إلى دور الحضانة ٣٨٨

نكات مهمة ٣٨٩

الخاتمة ٣٩٠

المركز الإسلامي الثقافي
مكتبة سماحة آية الله العظمى
السيد محمد حسين فضل الله العامة
53

دار النبلاء

طباعة - نشر - توزيع

بيروت - لبنان - حارة حريك - ص.ب ١١/٨٠٠١ هاتف: ٨١٤٢٩٤ / ٠٣ خليوي